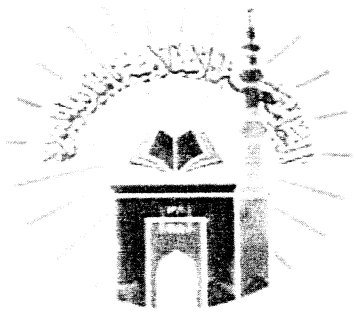

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
ISLAMIC UNIVERSITY OF MADINAH

{مقرر}

المذاهب والتيارات المعاصرة

الدكتور: أحمد القحطاني

العام الجامعي

١٤٤٦هـ

خدمة الطالب

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على أشرف الأنبياء وسيد المرسلين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

فهذه محاضرات أَلقيتها على طلاب كلية الدعوة وأَصول الدين بالجامعة الإسلامية، في مقرر "**المذاهب والتيارات المعاصرة**" للمستوى الأول والثاني والثالث، وقد سرت فيها على وفق الخطة المرسومة من قبل قسم العقيدة، مراعيًا حال الطلاب ومستواهم العلمي في هذه المرحلة (مرحلة البكالوريوس)، فسلكت الطرح والعرض المعتدل المتوسط، بين الإسهاب والتوسع المملّ بالنسبة لطلاب هذه المرحلة، وبين الاقتضاب والاختصار المخلّ قدر الإمكان، راجيًا من المولى عزّ وجلّ التوفيق والسداد والقبول والثواب.

وقد استفدت من الكتب المؤلفة في هذا الباب، ومن الرسائل العلمية، والشبكة العنكبوتية، ووضعت الهوامش في آخر البحث برقم متسلسل؛ لئلا تشغل القارئ عن أصل الموضوع، لا سيما وأن الطالب في هذه المرحلة غالبًا لا يعتني بما يكتب في الهامش، ولا تنصرف همته إليه.

التعريف بالمذاهب والتيارات المعاصرة، وسبب تسميتها.

التعريف بالمذاهب لغة:

المذاهب جمع مذهب، والمذهب مصدر كالذهاب، وهو المعتقد الذي يُذهب إليه، يقال: ذهب مذهبا حسنا، ويقال: ما يدرى له مذهب.

التعريف بالمذهب اصطلاحًا:

هو مجموعة من الآراء والأفكار والنظريات العلمية والفلسفية ، ارتبط بعضها ببعض ارتباطًا يجعلها وحدةً متسقة.

والمذاهب تختلف باختلاف أصولها ومصادرها ومجالاتها الدينية والدنيوية ومفاهيم الناس حولها.

فهناك المذاهب التي تصدر عن أصول ومصادر متفقة تجمعهم عقيدة واحدة، كأصحاب المذاهب الفقهية.

وهناك المذاهب التي تختلف في التفكير والفلسفة للحياة والكون والوجود، وهي المقصودة هنا، وهي محل الدراسة.

وسمّيت مذاهب فكرية؛ نسبةً إلى المذهب الذي تذهب إليه كل طائفة، ونسبة إلى أفكارها التي تعتنقها مبتكرةً لها أو مقلدة.

ويقال لها: فكرية؛ لأن مصدرها الفكر، لا الوحي الإلهي المنزل.

ويقال لها: تيارات أو اتجاهات ؛ نسبةً إلى التيار أو الاتجاه الذي تعتقده وتذهب والفكر هو إعمال العقل، ويطلق أيضًا على ثمرة إعمال العقل، وعلى النتيجة التي توصل إليها العقل بعد عملية التفكير.

وكلمة (فكرية) قيد يخرج به ماعدا المذاهب الفكرية ،كالمذاهب الفقهية والمذاهب الكلامية.

ويدخل فيها:

المذاهب السياسية، كالديمقراطية والقومية.

والمذاهب الاقتصادية، كالشيوعية والرأسمالية.

تعريف التيارات:

التيّار: فيعال من تار يتور، مثل القيام من قام يقوم. والتيّار: الموج، وخصَّ بعضهم به موج البحر.

يقال قطع عرقًا تيّارًا أي: سريع الموجة.

ولفظ التيارات اصطلاحًا كالمذاهب، فالتيارات والمذاهب والاتجاهات تدل على مسمّى واحد بعضهم

يطلق عليها: المذاهب الفكرية.

ومن أمثلة ذلك كتاب: "المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها" د. غالب عواجي.

وكتاب "مذاهب فكرية معاصرة عرض ونقد" د. محمود مزروعة.

وبعضهم يطلق عليها: "التيارات الفكرية".

ومن أمثلة ذلك: كتاب "التيارات الفكرية المعاصرة والحملة على الإسلام" د. محمد شيخاني.

وبعضهم يطلق عليها: "الاتجاهات".

ومن أمثلة ذلك: كتاب "الاتجاهات الفكرية المعاصرة وموقف الإسلام منها" د. جمعة الخولي.

والمقصود واحدٌ، وهي أسماء متعددة لمسمّى واحد.

وبناءً عليه فإن عطف التيارات على المذاهب هو من باب عطف المترادفين.

وكلمة (المعاصرة): من العصر وهو الدهر، والدهر هو الزمان ومرور الأيام والليالي.

يطول ويقصر، فيطول في السنين ويقصر في الحين أو الجزء من اليوم.

وقد يحدده ما ينسب إليه فيقال: عصر النبوة، أو العصر الجاهلي، أو العباسي أو الأموي، أو العصر الحاضر وهو زماننا الذي نعيش فيه.

وأوضح ما تصدق عليه الكلمة (المعاصرة) هو: اللحظة الأنية، أو الوقت والزمان الحاضر، لكن العلماء ذهبوا إلى التوسع في مدلول "المعاصرة" إلى مايسبق الزمان الحالي بقرنين ونصف إلى ثلاثة قرون.

والحاصل:

أن المذاهب والتيارات الفكرية اعتمدت على فكر الإنسان، بعيدًا عن وحي الله تعالى، قامت على مجموعة من الآراء والأفكار والنظريات حول عدد من القضايا، وقد نشأت هذه المذاهب والتيارات الفكرية في أوروبا بعد عصر النهضة.

ومن أمثلتها: العلمانية، والليبرالية، والديمقراطية، والشيوعية، والوضعية وغيرها.

أسباب نشأة المذاهب والتيارات المعاصرة.

الحديث هنا عن أسباب نشأتها في أوروبا، وهو يختلف عن أسباب نشأتها في بلاد المسلمين ، فالدين المحرّف الذي كانت تدين به أوروبا، وطغيان الكنيسة وفساد رجالها، والجذور الثقافية والحضارية لدى الغرب، وغير ذلك كان له الأثر البالغ في نشأة هذه المذاهب في أوروبا، والأسباب عديدة، والتأثيرات والعوامل متنوعة، وأبرزها وأهمها، وأقواها، وأعظمها أثرًا، وأعمقها تأثيرًا ما أشرت إليه، وإليك بيان ذلك وتوضيحه تفصيلًا.

أولًا: طغيان الكنيسة:

سيطرت الكنيسة في أوروبا في قرونها الوسطى أو العصور المظلمة – وهي الفترة ما بين القرن الرابع الميلادي إلى القرن الخامس عشر الميلادي ، أي قرابة عشرة قرون – على كل اتجاه، وأصبحت بمثابة الدولة، وتنوع فسادها وطغيانها، **فشمل الطغيان الديني المتمثل في:**

- احتكار الوساطة بين الناس وبين الله.
- وقصر حق تفسير وفهم نصوص الكتاب المقدس على البابا وأعضاء مجلسه.
- وحظرت على أي شخص آخر خارج جهاز الكهنوت محاولة تفسير أو مناقشته.
- ومنحوا أنفسهم حق الغفران للمذنبين وذوي الخطايا مهما عظمت، ورتبوا مراسِم للاعتراف والغفران، ووضعوا رسومًا ماليةً يدفعها المعترف للكنيسة حتى ينال الغفران عن خطاياه.
- وأعطوا أنفسهم سلطة بيع الصكوك التي تخوّل مالكيها دخول الجنة بغير حساب ، مهما عظمت خطاياه السابقة واللاحقة.

وشمل أيضًا: الطغيان السياسي:

فالبابا هو من يولي الملوك والأباطرة، وهو من يخلعهم إذا نازعوه ورفضوا أوامره، وباستطاعته أن يحرمهم من الدين، وأن يحرم شعوبهم الذين يوالونهم.

عبّر عن هذا الطغيان البابا غريغورس بقوله: "إن الكنيسة هي صاحبة السيادة في العالم كله، تستمد نفوذها من الله مباشرة، وتمدّ هي ملوك الأرض أمراءها بالنفوذ، وإن البابا له مركز قوي في العالم، فهو الذي يولي الأساقفة ويخلعهم، وله الحق في خلع الأباطرة؛ لأنه سيدهم الذي لايسأل عمّا يفعل وهم يسألون".

وقد مارست الكنيسة هذا الطغيان على أرض الواقع، فإنه عندما نشب خلاف بين الباب

(هلدبراند) وهنري الرابع إمبراطور ألمانيا حول مسألة "التعينات" أو ما يسمّى بالتقليد العلماني، حاول الإمبراطور أن يخلع البابا، فردّ البابا بخلع الإمبراطور، وحرمه، وأحل أتباعه والأمراء من ولائهم له، وألّبهم عليه، فعقد الأمراء مجمعًا قرّروا فيه أنه إذا لم يحصل الامبراطور على المغفرة من البابا فإنه سيفقد عرشه إلى الأبد، فاضطر هذا الامبراطور حفاظًا على عرشه أن يسعى لاسترضاء البابا ، وكان ذلك سنة ١٠٧٧م ، فاجتاز جبال الألب في شتاء بارد مسافرًا إلى البابا الذي كان في قلعته ، وظل واقفًا في الثلج في فناء القلعة ثلاثة أيام، وهو في لباس الرهبان، متدثرًا بالخيش، حافي القدمين، عاري الرأس، يحمل عكازه، مظهرًا ندمه وتوبته حتى ظفر بعفو البابا وحصل على رضاه.

وشمل أيضًا: الطغيان المالي:

- فقد فرضت الكنيسة على الناس: نظام السُّخرة والعشور، وذلك بأن يعملوا الأرض التي تملكها الكنيسة يومًا كل أسبوع بدون أجر، وأن يدفعوا عشر أموالهم هبةً لها، ويجمع كل ذلك ؛ ليدخل في جيوب رجال الكنيسة.
- واستولت الكنيسة على أرض زراعية واسعة وأوقفتها على نفسها.
- وفرضت على الناس ألا يكتبوا وصاياهم إلَّا على يد القسيس، وأصبح من الواجب وقت كتابه الوصية أن يهب الوصي شيئًا من ماله للكنيسة.
- وفرض البابا يوحنا الثاني والعشرون "ضريبة السنة الأولى"، وهي : دخل السنة الأولى لأية وظيفة من الوظائف الدينية أو الإقطاعية تدفع إلى الكنيسة بطريق الإجبار.

وشمل أيضًا: الطغيان العلمي والفكري:

- فقد تبنت أفكارًا ونظريات في علوم الجغرافيا والطب والأحياء وغيرها، ثم أضفت عليها من القداسة ما جعلها جزءًا من الدين وحكمت على مخالفيها بالهرطقة ، وأنه تجب معاقبته.
- ولمقاومة العلم والفكر أُنشئت في أوروبا (محاكم التفتيش) بطلب الراهب (توركماندا)، وقامت بمهامها الإرهابية حق القيام، فحكمت في المدة من عام (١٤٨١ -١٤٩٩) أي في حدود ثمانية عشر عامًا على:
- عشرة الآف ومائتين وعشرين (١٠٢٢٠) شخصًا بأن يحرقوا وهم أحياء فأُحرقوا .
- وعلى ستة الآف وثمانمائة وستين (٦٨٦٠) بالشنق فشُنقوا .
- وعلى سبعة وتسعين ألفًا وثلاثة وعشرين (٩٧٠٢٣) شخصًا بعقوبات مختلفة فنفذت.

وممن تمت محاكمتهم على يد الكنيسة:

١. "جيور دانو برونو": الذي أحرقته الكنيسة حيًا وذرته في الرياح. أيّد نظرية كوبرنيق، فقال بدوران الأرض خلافًا لقول الكنيسة إنها مركز الكون وأن الأجرام السماوية تدور حولها.

٢. "دي رومينس": الذي قال: إن قوس قزح ليس قوسًا حربيةً بيد الله ينتقم بها من عباده إذا شاء، بل هو انعكاس ضوء الشمس في نقط الماء، فجُلب إلى روما وحُبس حتى مات، ثم حوكمت جثته وكتبه، وحكم عليها وألقيت في النار.

٣. غاليليو: الذي قال بدوران الأرض حول الشمس، وقد اضطر أمام شدة التعذيب والسجن أن يتراجع عن آرائه، ويعلن وهو جاث على ركبتيه أمام الباب "أربان الثامن" سنة ١٦١٥م الاعتراف التالي: "أنا غاليليو وفي السبعين من عمري، سجين على ركبتي وبحضور فخامتك، وأمامي الكتاب المقدس الذي ألمسه الآن بيدي أعلن أني لا أشايع، بل أعلن وأحتقر خطأ القول وهرطقة الاعتقاد بأن الأرض تدور".

٤. ونيوتن: الذي قال بقانون الجاذبية ؛ لأن هذا القول من وجهة نظر الكنيسة انتزاع قوة التأثير من الله عز وجل إلى قوى مادية.

هذه صور الطغيان الكنسي التي أدّت بالغرب إلى الخروج على الكنيسة ورجالها ، ونبذ كلّ ما له صلة بها، وعلى رأس ذلك الدين الكنسي، ومن ثم إحلال الأفكار البشرية والنظريات محلها، والتي كانت من أسباب ظهور المذاهب والتيارات الفكرية المعاصرة في البلاد الأوروبية.

ثانيًا: تحريف الدين الحق وإحلال الوثنية في النصرانية:

بعث الله الأنبياء والمرسلين بالدين الحق، دين التوحيد والإخلاص لله رب العالمين، فما من نبي إلّا ودعا قومه إلى إفراد الله بالعبادة، وحذّر قومه من الشرك والوثنيات والخرافات والخزعبلات، وعلى رأس هؤلاء:

نبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام قال الله عنه: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ ۚ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ [المائدة: ١١٦ – ١١٧].

فعيسى عليه الصلاة والسلام كغيره من الأنبياء جاء بالتوحيد ودعا إليه، ودينه هو دين جميع الأنبياء، وخاتمهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وهو دين الإسلام.

قال تعالى عنه وعن حواريه: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٠ – ٥٢].

ثم وقع التحريف والتغيير والتبديل فيما جاء به عيسى عليه الصلاة والسلام، فأُبدل الإسلام بالكفر، وأُبدل التوحيد بالشرك، وأُبدل الحق بالخرافة والوثنية.

فقامت النصرانية على أصول وعقائد عدة مخالفة للدين الحق وللعقل السليم الصريح.

فقالوا: بأن عيسى ابن الله، وأنه ثالث ثلاثة، الأب: الله، وروح القدس: جبريل، والابن : عيسى، وهم ثلاثة أقانيم وإله واحد، فقالوا بما يخالف العقل بداهة.

وقالوا أيضًا: بالصلب والفداء:

وأن عيسى عليه الصلاة والسلام صلب ؛ فداءً للبشر وتكفيرا لخطيئة آدم التي ارتكبها، وهي عقيدة مخالفة للعقل أيضًا، ومخالفة لقانون العدل القائم على أن المرء هو من يتحمل عواقب خطاياه وذنوبه، وأنه لا تزروا وازرة وزر أخرى.

إلى غير ذلك من العقائد الوثنية الباطلة المخالفة لبداهة العقول.

وكان لبولس اليهودي ، ولقسطنطين الروماني ، وما عقده من المجمع الذي حضره قسيسوا النصارى، وهو مجمع نيقية سنة ٣٢٥م، وقرّروا فيه الوثنية والشرك وأن عيسى ابن الله وأنه إله : كان لذلك كله أثر كبير في تغيير دين عيسى عليه الصلاة والسلام.

فإلغاء العقل في الديانة المحرّفة، ومخالفتها الصريحة لبدائه العقول ، من أسباب ظهور الأفكار والنظريات القائمة على إبعاد الدين، ونبذه عن الحياة والواقع والمجتمع ؛ لشعور أصحابه أنه سبب في حياتهم التعيسة في عصورهم المظلمة ؛ فقامت كثير من التيارات والاتجاهات الفكرية على تقديس العقل وتعظيمه كردة فعل للدين المحرّف.

إضافةً إلى ما في الدين المحرّف من تأليه للرهبان والقساوسة، وجعلهم مشرّعين وحاكمين من دون الله تعالى، فرفعوهم فوق مقامهم، وجعلوا لهم سلطة على البشر وتحكم فيهم، كما قال الله عنهم:

﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [التوبة: ٣١].

إن مخالفة الدين المحرّف للعقل، وتعظيم البشر وتقدسيهم ، أدّى بالناس في تلك العصور وتلك الدول، إلى بغض الدين وتنحيته عن جميع مجالات الحياة، واختراع مذاهب جديدة تحكمهم وتسيس شؤون حياتهم.

ثالثًا: الجذور والأصول اليونانية والرومانية لدى الغرب.

ترجع الجذور العميقة والأصول الحقيقية لثقافة الغرب وفكره للثقافتين: اليونانية والرومانية.

فالثقافة اليونانية ثقافة وثنية مادية غارقة في وثنيتها وماديتها حتى النخاع.

فعنايتهم كلّها منصبّة على الطبيعة المادية التي صنع منها الكون، دون اهتمام لما وراء الطبيعة، من الإله الخالق الصانع المدبر للكون المستحق للعبادة وحده دون من سواه.

وهكذا كانت الثقافة الرومانية:

كانت وثنيّة ماديّة تماثل عقائد اليونان وعقائد كل الأُمم الوثنية التي تنحصر في عبادة عدد من الآلهة.

وظل الرومان على ذلك حتى اعتنقت روما الديانة النصرانية، فانتقلت من وثنية إلى وثنية.

فالجذور الفكرية والثقافية لدى الغرب هي جذور وثنية مادية بحتة، وقد صاغت هذه الثقافة المادية الوثنية فكر وثقافة الإنسان في الغرب، فنشأ كذلك يعبد المادة، ويقدسها ويضع فيها ثقته، منها ينطلق، وإليها يعود، وكان من آثار ذلك نشوء المذاهب والتيارات الفكرية المادية في الغرب.

والفكر المادي قديم في البشرية قدم الانحرافات فيها، وأعداء الرسالات جميعًا ماديون؛ ولذلك تراهم يتطاولون بالمادة، وينكرون البعث واليوم الآخر، ويرون الجزاء للإنسان قاصرًا على متع الحياة الدنيا.

قال تعالى عنهم: ﴿ هَيۡهَاتَ هَيۡهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ﴾ [المؤمنون: ٣٦ – ٣٨].

وقال عنهم: ﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ ﴾ [الجاثية: ٢٤].

وقال: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ ﴾ [البقرة: ١١٨]، أي أشبهت قلوب مشركي العرب قلوب من سبقهم في الكفر والعناد.

فالظاهرة العامة للماديين هو ركونهم دائمًا على المحسوس المشاهد فقط ، ولا يعرفون غيره في مجال الاقناع والاقتناع.

الأدوار والمراحل التي مرّت بها نشأة المذاهب الفكرية

لم تقم المذاهب الفكرية بين عشية وضحاها، ولم يكن استواؤها ونضوجها في يومٍ وليلة بل مرّت بمراحل، وعاشت أدوارًا متعددةً ، ابتداءً من تفتّح العقلية الأوروبية والثورة ضد طغيان الكنيسة ومهاجمة قوانينها الزائفة، إلى عصر تقديس العقل وإبعاد الدين، ثم إلى سيادة الحس والطبيعة على العقل والدين.

ويتجلى ذلك ويتضح وينكشف من خلال معرفة المراحل والأدوار التي مرّت بها نشأة المذاهب وتشكلها ونضوجها في مراحلها الأخيرة.

١) عصر النهضة:

وهو بداية تفتح العقلية الأوروبية على يد الحركة الإصلاحية التي قام بها (مارتن لوثر) عام ١٥١٧م ، وامتدت إلى وفاته سنة ١٥٤٦م.

والتي نادى فيها بالتحرر من سلطان الكنيسة، وأخذ يهاجم تعاليمها التي أسماها "تعاليم الشيطان"، واعتبر صكوك الغفران من وسائل الذل والعبودية التي يجب أن تنتهي، وركز كثيرًا على فساد البلاط البابوي وانغماسه في الترف والبذخ ، ثم جاء بعده "كالفن" (١٥٠٩-١٥٦٤م) ، وسار على خطاه وفي نفس الاتجاه.

ورغم أن حركة لوثر الإصلاحية غيّرت كثيرًا من المفاهيم والاتجاهات إلّا أنها كانت تجعل الكتاب المقدس مصدر الحقيقة فيما يتصل بالإيمان ، وله الكلمة الأخيرة .

٢) عصر التنوير:

ويقصد به العصر الذي انطلقت فيه الدعوة إلى إبعاد الدين وإحلال العقل محله.

وهو امتداد لعصر النهضة، وكان بين (١٦٩٠ إلى عام ١٧٣٠م).

وفيه احتلّ العقل مركز السيادة، وأصبح هو المقدّم على الكنيسة وتعاليمها وقوانينها.

٣) عصر سيادة مذهب الحسّ والاتجاه المادي:

بانتهاء القرن الثامن عشر الميلادي انتهى تقريبًا عصر التنوير، وابتدأ عصر آخر من عصور الفكر الأوروبي، وهو: عصر سيادة الفكر المادي.

وظهر ذلك مع بداية القرن التاسع عشر الميلادي، حيث أخذت فلسفة هذا القرن تتجه نحو سيادة (الطبيعة والحس) على الدين والعقل معًا، وإلى اعتبار الواقع مصدرًا للمعرفة اليقينية مقابل الدين والعقل، وما العقل إلَّا وليد الطبيعة التي تتمثل في الوراثة والبيئة والحياة الاقتصادية...الخ.

تاريخ انتقال المذاهب الفكرية إلى العالم الإسلامي، وأسباب ذلك.

نشأت المذاهب الفكرية في أوروبا، ولم تبق حيث نشأت، وإنما انتقلت بعد ذلك إلى بلاد المسلمين، ووجد فيها من تبناها وأيدها ودعا إليها؛ بسبب قوة الوارد الذي ورد على بلاد المسلمين من الحروب والاستعمار، وبسبب المناخ الملائم لتقبلها في بلاد المسلمين.

والأسباب كثيرة والعوامل عديدة ، وأهمها وأبرزها، وإليها تعود وترجع أكثر الأسباب هما عاملان:

الأول: سيطرة الأوروبيين (النصارى) على بلاد المسلمين (الاستعمار).

فإنه في بداية منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، وعلى التحديد في سنة ١٨٥٧م تمّ للإنجليز الاستيلاء على الهند سياسيًا ، وانتقلت سلطة الحكم رسميًا إلى بريطانيا.

وزالت بذلك إحدى الدول الإسلامية الكبرى، وهي دولة المغول في الهند أو الدولة التيمورية (نسبة إلى تيمورلنك، مؤسس هذه الإمبراطورية في آسيا الوسطى)، والتي قامت في مستهل القرن السادس عشر الميلادي.

كما تمّ في السنة نفسها (١٨٥٧م) استيلاء الفرنسيين على الجزائر كلها إلى الصحراء، بعد أن ابتدأوا غزوها سنة (١٨٣٠م).

ومن قبل ذلك في بداية القرن السابع عشر احتلت هولندا جزر الهند الشرقية (اندونيسيا).

وبعد قرنين ونصف، أي منذ بداية القرن السابع عشر الميلادي إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر تمكن الاستعمار الغربي من السيطرة التامة على بلاد المسلمين في وسط آسيا وشرقها، واتخذ نقطة ارتكاز رئيسية في إفريقية.

كما تمكن من مدّ نفوذه إلى قلب العالم الإسلامي، وما أن جاءت الحرب العالمية الأولى وانقضى أجلها إلّا والعالم الإسلامي تحت نفوذ هذا المستعمر سوى بلاد الجزيرة العربية.

لقد كان هذا الاستعمار من نتائج الحروب الصليبية على بلاد المسلمين التي لم تفلح في أول أمرها، وعادت خائبةً مدحورة، والتي بدأت سنة (٤٨٩هـ إلى ٦٦٨هـ)ـ الموافق سنة (١٠٩٧م إلى ١٢٧٠م).

نعم كانت حربًا ضاريةً أدّت إلى سقوط بيت المقدس سنة ٤٩٢هـ، إلّا أنه تمّ استعادته على يد القائد المسلم صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٣هـ.

دامت هذه الحرب قرابة قرنين من الزمان عادوا إلى بلادهم خائبين مطرودين، لم يظفروا بأهدافهم ولم

يتحققوا أَحلامهم.

ثم عاودوا الحروب مرَّة أخرى وكان من نتائجها ما يعيشه المسلمون اليوم من الضعف والهوان، واستعمار الغرب لبلادهم.

بدأت محاولات الغزو الصليبي الحديث منذ بدايات القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) بعد إسقاط دولة المسلمين في الأندلس، بعد سقوط آخر دويلة فيها وهي دويلة غرناطة سنة (١٤٩٢م) بعد معارك وحشية طاحنة استمرت وقتًا طويلًا، بارك البابا هذا الانتصار الصليبين، وشجع الصليبين على متابعة غزوهم لطرد المسلمين من بقية بلاد الإسلام، وهذا ما وقع في الحقيقة وتمّ لهم ، فقد وقعت بلاد المسلمين في قبضتهم وأصبحوا تحت يد الاستعمار، يسيروهم كما يشآءون، ويتصرفون في بلادهم كما يريدون، سيطروا على مفاصل الدولة كلها، فبثوا سموهم، ونشروا أباطيلهم ، وصنعوا لهم دعاة ينشرون ضلالهم، ويحاربون الإسلام ، ويثيرون الشبه والشكوك حوله، وأخذوا عندها يقذفون بالمذاهب والتيارات في بلاد المسلمين كما تقذف البراكين بلهيبها ونارها، وعاونهم على ذلك دعاة التغريب الذين رضعوا من ثدي الغرب، وكانوا بررة طائعين لأسيادهم ، فانتقلت بسبب الاستعمار وأذنابه التيارات إلى بلاد المسلمين بأشكال وألوان متعددة علمانية، وقومية وبعثية، وماركسية، وإنسانية، وديمقراطية. وقد كانت بلاد المسلمين وقتها مناخًا ملائمًا ومناسبًا لانتشار هذه المذاهب الفكرية في أرجائها.

الثاني: المناخ الملائم لانتقال المذاهب الفكرية إلى العالم الإسلامي.

في ظل هذا الاستعمار الغاشم، وهذه الجهود القوية الجبارة التي يبذلها الأعداء وأذنابهم لإفساد ديار المسلمين فكريا وعقديًا ،كان المسلمون يعيشون في جهل مطبق، في شتى المجالات بعد أن كانوا قرونا عديدة لهم السيادة على العالم، سيادة العلم والفكر، والتطور والاختراع.

انتشر الجهل في بلاد المسلمين انتشار النار في الهشيم وابتعد الناس بسبب ذلك عن التمسك بدينهم الحنيف، وانتشرت البدع والشركيات والخزعبلات والخرافات، وعمَّ الجهل بجميع أنواعه، الديني، والعقدي، والعلمي، والصناعي، والسياسي، والاقتصادي، والاجتماعي، وانحدر المسلمون انحدارًا عظيمًا.

وانحرفت لديهم مفاهيم الإسلام الصحيح، انحرف عندهم مفهوم التوكل بالتواكل والكسل وترك العمل، وأصبح مفهوم القضاء والقدر هو الجبر وموافقة القدر، فما قدّره الله وقضاه فهو يحبه ويرضاه،

فهم مع الغالب أيًا كان ، فإن كان الغالب هم الكفار فإنهم لايقاومونه ولا يجاهدونه ؛ لكون الله أراد ذلك فهو يرضاه ويحبه.

وهكذا تغيرت مفاهيم وتصورات التوحيد ومدلول لا إله إلَّا الله، حتى أصبح التوحيد عندهم هو إفراد الله بربوبيته دون ألوهيته ، فانتشر الشرك، من دعاء غير الله، والذبح والنذر للأولياء، وتقديس أصحاب القبور وصرف العبادات لهم، وشيّدت القبور وبني عليها القباب، وغلا الناس فيها حتى اتخذوهم أربابا من دون الله.

واشتغل المسلمون في تعليمهم الديني بعلم الكلام والفلسفة والمنطق، واعتاضوا بها عن القرآن الكريم والسنة النبوية، وكان لهذه العلوم أثر كبير أيضًا في نشر الشرك والبدع، وإضعاف عقائد المسلمين، وبعدهم كلَّ البعد عن العقيدة الصحيحة القائمة على النصوص واتباع السلف الصالح.

وكثرت الفرق وانتشرت بين المسلمين ما بين صوفية تقول بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود ووحدة الأديان وتمارس الشركيات، ومابين متكلمين يقدسون العقل ويقدمونه على النقل، ولا يعرفون من الإيمان سوى التصديق ، وما بين فرق باطنية قامت على محاربة الإسلام والحقد عليه، تخالف الإسلام من أساسه ، فلا إيمان عندهم بالله ولا باليوم الأخر ولا بشيء من أصول الإيمان الستة، وتعمل ليل نهار جاهدة في تدمير أصول الإسلام وتقويض أركانه، ووجدت من المستعمر الدعم والتشجيع والمؤازرة والمناصرة، وفي ظل هذا الجهل وهذا التفرق والبعد عن الإسلام والتوحيد ، وقع في قلوب بعض المسلمين الانبهار بما لدى الغرب من حضارة وتقدم صناعي وتقني، وخُيّل إليهم أو غرس في نفوسهم بسبب المستعمرين وأذنابهم ، أن سبب ذلك هو الدين النصراني، وأن سبب تخلّف المسلمين الصناعي والتقني هو الإسلام.

لك أن تتصور الأمر: استعمار يضرب بأطنابه بلاد الإسلام، وبيئة خصبة لتقبُّل كل وافد ، النتيجة قطعا هي: انتقال التيارات المختلفة العديدة إلى بلاد المسلمين وسرعة قبولها وتقبلها.

ومع كلّ ذلك فإن الله عزوجل حفظ الإسلام، وأعاد لأهله نوره على يد المجددين المصلحين، فلله الحمد من قبل ومن بعد ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [الصف: ٨].

إن الحقيقة التي يجب أن نعيها ونستحضرها هي:

أنّ المجتمع إذا كان متمسكًا بإسلامه، موحدًا لربه، ذا عقيدة صحيحة صافية من شوائب الشرك

والبدع والخرافات فإن العدو مهما كانت قوتة، ومهما بلغت سيطرته على بلاد المسلمين، ومهما كثر أذنابه ومعاونوه، ومهما تعددت طرقه ووسائله في حرب الإسلام وتدميره ، فإنه لن يستطيع أن ينقل مذاهبه وتياراته إلى عقول المسلمين.

فإن البنيان القائم على القواعد والأصول المحكمة المتقنة ، يقف أمام كل ضربات الأعداء ، صغيرة كانت أم كبيرة.

فالعقيدة الصحيحة حصن حصين من جميع الأفكار والآراء والنظريات الباطلة، تصمد أمامها صمود الجبال ، لا تزعزعها ولا تحركها عن مكانها.

وإنما يطمع الأعداء بالمسلمين ويتمكنوا منهم إذا ضعفت عقائدهم وتخلوا عنها.

وهذا ما وقع بالفعل، وكانت نتائجه ظهور وانتشار الاتجاهات الفكرية في العالم الإسلامي.

الآثار السيئة للمذاهب الفكرية والتيارات المعاصرة.

إن الحديث عن الآثار السيئة للمذاهب والتيارات الفكرية يعقب الحديث عن المذاهب والتيارات نفسها، فإن من درسها وأبصر حقيقتها وعرف مبادئها وأفكارها فإنه بعد ذلك سيرى آثارها السيئة في العالم الإسلامي، فإن الواقع المعاصر لكثير من بلدان العالم الإسلامي يشهد شهادة لا مرية فيها ولا أدنى شك في أن هذه المذاهب والتيارات اجتاحت بلاد المسلمين ، وأثرت فيه تأثيرًا بالغًا على جميع الأصعدة وفي شتى المجالات.

وهذه التيارات والمذاهب يتفاوت أثرها، ويختلف تأثيرها من بلد إلى بلد ، ومن مذهب إلى مذهب، فهناك من التيارات من لعبت دورًا كبيرًا في السياسة والاقتصاد وعزل الدين، ومنها من عفا عليها الزمن ولفظها الناس ، وأصبحت من التاريخ الأوروبي الذي يذكر ولا وجود له الآن ، وإنما الحديث هنا عن مجمل هذه المذاهب وتأثير أصولها ومبادئها على وجه الاجمال، وعلى وجه التفصيل في مواضع.

فمن صور الآثار السيئة لهذه المذاهب والتيارات في العالم الإسلامي مايلي:

١) تبني بعض بلدان العالم الإسلامي لبعض هذه المذاهب والتيارات.

غزت المذاهب التيارات بلاد المسلمين، وأصبحت تموج موج البحر في بعض ديار الإسلام، فمن متبنٍ للشيوعية الاشتراكية، يرى أنها الحل لأزمة الاقتصاد المتدني في بلده، ومن متبنٍ للقومية البعثية يرى أنها الدواء الناجع لجمع كلمة العرب ووحدتهم، وأنها الحل الناجح لمقاومة الأعداء وتحرير فلسطين من قبضة اليهود الغاصبين.

ومن مطبق للعلمانية مشبع بأفكارها ومبادئها وزخرفها، يسعى لفصل الدين عن الدولة، لسان حاله ومقاله "مالله لله وما لقيصر لقيصر"، لا مكان للدين عنده إلَّا في المسجد، أمَّا الحكم والسياسة والاقتصاد فلا دخل للدين فيه، ومبدأ الميكافيلية هو المبدأ المطبق والمعتمد لديه في فلسفة الحكم والأخلاق والسياسة.

وعملت الماسونية والصهيونية عملها في بلاد المسلمين، وقامت بدورها حق قيام.

ورُفع شعار الديمقراطية المزيف في بلاد المسلمين، وسُعي إليها سعيًا حثيثًا، ورأى الناس مهزلة الانتخابات في العالم الإسلامي، والعالم الأوروبي النصراني قبل ذلك ، وقدّست الملكية الفردية المنفلتة، التي لا تراعي حقًّا ولا حرمة، المهم هو الربح بشتى الطرق والأساليب المباحة منها والمحرمة، النافعة

للبلاد أم الضارة لا فرق بينها، فالفرد له حق الحرية الاقتصادية ولو أدّى ذلك إلى الظلم والبطالة والشجع والأنانية، وهي نتائج حتمية لهذا المذهب الرأسمالي.

هذه نماذج لتيارات ومذاهب طبقت في العالم الإسلامي وذاعت وانتشرت بين المسلمين.

٢) اختلاط المفاهيم:

إن دين الإسلام دين شمولي، ينتظم جميع شؤون الحياة، الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، والعلمية والفكرية، ما من قضية إلّا وقد أصدر حكمه العادل فيها، المواقف للفطرة والطبيعة الإنسانية، فجآءت هذه التيارات والاتجاهات فطوقت الدين وحصرت مفهومة في المسجد أو ألغته تمامًا، فدينها هو مذهبها الذي تعتقده وتذهب إليه.

ولم يَعُد للدين قيمة عندهم، بل هو سبب التخلف والرجعية، فمتى أرادوا التقدم والازدهار والتطور فليرموا به عرض الحائط ، أو ليقصروه على الشعائر التعبدية لمن شاء.

وكما اختلط وانحرف مفهوم الدين في بعض بلاد المسلمين أو كثير منها كذلك اختلط مفهوم الحرية لديهم.

فأصبحت الحرية تعني الانفلات من كل المبادئ والقيم والأخلاق والأديان، فالفرد له الحرية المطلقة فيما يفعله ويدعه، في ماله، أو بدنه، أو حكمه، أو عبادته ، أو تدينه، أو اعتقاده، أو عمله، أو فكره، بلا قيود ولا شرط ولا حدود.

فله أن يفعل ما شاء من الموبقات والمخزيات باسم الحرية ، وله أن ينحي شريعة الله وحكمه باسم الحرية، وله أن يتزوج من كان من جنسه باسم الحرية، ولها أن تتعرى وتتفسخ باسم الحرية، ولها أن تمارس الرذيلة مع من شآءت باسم الحرية، وللجميع أَن يقدحوا في الأنبياء والمرسلين والكتب المنزل باسم الحرية.

بل أعظم من ذلك وأطم القدح في ذات الرب والاستهزاء به وبأنبيائه ورسله وكتبه باسم الحرية، لقد أصبحت الحرية حربًا على الدين والقيم والأخلاق ونبذًا لكل ماله صلة بها.

٣) تقديس العقل أو الحس:

بعد الإطاحة بدين الكنيسة الذي طغى وأفسد في بلاد أوروبا أيما إفساد وأيما طغيان، اتجه الغرب إلى نبذ الدين برمته والاعتياض عنه بالعقل أو الحس، فلا يؤمن إلّا بما يدل عليه عقله، أو بما تثبته التجارب الحسية الطبيعية ، أما ما سوى ذلك فلا قيمة له ، وكان ذلك ردة فعل عنيفة لدين الكنيسة

ولتحريف الدين الحق.

فلا بدَّ من مصدر يرجع إليه ويعتمد عليه في اصدار الشرائع والأحكام وتنظيم شؤون الحياة المختلفة فالدين قد طرح ونبذ وأُبعد، فحلَّ محله العقل أو الحس، وهما لايثبتان ماوراء هذا العالم المشاهد، ولا طاقة لهما بإدراك حقائق الغيب، فنتج عن ذلك إنكار أمور الغيب من اليوم الأخر والبعث والنشور والجنة النار، وظهر في العالم الإسلامي نتيجة لآثار المذاهب الفكرية أناس ماديون لا يؤمنون إلَّا بما يشاهدون ويحسون ، فأنكروا ماجاءت بالرسل وما أخبرت به الكتب من أمور الآخرة ، ابتداءً من عذاب القبر ونعيمه إلى دخول الجنة أو النار.

وهذا أثر من آثار تقديس العقل أو الحس عند أصحاب المذاهب الفكرية ، وهناك العديد من الآثار السيئة لهذا العنصر.

٤) ظهور الإلحاد في بلاد المسلمين:

من أبرز الآثار السيئة للمذاهب والتيارات الفكرية وأشدّها وأعظمها وأخطرها وأكثرها سوءا وفسادًا : إنكار وجود الرب عزوجل، ولا يضاهي هذا الأثر أي أثر آخر في فساده وخبثه وبطلانه وشدة قبحه ورذالته، فهو في غاية الخساسة والسفالة ، لمخالفته للفطر السويّة والعقول السليمة والأديان كلها.

والعجيب كل العجب أنه يكاد يكون سمة مشتركة بين جميع المذاهب والتيارات كلها، بل الأمر كذلك إلّا ما شذ، والشاذ لا حكم له.

فالمذاهب والتيارات تقوم على الإلحاد بصوره المتعددة وأشكاله المختلفة وعلى رأسها: إنكار الرب جلَّ وعلا.

فمن الطبيعي أن يكون لهذا المعتقد المتفق عليه، المشترك على الذهاب إليه ، أثر سيء على العالم الإسلامي.

فما من اتجاه أو تيار وصل إلى بلدان المسلمين إلَّا وهو يحمل في طياته وبين جنباته هذا المبدأ الخطير المخالف لما عليه أَهل الأديان جميعها.

فظهر في بلدان الإسلام الملاحدة ما بين مظهر لالحاده وداعٍ إليه، وناشر له، وما بين مستتر به لا يبوح بما في داخله، وما بين مثير للشبه والشكوك ، لا يجرؤ على التصريح ، ولا يحتمل الإسرار والتكتم التام.

٥) الشك والاضطراب والحيرة لدى بعض المسلمين:

هاجمت هذه المذاهب بلاد المسلمين هجومًا عنيفًا لا مثيل له، حتى أوقعت ببعضهم، وأصبح فريسة لها، وأمسى آخرون من دعاتها وروّادها ، وأدّت بآخرين إلى الشك في تعاليم دينه، وصلاح شرع الله لزمانه. فمن محسن الظن بالعلمانية، إلى متردد في الليبرالية، إلى متحمس للديمقراطية، ومن مقنن لها ومفصّل في حكمها، إلى معجب بمذاهب أخرى ومبادئ عدة.

إن شرع الله المطهر ووحيه المنزل هو وحده الصالح لكل زمان ومكان، ولا حكم أفضل من حكم الله ، ولا شرع أعدل من شرع الله ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠].

كل ما قد يكون في هذه المذاهب من أفكار ومبادىء، وأسس صحيحة أو فيها شيء من الحق والصواب ، ففي الإسلام أضعاف أضعافه وما هو خير منه.

وليس هذا مجال التفصيل في ذلك، وإلَّا ففي النصوص القرآنية والنبوية والسيرة التاريخية للرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، ولخلفائه الراشدين، وللصالحين العادلين من بعدهم أعظم الأمثلة وأروعها، تفوق كل الشعارات المزيفة التي يرفعها أصحاب المذاهب والتيارات مما يكون أصله حقا، كالحرية والمساواة والإخاء، والعدل ، وحق الملكية الفردية ، والاعتناء بالفقراء وأصحاب الحاجات، والتسامح المنضبط وقبول الآخرين وغير ذلك.

وقد استعرض شيخنا د. غالب عواجي –رحمه الله– الآثار السيئة للمذاهب الفكرية، وذكر منها **أربعة آثار**:

الأول: عدم تطبيق الشريعة الإسلامية.

الثاني: انتشار فساد الأخلاق والقيم.

الثالث: نشر الفساد عن طريق استخدام النساء.

الرابع: التفكك الاجتماعي الحاصل في أوضاع المسلمين.

وشرح ذلك وفصّله فارجع إليه إن شئت في كتابه الموسوم بـ"المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها".

الغزو الفكري

مفهوم الغزو الفكري:

الغزو لغة: من غزا الشيء غزوًا أي: أراده وطلبه وقصده.

والفكري نسبة إلى الفكر وهو إعمال العقل.

والغزو الفكري في مقابل الغزو العسكري ، الذي يكون بالسلاح المادي من السيوف والرماح وما في معناها مما جدَّ واستحدث من أنواع العتاد والأسلحة.

والمراد بالغزو الفكري هنا:

طلب الأفكار والمعتقدات وإرادتها والقصد إليها ؛ وذلك للسيطرة عليها وتغييرها وتبديلها وتحريفها وتشويها، وإثارة الشبه والشكوك حولها.

والغزو الفكري اصطلاحًا:

له اطلاقان:

اطلاق عام، ويراد به: مجموعة الجهود التي تقوم بها أُمة من الأمم ؛ للاستيلاء على أمة أُخرى أو التأثير عليها حتى تتجه وجهة معينة.

واطلاق خاص، ويراد به: الوسائل غير العسكرية التي اتخذها الغزو الصليبي لصرف المسلمين عن التمسك بالإسلام ، بعقائده وشرائعه وأخلاقه وسلوكه.

ونحن هنا نتحدث عن الغزو الفكري بمعناه الخاص ،الذي يستهدف الإسلام وأَهله، ويقصد تعاليم المسلمين وشعائرهم ، وأخلاقهم ومبادئهم وقيمهم ، وعقائدهم وثوابتهم وأصولهم، وذلك بإثارة الشبه والشكوك حولها، وبإخراج المسلمين منها، وبالسعي الحثيث الدؤوب من قبل الغزاة بشتى الطرق ومختلف الوسائل والأساليب ؛ لتحويل المسلمين عنها إلى مبادئ وعقائد مخالفة للإسلام كل المخالفة، ومعارضة له تمام المعارضة.

خطورة الغزو الفكري.

لم يألوا الغزاة جهدًا في حرب الإسلام والمسلمين بشتى الطرق والوسائل، العسكرية منها والفكرية، منذ ظهور الإسلام ونشأته إلى وقتنا الحاضر.

إلَّا أَن هزيمتهم الساحقة المرّة التي خرجوا بها فيما يُعرف بالحروب الصليبية ، على أيدي المسلمين ، في

القرنين الخامس والسادس الهجريين (الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين) أدّى بهم إلى تطوير غزوهم ، وتنظيم محاربتهم للمسلمين، ووضع استراتيجيات مختلفة ومتقدمة في المواجهة.

فإنه في تلك الحروب الصليبية وقع لويس التاسع ملك فرنسا في الأسر بعد هزيمته في حملته الصليبية عام ١٢٥٠م، وبقي سجينًا في المنصورة (بمصر) حتى افتداه قومه وفُك أسره، وفي أثناء سجنه فكّر بعمق في السياسة التي كان أجدر بالغرب أن يتبعها إزاء المسلمين ، وانتهى تفكيره إلى الحقيقة الآتية التي نصح بها قومه:

"إذا أردتم أن تهزموا المسلمين فلا تقاتلوهم بالسلاح وحده؛ فقد هزمتم أمامهم في معركة السلاح ، ولكن حاربوهم في عقيدتهم ؛ فهي مكمن القوة فيهم".

إن مكمن الخطورة في الغزو الفكري هي أنها تستهدف أَعز مايملكه المسلم ، وهو عقيدته وإيمانه وثوابته وأصوله ، وإن اقتلاع ذلك من قلب المسلم بالسلاح والقوة العسكرية مهما بلغت وتطورت دونه خرط القتاد، ولهذا لـمَّا وعى الغرب هذه الحقيقة أخذ يتجه إلى غزو عقائد المسلمين بالفكر، بمحاولة تشويه الإسلام، وتشويه القرآن الكريم، ومحاولة تشويه السنة النبوية، وبثّ الشبه والشكوك حول الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، وحول صحابته الكرام، وحول شرائع الإسلام ونظامه الاقتصادي والسياسي، وقيم الإسلام وأخلاقه، وحول لغة القرآن، اللغة العربية الفصحى، وإحلال العامّية محلها.

وتكمن خطورته أيضًا:

في كونه ينحو إلى سلوك المآرب الخفية في بادئ الأمر، فلاتحس به الأمة المغزوة ولاتستعد لصده والوقوف في وجهه حتى تقع فريسة له، فتصبح مريضة الفكر والإحساس، تابعة لعدوها فيما يكره ويحب .

وتكمن خطورته أيضًا:

في أنه عميق التأثير في الشعوب المغزوة؛ إذ إنه يمتد تأثيره عشرات بل مئات السنين أحيانا، بل قد يموت المسلم على بعض هذه الشكوك والشبه والتشويه الذي تسلل إليه.

والشعب الذي يحارب بالغزو الفكري يتصرف بمحض اقتناعه هو، كما يريد الغازي بلا تعب ولا مجهود، لا يجبر على ذلك ولا يقهر ،بل يفعل ذلك بمحض إرادته.

وتكمن خطورته أيضًا:

في أنه يرفع شعارات برّاقه وعبارات جذابة ، تخدع السذج من الناس فيميلون إليها وينجذبون لها، ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب الأليم والشقاء المستديم.

وتكمن خطورته أيضًا:

في تعدد وسائله وطرقه وأدواته، وتنوع مجالاته، فهو يغزو مناهج التعليم، ووسائل الإعلام، ويغزو الفرد والمجتمع والأسرة، والصغير والكبير، والرجل والمرأة، ويتخذ أساليب متنوعة ، فالتنصير يعمل كل ما في وسعه لإخراج المسلمين من دينهم، والاستشراق كذلك لا يقل خطرًا عن التنصير ، والتغريب يقوم بمهامه التي أُسندت إليه من قبل أسياده، وكلها تعمل جاهدةً، لتحقيق أهدافها وغاياتها.

أهداف الغزو الفكري.

القرآن الكريم فيه بيان كل شيء، مما يتعلق بالإسلام، وبحال أعداء الإسلام، وصفاتهم، ومكرهم وكيدهم، وأَهدافهم.

يقول الله مبيّنا هدف أعداء الإسلام من غزوهم العسكري والفكري: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ... ﴾ [البقرة: ١٠٩].

لقد أخبرنا الله –عزوجل– وهو الخلّاق العليم، الذي خلق العباد، وهو أعلم بما في ضمائرهم، وما يدور في خلدهم، أعلمنا بأن كثيرًا من أهل الكتاب يودون لنا —معشر المسلمين– الكفر بعد الإيمان والردة عن الإسلام، والضلال بعد الهدى، والخروج عن الملة الحنيفية والشريعة السمحاء.

كل ذلك بسبب حسدهم الذي قطّع قلوبهم، وأذاقها العذاب والجحيم، فعملوا كل ما في وسعهم من غزو عسكري وغزو فكري بشتى الوسائل والأساليب.

والهدف من ذلك كما صرّحت به الآية: هو إخراج المسلمين من دينهم.

فالإسلام هو عدوهم الأول والأخير، يريدون القضاء عليه، ومنع انتشاره، ومحاولة تشويهه وإثارة الشبه والشكوك حوله.

ولأجل تحقيق هذا الهدف الأساس من غزوهم الفكري استهدفوا: عقيدة الإسلام وشرائعه، وقيمه وأخلاقه، ومصادره القرآن الكريم والسنة النبوية، واستهدفوا لغته العربية الفصحى، واستهدفوا رجاله وعظمائه.

والهدف من الغزو الفكري هو الهدف نفسه من الحروب الصليبية العسكرية التي وجهوها ضد المسلمين، والتي كان من أول أهدافها:

الهدف الديني، وهو الحقد على الإسلام وأَهله ، ومحاولة القضاء عليه ومنع انتشاره.

ثم يأتي بعد ذلك أهداف أخرى ، اقتصادية، ومالية، وسياسية وغيرها.

مظاهر الغزو الفكري ومجالاته .

علمت فيما تقدّم خطورة الغزو الفكري، وأنه أَخطر من الغزو العسكري، وعلمت أيضا الهدف الرئيسي منه، وحان لك الآن أخي الكريم أن تعرف مظاهره ومجالاته؛ لتعلم أنه حقيقة مرَّة يجيب الاعتراف بها، وليس الغزو الفكري وهمًا ووسوسة ومجردّ ظنون وشكوك.

ومظاهره ومجالاته تتجلى من خلال الآتي:

١. إثارة الشبه والشكوك حول مصادر الإسلام

المسلمون يقدّسون مصادرهم التي يستمدون منها تعاليم دينهم، وهما: القرآن الكريم والسنة النبوية.

وهما وحيٌ من الله عزوجل، فيهما الخير والهدى والنور، والصلاح والفلاح والسعادة في الدارين. وقد حرص الغزاة على استهدافهما كل الحرص، فإنهم إذا شككوا المسلمين بهما ونزعوا ثقتهم فيهما فقد نزعوا الإسلام من قلوبهم.

أَمَّا القرآن: فقد زعموا أنه من وضع النبي صلى الله عليه وسلم.

وأمّا السنة: فقد قدحوا في حجيتها وثبوتها.

وسيأتي ذكر شبههم والردّ عليها.

٢. إثارة الشبه والشكوك حول شريعة الإسلام

فإن المسلمين في جميع شؤون حياتهم يسيرون على وقف الشريعة التي بينتها النصوص، في شؤون حياتهم الاجتماعية، المتعلقة بالأسرة والزواج والطلاق، والعلاقة مع الوالدين والأرحام والأبناء والبنات، وغير ذلك من أمورهم الاجتماعية.

وكذلك يسيرون على وفق الشريعة في شؤونهم السياسة، المتعلقة بالحكم والقضاء، وسياسة الحكام والأمراء لدولهم وشعوبهم، فالإسلام دين ودولة، والعبادة ليست مقتصرة على التعبد في المساجد، بل حكم الناس بالقرآن والسنة هي عبادة من أجل العبادات وأعظمها.

وكذلك يسيرون على وفق شريعة الإسلام في أمورهم الاقتصادية، فالإسلام دين يكفل للفرد حريته المالية، بلا ظلم ولا ربا ولا غرر، وبلا جشع ولا أنانية، وهو مع ذلك يراعي حقوق الفقراء والمساكين وأصحاب الحاجات، ولهذا فرضت الزكاة وحث الشرع على الصدقة والإحسان، والتكافل والتعاون بين أفراد المجتمع.

والغزاة حاربوا شريعة الإسلام وزعموا أن الدين لا علاقة له بالدولة، وأنه يجب فصل الدين عن الدولة، وأن شريعة الإسلام لا تصلح لهذا الزمان، وقدحوا في الطلاق وفي تعدد الزوجات وغير ذلك من شرائع الإسلام.

٣. إثارة الشبه والشكوك حول عظماء ورجال الإسلام .

إن القدح في عظماء الإسلام وعلى رأسهم سيد الأولين والآخرين، وإمام الأنبياء والمرسلين، رسولنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم صحابته الكرام لاسيما الخلفاء الأربعة، وكبار القادة والمجاهدين كخالد بن الوليد رضي الله عنه، والمكثرين من رواية الحديث كأبي هريرة رضي الله عنه، ثم من جاء بعدهم من التابعين ومن سار على نهجهم، إن القدح فيهم هو قدح في الإسلام ؛ فإن الرسول عليه الصلاة والسلام هو من بلّغ عن الله وحيه، والإيمان به وبما جاء به هو الإسلام وهو الدين الحق، فمن قدح فيه فقد قدح في الدين، بل قدح في مرسله وهو الله عزوجل.

وكذلك القدح في الصحابة رضي الله عنهم هو قدح في الإسلام؛ فإنه إنما وصل إلينا عن طريقهم، فاستهدافهم ومحاولة تشويه صورتهم هو تشويه للإسلام ومصادره.

٤. إثارة الشبه والشكوك حول لغة الإسلام.

اللغة العربية هي لغة القرآن الخالد المعجز، وإن الإساءة إليها إساءة للقرآن، وتنقصها تنقص للقرآن، وإن الزعم بأنها غير صالحة لهذا الزمن، وأنها لا تساير التقدم والتطور هو تشويه لصورة القرآن، ومحاولة للحطّ منه ومن قدره ومنزلته، ولهذا حرص الغزاة كل الحرص على تشويه اللغة العربية وإحلال العامية محلها.

وسائل الغزو الفكري .

لتحقيق هدفهم وهو القضاء على الإسلام، ووقف انتشاره استخدموا كل الوسائل الممكنة والمتاحة:

- كتأليف الكتب.
- وإصدار المجلات وكتابة المقالات.
- واستغلال وسائل الإعلام المسموعة والمكتوبة والمرئية ؛ لبث سمومهم ونشر ضلالهم وفسادهم.
- وإنشاء المدارس والمعاهد والجامعات.
- وتغريب مناهج التعليم والثقافة.
- وإثارة الفتن والقلاقل والخلافات والنزاعات والنعرات والعصبيات العرقية والقبلية والمذهبية، وكل ما يؤدي إلى تفرق المسلمين، وزعزعة وحدتهم، وتشتت شملهم، وتفرق كلمتهم.
- واستغلال وسائل التواصل الاجتماعي كالفيسبوك، والتويتر وغيرها، يبثون فيها الشبه والشكوك حول الإسلام وأهله وعقيدته، وشريعته ولغته، وعظمائه.

ولا يزالون يستحدثون الوسائل، ويبثون فيها كل ما يؤدي إلى تحقيق هدفهم.

أساليب الغزو الفكري وأدواته ودعائمه.

استخدم الغزاة أساليب متعددة وأدوات مختلفة؛ للوصول إلى غاياتهم وأهدافهم؛ فإنه لشدة عداوتهم، وسوء نيتهم، وخبثهم وكيدهم ومكرهم لم يقتصروا على أسلوب واحد وأداة منفردة، بل تعددت أساليبهم وأدواتهم، فطوائف منهم اشتغلت بمحاولة تنصير المسلمين وإغرائهم بالدخول في النصرانية بشتى الطرق والوسائل، وطوائف أخرى تخصصت بدراسة علوم المسلمين، وتاريخهم، ولغتهم، ومجدهم وحضارتهم، فدرسوا كل ما يتعلق بالإسلام وبتعاليمه، ليغزوا المسلمين من داخلهم، فيشوهوا صورة الإسلام الناصعة وحقيقته الباهرة، وطوائف أخرى اختارت فئة من أبناء المسلمين، ربوهم على حب الغرب وتعاليمه وحضارته ومبادئه وأصوله، ووفرت لهم كل ما يحتاجونه؛ ليقوموا بدورهم حق قيام في بلدانهم الإسلامية.

فاجتهدّ هؤلاء الأبناء البررة بنقل أفكار ومبادئ ومذاهب الغرب إلى العالم الإسلامي.

فأنت ترى أخي القارئ الكريم تنوع أساليب الغزو الفكري وتعدد أدواته، ويمكن إجمالها في ثلاثة دعائم وأركان:

الأول: التنصير المسمَّى بـ "التبشير".

والثاني: الاستشراق.

والثالث: التغريب.

وسيأتي الحديث عنها تفصيلًا في المباحث القادمة بإذن المولى –عزوجل–.

آثار الغزو الفكري.

إن الهدف من الغزو الفكري هو القضاء على الإسلام ومنع انتشاره، فهل تمكن الغزاة من تحقيق ما يصبون إليه؟

الجواب: لا، وبكل تأكيد، فإن القضاء على الإسلام أمر مستحيل بل ممتنع غاية الامتناع؛ فإن هذا الدين باقٍ بحفظ الله له، قوي بنصر الله وقوته، قال الله عزوجل: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩].

وقال تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [الصف: ٨].

فهو نور الله الذي يأبى أن يطفأ، ولا يزال باقيًا محفوظًا مهما بلغ كيد الأعداء، ومهما بلغ مكرهم وتخطيطهم، ومهما بلغت قوتهم، ومهما بلغ ضعف المسلمين وتخلفهم، وكيد الظالمين في تباب، ومخططاتهم وغزوهم آيلٌ بلا مرية ولا أدنى شك إلى الهلاك والزوال.

ومع ذلك: فإن الحقيقة التي يجب أن لا نغطي أعيننا عنها، وأن لا ننكرها هو:

أن غزو أعدائنا الفكري كانت له آثار سيئة على العالم الإسلامي شئنا أم أبينا من ذلك:

- تنحية الشريعة الإسلامية عن شؤون الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في بعض بلدان العالم الإسلامي أو كثير منها.
- انتشار الفساد الأخلاقي، ونبذ القيم والمبادئ الإسلامية، في بعض بلدان العالم الإسلامي.
- تغريب التعليم والثقافة.
- تغريب وسائل الإعلام.
- اختلاط المفاهيم الإسلامية وتحريفها وتغييرها.
- انتشار الإلحاد بين أبناء المسلمين، من إنكار وجود الرب تعالى، وإنكار البعث والنشور، والجنة والنار وغير ذلك من أمور الغيب.

- تبني بعض دول المسلمين لبعض المذاهب الفكرية كالعلمانية، والقومية البعثية، والشيوعية والاشتراكية والرأسمالية وغيرها من المذاهب الوافدة والتيارات الهدامة.
- تمزيق وحدة المسلمين، وتفكيك العالم الإسلامي.
- ظهور وانتشار الخلافات والتعصبات العرقية والقبلية والمذهبية بقوة بين أبناء المسلمين.
- الانحراف العقدي لدى بعض أبناء المسلمين، وبعدهم عن التمسك بالعقيدة الإسلامية الصحيحة.
- تقديس العقل والمادة، وضعف تعظيم النصوص ووهنها في قلوب بعض المسلمين.
- تمجيد اللغات الأجنبية، وضعف المسلمين بلغتهم العربية الفصحى، وانتشار اللهجات العامية بينهم.
- ظهور جماعات الغلو والتطرف كردة فعل لمظاهر الغزو الفكري.
- تمكين بعض الفرق الباطنية من حكم بعض بلاد المسلمين، وتهيئة سبل الدعوة والحركة والنشاط لفرق باطنية أخرى.

وهذه الآثار تختلف من بلد إلى آخر، فتقل في بعض بلاد المسلمين، وتكثر وتزيد في بلدان أخرى، وتطفو على السطح وتقوى في أوقات، وتنكمش وتخفت في أوقات أخرى.

ومع كل ذلك فإن أشعة الصباح بازغة، وسيعقبها بإذن الله ضياء مستمر شامل، ونهار دائم ،وصباح سرمدي أبدي.

سبل مواجهة الغزو الفكري.

عرفنا فيما مضى خطر الغزو الفكري ، وأهدافه، ومجالاته، ومظاهره، ووسائله وأدواته، وآثاره على العالم الإسلامي ، فهل نبقى مكتوفي الأيدي، ونكتفي بالمشاهدة والشكوى والألم والحزن والأنين، أم يجب علينا بذل كل الجهود الممكنة ؛لمواجهة هذا الغزو ومقاومته والانتصار عليه، ووقف زحفه وإفساده في الأرض.

لاشك لدى كل العقلاء والغيورين على دينهم وأمتهم أن الثاني هو المتعين والواجب واللازم ، فإذا كان الأمر كذلك فما هي سبل المواجهة ؟

يتجلى بعض ذلك من خلال الآتي:

١) التمسك بالعقيدة الإسلامية.

إن العقيدة هي العلاج الناجع ، والسلاح القوي النافذ ، الذي يهز أركان العدو، ويزعزع عرشه، وهي مصدر الكرامة والعزة والفلاح والمنعة ، وهي النجاة للعبد في دنياه وأخراه، وبها سعادته وعزته وقوته ، ولهذا كانت أول دعوة الأنبياء والمرسلين، فما من نبي إلَّا قال لقومه: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ﴾ [الأعراف: ٥٩].

وإن دراستها تعتمد على **أصلين جليلين** عظيمين:

الأول: القرآن الكريم.

والثاني: السنة النبوية.

وفهمها يكون على وفق فهم سلف الأمة ، وإن من أفقه العلماء بهذا: هو شيخ الإسلام ابن تيمية، الذي وقف على النصوص وعلى كلام السابقين من السلف الصالحين الراسخين، فشرحه وفصّله وأسهب في بيانه، في كتبه الكثيرة ، لم يأت فيها بجديد، ولم يحدث حدثًا في الدين، ثم جاء بعده علماء أجلّاء، وأئمة كرماء، من أعظمهم: الإمام المجدّد محمد بن عبد الوهاب الذين جدّد ما اندرس من الدين، ودعا إلى ما جاء به الأنبياء والمرسلون من التوحيد والتمجيد والتعظيم لله رب العالمين.

وسار على نهجه تلاميذه وتلاميذ تلاميذه إلى عصرنا الحاضر، فقام بالدعوة إلى التوحيد وإلى الشريعة السمحاء، من شرب من ذلك الماء الصافي والمنهل العذب الزلال من أمثال الشيخ ابن عثيمين وابن باز والألباني وغيرهم من أهل العلم.

وكانت لهذه الدعوة المباركة آثار طيبة حسنة على العالم أَجمع.

ولم ينتفع العالم الإسلامي اليوم كانتفاعه بهذه الدعوة المباركة التي ملأت الدنيا تمجيدًا لله وتعظيما له وإجلالًا وخضوعًا ، فأخرج الله لمن ساندها ودعا إليها كنوز الأرض فأصبحت دولة التوحيد (المملكة العربية السعودية) مورد العالم دينيًا واقتصاديا.

وإن دراسة كتب هذين الإمامين: ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب هي من أهم الطرق المؤدية إلى صفاء العقيدة وتنقيتها من الشرك والخرافات والخزعبلات؛ لاعتماها على الوحيين، وموافقتها للعقل والفطرة.

وإليك المنهج العلمي المختصر لدراسة أهم كتب هذين الإمامين:

١. دراسة الأصول الثلاثة.

٢. كتاب التوحيد.

٣. كشف الشبهات.

وكلها للإمام محمد بن عبد الوهاب.

٤. العقيدة الواسطية.

٥. الفتوى الحموية.

٦. التدمرية.

وكلها لشيخ الإسلام ابن تيمية.

والشروح لهذه الكتب كثيرة ونافعة، ومن أحسنها شرح شيخنا محمد بن صالح العثيمين رحمه الله.

ثم يدرس المسلم بعد ذلك متن "العقيدة الطحاوية" للطحاوي، وأفضل شروحه هو "شرح العقيدة الطحاوية" لابن أبي العز الحنفي رحمه الله.

وبهذا يكون المرء قد وقف على أغلب مسائل الاعتقاد، وألمّ بعقيدة أهل السنة والجماعة، وحصّن نفسه.

ثم بعد ذلك يقرأ ماشاء من كتب شيخ الإسلام المطولة ومن كتب العقائد المسندة وماشاء من الكتب الأخرى .

٢) نشر العقيدة وبثها في أرجاء المعمورة:

- بعد تمسك المسلم بالعقيدة الصحيحة المبنية على القرآن والسنة لا يكتفي بذلك بل لابدّ له من نشرها وبثها وإنقاذ الناس من الضلال والتيه، وإنارة الطريق لهم وتبصيرهم بدينهم وبالعقيدة الصحيحة.
- وذلك بنشرها عن طريق مناهج التعليم، ووسائل الإعلام، وإنشاء المعاهد والجامعات والمدارس؛ لتدريسها، وبناء المساجد وإحيائها بالشعائر الإسلامية وبإقامة الدورات العلمية، والمحاضرات، والندوات.
- وإن رجوعك أخي الكريم إلى بلدك وإنشاء معهد أو مدرسة أو جامعة أو بناء مساجد؛ لتعليم العقيدة والتوحيد واللغة العربية وعلوم الشريعة لهو من أنفع السبل وخير الطرق، وأنجع الوسائل ؛ لمواجهة الغزو الفكري.
- وإن الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة لتمثل وسيلة من وسائل الغزو الفكري، فكم انتفع بها من

أبناء المسلمين، وكم لها من جهود مباركة في نشر العقيدة الصحيحة، إنها لنورٌ يستضاء به، ونبراس يحتذى به.

- وكلّ ذلك إنما يتم بالحكمة والموعظة الحسنة، وأما العنف فإنه يقابل بالعنف، والشدة تقابل بالشدة، وما كان الرفق في شيء إلَّا زانه، وما نُزع من شيء إلَّا شانه، وما استفاد العالم الإسلامي من التطرف والغلو والعنف سوى الدمار والهلاك ، والويلات تلو الويلات ، والنكبات تلو النكبات.

٣) مقابلة الفكر بالفكر:

إن الغزو الفكري لا يقاوم بالصراخ والعويل واللعن والشتم والسب، وإنما يقاوم بالحجة والبرهان، وكشف وبيان محاسن الإسلام، وسمو تعاليمه وتشريعاته، وكمال لغته، وقداسة أصوله ودستوره، وفضل نبيه ونشر أَخلاقه ومحاسنه وشمائله ومناقبه.

إن الغزو الفكري يقاوم بهتك أستار الغزاة وفضح أفكارهم، وإظهار عوارهم وسوآتهم، بالتأليف والمقالات والبحوث، وبوسائل التعليم، ووسائل الإعلام، وعن طريق مواقع التواصل الاجتماعي، وبشتى الطرق ومختلف الأساليب.

٤) نقل الحقائق إلى بلدانهم وفي عقر دارهم:

كما أنهم يسعون جاهدين ليل ونهار بلا كلل ولا ملل في إثارة الشبه والشكوك حول الإسلام وتشريعاته ورسوله وعظمائه ، ويسعون في نشر مذاهبهم الفكرية والتيارات إلى العالم الإسلامي فعلينا نحن المسلمين أن نقوم بنفس الطريقة والمنهج الذي يسيرون عليه بحسب القدرة والإمكان ؛ لنقل أفكارنا وديننا إليهم في بلدانهم وفي عقر دارهم.، ونثير الشبه والشكوك حول مذاهبهم وعقائدهم ودينهم ، وإثارة الشبه والشكوك حول ما يعتقدون هو حق وحقيقة ، وإنما سميناها كذلك من باب التنزل معهم.

إنَّ علينا:

أن نلفت انتباههم إلى الخلل والزلل والفساد في الرأسمالية والشيوعية والديمقراطية والليبرالية، وأن نركز على ذلك، ونقف كثيرًا عنده.

وأن نثير انتباههم إلى ما في النصرانية من مخالفة للعقل (كقولهم بالتثليث وأن الآب والابن وروح ثلاثة أقانيم وهي إله واحد) .

ومافيها أيضًا: من مخالفة لموازين العدل (كقولهم بصلب المسيح فداءً للبشر من خطيئة آدم).

إنَّ علينا:

أن نكون مهاجمين قبل أن يهاجمونا، لا يكفي مجرد الدفاع وردّ الشبه حول الإسلام، بل مع ذلك نعكس الأمر عليهم فنهاجمهم فكريًا وعقديا.

وإذا أثاروا شبهة حول الإسلام رددنا عليهم سريعًا، ثم رجعنا للهجوم، ننقضّ عليهم، ونجعل الدائرة عليهم.

وأخيرًا أقول:

إنَّ الحل والعلاج والمقاومة تبدأ أولًا: بإصلاح الفرد لنفسه ، ثم إصلاح أُسرته، إصلاح أبنائه وبناته وزوجه وأهله وبيته.

وإذا صلح الفرد وصلحت الأسرة صلح المجتمع، وإذا صلح المجتمع صلحت الدولة ، وكما تكونون يولّ عليكم.

التنصير

مفهوم التنصير وصلته بالاستعمار.

مفهومه لغة: يقال: تنصّر الرجل: دخل في النصرانية، ونصّره تنصيرًا: جعله نصرانيا، ومنه الحديث: "كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصّرانه أو يمجسانه".

والمراد بالتنصير الدعوة إلى الدخول في النصرانية.

ويطلق عليه النصارى: التبشير.

والتبشير لغة: عبارة عن الخبر الذي يُؤثّر في البشرة تغييرًا.

وهو عند الإطلاق لا يكون إلَّا بالخير، ولا يستعمل في الشر إلَّا مقيّدا كقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤] وقوله: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٣٨].

والحقيقة: أن التبشير لا يصحّ ولا يقبل إطلاقه على "التنصير" لمخالفته للحق والواقع، فإن التنصير شرّ وأي شرّ، وهو خسارة للمرء في الدنيا والآخرة . لكن إذا أطلق مقيدًا بأن قيل "التبشير بالشر" فهنا يصح إطلاقه على التنصير، وهو لا يستعمل كذلك في عُرف النصارى.

وبناءًا عليه فإننا لن نستعمل هذا الاصطلاح (التبشير) عند حديثنا عن التنصير؛ لمخالفته للحق والواقع ، وسوف نستعمل اللفظ المطابق للحقيقة وهو "التنصير".

والتنصير في الاصطلاح له مفهومان:

مفهوم العام: وهو موافق للمعنى اللغوي، وهو الدعوة إلى الدخول في النصرانية. والمراد النصرانية المحرّفة (النصرانية البولسية) التي هي دين بولس ، وليست دين عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام .

مفهوم خاص:

حركة دينية سياسية استعمارية؛ ظهرت لنشر النصرانية بين الأمم المختلفة وبين المسلمين على وجه الخصوص؛ للسيطرة على الشعوب وإخضاعها للأوروبيين.

وهذا المفهوم الخاص للتنصير ظهر بعد اتخاذها طابع التنظيم والحركات، وكان ذلك بعد الحروب الصليبية، وامتدّ وتوسّع ونشط بعد الاستعمار الحديث؛ ولهذا فإن التنصير مرتبط ارتباطًا وثيقًا بالاستعمار، فهو أداة له، ووسيلة، وطريق لإخضاع الشعوب للمستعمرين، والاستعمار مساند له ، وخير معين للتنصير، ومسهّل له وداعم رئيسي.

فالتنصير والاستعمار لا ينفكان ولا يفترقان.

تاريخ التنصير.

التنصير بمفهومه العام هو جزءٌ من عقيدة الفرد النصراني، وهو في ذلك متبع لمسيرة الرسل الاثني عشر (الحواريين)، الذي انتشروا في أصقاع الأرض يبلغون رسالة المسيح طبقًا للعقيدة النصرانية.

والعقيدة النصرانية البولسية تزعم أنَّ النصرانية ديانة عالمية لجميع أهل الأرض، وهذه من الخرافات والتحريفات التي جاء بها بولس ،ولهذا فهم يدعون إلى النصرانية، وهي جزء من عقيدتهم، وبلغ التنصير ذروته طبقًا للرواية التاريخية النصرانية في عصر الشهداء، التي أينعت ثمارها باعتناق امبراطور روما للدين النصراني، وتحول أوروبا إلى النصرانية في القرنين الرابع والخامس الميلاديين.

وبعد الحروب الصليبية التي بآءت بالفشل والهزيمة الساحقة المرَّة ازداد نشاط التنصير واتسع، فإنّ لويس التاسع بعد وقوعه في الأسر في الحرب الصليبية السابعة وجه النصارى إلى الغزو الفكري ؛ لإضعاف المسلمين والقضاء عليهم من خلال استهداف عقيدتهم؛ إذ هي مكمن القوة فيهم " وتحولت الحملات الصليبية العسكرية إلى حملات صليبية سلمية تستهدف الغرض نفسه، لا فرق بين النوعين، إلَّا من حيث نوع السلاح المستخدم في المعركة، وتجنيد المبشرين الغربيين في هذه المعركة السلمية، واعتبار هؤلاء المبشرين في تلك المعركة جنودًا للغرب".

- ويُعدّ (ريمون لول) أول نصراني تولى التنصير بعد فشل الحروب الصليبية، إذ إنه قد تعلم اللغة العربية بمشقة، ثم أخذ يجول في بلاد الشام مناقشًا لعلماء المسلمين.
- ومنذ القرن الخامس عشر وأثناء الاكتشافات البرتغالية دخل المنصرون الكاثوليك إلى إفريقيا، ويعد ذلك بكثير أخذت ترد الإرساليات النصرانية البروتستانتية الانجليزية والألمانية والفرنسية.
- و(البارون دوبيتز) هو من حرّك ضمائر النصارى منذ عام (١٦٦٤م) إلى تأسيس كلية تكون قاعدة لتعليم التنصير.
- وكان للمنصِّر (هنري مارتن) (ت ١٨١٢م) يدٌ طولى في إرسال المنصرين إلى بلاد آسيا الغربية، وقد ترجم التوراة إلى الهندية والفارسية والأرمنية.
- ويُعدّ (صموئيل زويمر) من أكبر أعمدة التنصير في العصر الحديث، وقد أسس معهدًا باسمه في أمريكا ؛ لأبحاث تنصير المسلمين، وكان يتولى إدارة مجلة العالم الإسلامي الإنجليزية التي أنشأها سنة (١٩١١م).

أهداف التنصير.

تتجلى أهداف التنصير من خلال النقاط الآتية:

١) إدخال الأمم المختلفة والمسلمين خاصة في النصرانية.

وفي ذلك يقول "روبرت ماكس" أحد المنصرين: "ولن تتوقف جهودنا وسعينا في تنصير المسلمين حتى يرتفع الصليب في سماء مكة ويقام قداس الأحد في المدينة". والله عزوجل قد أوضح لنا ذلك أيما إيضاح حيث قال في كتابه الكريم: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ... ﴾ [البقرة: ١٠٩].

وقال أيضًا: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ... ﴾[البقرة: ١٢٠].

٢) السيطرة على العالم الإسلامي وسلب خيراته:

وفي بيان ذلك يقول (لورانس براون) : "إذا اتحد المسلمون في امبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطرًا، أو أمكن أن يصبحوا أيضًا نعمة له، أما إذا بقوا متفرقين فإنهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير".

وأوضح من ذلك تعبير (القس سيمون) لما قال: "إن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب السمر (يريد المسلمين) وتساعدهم على التخلص من السيطرة الأوروبية، ولذلك كان التبشير عاملًا مهمًا في كسر شوكة هذه الحركة ؛ وذلك لأن التبشير يعمل على إظهار الأوروبيين في نور جديد جذاب، وعلى سلب الحركة الإسلامية من عنصري القوة والتمركز اللذين هما فيها: إذا كانت الوحدة الإسلامية تكتلا ضد الاستعمار الأوروبي، ثم استطاع المبشرون أن يظهروا الأوروبيين في غير مظهر المستعمر، فإن الوحدة الإسلامية حينئذ تفقد حجة من حججها وسببًا من أسباب وجودها".

وهذا النص يفيد ويوضح هدفًا من أهداف التنصير وهو سيطرة الأوروبيين على بلاد المسلمين، ويوضح أيضًا: وسيلة من وسائل السيطرة والاستعمار، وهو تمزيق وحدة المسلمين وتشتيت شملهم وتفريق كلمتهم.

ويوضح أيضًا: العلاقة الوطيدة بين التنصير والاستعمار، فالتنصير عاملٌ مهمٌ من عوامل الاستعمار.

٣) إخراج المسلمين من دينهم وتركهم بلا ملة ولاعقيدة ولا هوية إسلامية.

يقول (صموئيل زويمر) في بيان هذا الهدف في مؤتمر تنصيري عقد بالقدس عام (١٩٢٨م) مخاطبًا الحاضرين قائلًا:

"أيها الأبطال والزملاء الذين كتب لهم الجهاد في سبيل المسيحية واستعمارها لبلاد الإسلام... فأحاطتهم عناية الرب بالتوفيق الجليل المقدس...

لقد أديتم الرسالة التي نيطت بكم أحسن أداء، ووفقهم لها أسمى التوفيق، وإن كان يخيل إليَّ أنّه مع إتمامكم العمل على أكمل الوجود، لم يفطن بعضكم إلى الغاية الأساسية فيه.

أنني أقركم على أن الذين دخلوا من المسلمين في حظيرة المسيحية لم يكونوا مسلمين حقيقين، لقد كانوا أحد ثلاثة:

١. إما صغير لم يكن له من أهله من يعرفه ماهو الإسلام.

٢. أو رجل مستخف بالأديان لا يبغي غير الحصول على قوت يومه، وقد اشتدّ به الفقر وعزّت عليه لقمة العيش.

٣. وآخر يبغي الوصول إلى غاية من الغايات الشخصية.

ولكن مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية، ليست إدخال المسلمين في المسيحية، فإن هذا هداية لهم وتكريما، وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام؛ ليصبح مخلوقًا لا صلة له بالله، وبالتالي فلا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها، وبذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية... ولقد أعددتم في ديار الإسلام شبابًا لا يعرف الصلة بالله، ولا يريد أن يعرفها، وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية، وبالتالي جاء النشئ طبقًا لما أراده الاستعمار... لا يهتم للعظائم ويحب الراحة والكسل، ولا يصرف همه في دنياه إلَّا للشهوات...".

لقد صدر عنه هذا الكلام؛ بغية التسلية لنفسه ولاخوانه المنصرين بعد أَن بآءوا بالفشل، وخابوا في تحقيق هدف التنصير الرئيس وهو إدخال المسلمين في دينهم، ورجعوا بالخيبة والخسارة والثبور، فلما لم يحققوا هذا الهدف تمام التحقيق أصبح هدفهم بعد ذلك هو إخراج المسلمين من دينهم، وزعزعة الإسلام في قلوبهم، وتشويه صورته، وإثارة الشبه والشكوك حوله، وتركهم بلا عقيدة ولا ملة ولا دين، حيارى متهوكين مضطربين؛ ليتسن لهم بعد ذلك السيطرة على بلاد المسلمين ونهب خيراتها.

وتأمّل قوله: "وبذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية".

يتبيّن لك مدى العلاقة البالغة القوية بين التنصير والاستعمار، فالتنصير طليعة للاستعمار ومقدمة له، وبه يتبين أن التنصير مهمة دينية سياسية استعمارية ؛ لافساد دين المسلمين والسيطرة على بلدانهم،

ونهب خيراتهم.

وسائل التنصير القديمة والمعاصرة، ومجالات أنشطة المنصرين.

الوسائل التي يتخذها المنصرون في سبيل تحقيق هدفهم متعددة، ومتنوعة، ومتجددة، ولهم وسائل تقليدية، ووسائل مبتكرة حديثة، ولا يألون جهدًا في استحداث وابتكار الوسائل، والانتفاع والاستفادة من شتى الوسائل القديمة والمعاصرة، والوسائل المباشرة وغير المباشرة، الظاهرة منها والخفية.

وهي على وجه الإجمال كالآتي:

- بناء الكنائس.
- تأليف الكتب الداعية للنصرانية والتي تحاول تشويه الإسلام.
- توزيع الكتب الداعية للنصرانية .
- توزيع الكتب التي تحاول تشويه الإسلام.
- بناء رياض الأطفال.
- بناء المدارس والمعاهد.
- بناء الجامعات.
- إقامة المؤتمرات.
- الجمعيات التنصيرية.
- الأعمال الاجتماعية.
- بناء المستوصفات والمستشفيات (التطبيب).
- إثارة الفتن والحروب.
- الشبكة العنكبوتية (الانترنت).
- مواقع التواصل الاجتماعي (التويتر والفيسبوك وغيرها).
- اليوتيوب .
- وسائل الإعلام المرئية والمسموعة.
- الرسائل البريدية الالكترونية.

وغيرها من الوسائل.

وسأقف هنا مع بعض هذه الوسائل، وأنقل كلام المنصرين حول بيان أهميتها والحث على استغلالها

للوصول إلى غاياتهم.

التنصير والتعليم:

يُعدّ التعليم وسيلة فعّالة لكل أصحاب الأفكار والمبادئ الحقة والباطلة، فهو يؤثر تأثيرًا بالغًا في المتلقين والمتعلمين؛ لذا فإن المنصّرين لم يقصّروا في هذا المجال، فبنوا رياض الأطفال، والمدارس، والمعاهد، والجامعات التي تصرّح بالدعوة إلى النصرانية وتعليمها، أو التي تخفي ذلك وتدسّ السُّم في العسل.

وحول بيان أهداف التعليم يقول نفر من المنصرين: "إن أهداف المدارس والكليات التي تشرف عليها الارساليات في جميع البلاد كانت دائمًا متشابهة، إن المدارس والكليات كانت تعتبر في الدرجة الأولى واسطة لتمرين قسس الكنيسة... حتى أن الموضوعات العلمانية التي تعلم، من كتب غربية، وعلى يد مدرسين غربيين، تعمل معها الآراء النصرانية".

وحول الموضوع ذاته يقول (هنري جب): "إن التعليم في مدارس الإرساليات المسيحية إنما هو واسطة إلى غاية فقط، هذه الغاية هي قيادة الناس إلى المسيح وتعليمهم، حتى يصبحوا أفرادًا مسيحيين وشعوبًا مسيحية".

وحول أهمية التعليم كوسيلة للتنصير يقول (المستر نبروز): "لقد أدّى البرهان إلى أَنّ التعليم أثمن وسيلة استغلها المبشرون الأمريكيون في سعيهم لتنصير سورية ولبنان...".

حقًّا إن أثمن وسيلة، وأقرب طريق لأي غاية هو التعليم، به تستطيع الأمم تغيير الأفكار، وتحويل المباديء، وتحريف العقائد، وإثارة الشبه والشكوك، وتشويه الحق الناصع، وزعزعة الثقة في قلوب المتلقين.

التنصير والتطبيب:

التطبيب من وسائل التنصير غير المباشرة، وهي وسيلة خطيرة جدًا؛ لما فيها من كسب القلوب بالإحسان، وإمالتها لهم، ومن ثم غرس المبادئ والعقائد الفاسدة فيها، ظاهرها خدمة المرضى والمصابين والإحسان إليهم، وباطنها وحقيقتها الدعوة إلى الدخول في النصرانية، ومحاولة تشويه الإسلام ، وإخراج المسلمين من دينهم وتركهم بلا دين على الأَقل.

يقول المنصِّر (موريسون): "نحن متفقون بلا ريب على أَن الغاية الأساسية من أعمال التنصير بين المرضى الخارجين في المستشفيات: أن نأتي بهم إلى المعرفة المنقذة، معرفة ربنا يسوع المسيح، وأن

ندخلهم أَعضاء عاملين في الكنيسة المسيحية الحية".

وتقول المنصّرة (إيرا هاريس) ناصحةً الأطباء المنصرين: "يجب أن تنتهز الفرص لتصل إلى آذان المسلمين وقلوبهم فتكرز لهم بالإنجيل، إياك أَن تضيع التطبيب في المستوصفات والمستشفيات، فإنه أثمن تلك القرص على الإطلاق، ولعلَّ الشيطان يريد أَن يفتنك فيقول لك: إن واجبك التطبيب فقط لا التبشير، فلا تسمع منه".

وانظر كيف يزين لهم الشيطان هذه الدعوة الباطلة فيصورها لهم في صورة الخير والحق، وبذل الجهد في سبيلها، وهي في الحقيقة الخسارة للعبد والهلاك له في الدنيا والآخرة.

واسمع ماذا يقول المنصر الطبيب (اراهارس): "يجب على طبيب إرساليات التبشير أن لا ينسى ولا في لحظة واحدة أنه مبشر قبل كلّ شيء، ثم هو طبيب بعد ذلك".

التنصير الهدف الأول قبل التطبيب، إن الطب مهنة شريفة سامية، هدفها الأول والرئيس: هو معالجة المرضى، والتخفيف من آلامهم ومداوة جراحهم ، وإن هؤلاء المنصرين خرجوا عن هذا الهدف، وحوّلوا التطبيب إلى مصيدة للمسلمين، وأداة للخديعة، وطريق لرق القلوب والأرواح.

لقد استعملوا الأساليب المختلفة في الطب من أجل تنصير المسلمين ، فمنهم من كان لا يعالج المرضى إلَّا بعد أن يحملوهم على الاعتراف بأن الذي يشفيهم هو المسيح ، وهذا وقع في بعض مدن السودان. وفي الحبشة كانت المعالجة لا تبدأ قبل أن يركع المرضى ويسألوا المسيح أن يشفيهم ، ولهم وسائل وطرق أخرى في استغلال مهنة الطب لتنصير المسلمين.

التنصير والأعمال الاجتماعية:

الاحسان يملك القلوب، ويميلها إلى المحسنين، وهو ميدان رحب واسع، تتعدد وسائله وطرقه ، فمنه: إنشاء المساكن والملاجيء للفقراء واليتامى والأرامل والمعوزين والمحتاجين، ومنه حفر الآبار، والدعم المالي ، وإنشاء بيوت للشباب، والاعتناء بالرياضة والأندية وأعمال الترفية، والزيارات والصلات اليومية والأسبوعية، والاتصال بالأطفال والنساء.

ومحاولة إصلاح الأحوال العامة للعمال والرفق بالحيوان ، ومحاولة إصلاح الأمور الصحية في المعامل ، وغير ذلك من طرق ووسائل الأعمال الاجتماعية التي اعتنى بها المنصرون؛ بغية الوصول إلى تنصير المسلمين وإخراجهم من دينهم، وتشويه صورة الإسلام في نفوسهم.

والتنصير عبر الأعمال الاجتماعية هو وسيلة من وسائل التنصير غير المباشرة، وهو سلاح ذو حدين،

يستعمل في الشر ويستعمل في الخير، يوصل إلى الحق ويوصل إلى الباطل، والمسلمون أولى به وأجدر .

جاء في كتاب "مؤتمر العاملين المسيحيين بين المسلمين": "نحن نعني بالعمل الاجتماعي المسيحي: تطبيق مبادئ يسوع المسيح جميع الصلات الإنسانية... فالنشاط الاجتماعي يجب أن يرافق التعليم المباشر للإنجيل ويساعده ويتمّه... فلنبدأ بالصلات اليومية، تلك التي تتصل بالطفل وبالمرأة، ثم نتوسع في تلك الصلات حتى نبلغ إلى المبادئ الواسعة التي أقرتها عصبة الأمم... من أجل ذلك نحن ننصح بالسير في الأعمال الاجتماعية على الأسس التالية:

إيجاد بيوت للرجال والنساء، وخصوصًا الطلبة منهم ومنهن، إيجاد الأندية، الاعتناء بالتعليم الرياضي، وأعمال الترفية، حشد المتطوعين لأمثال هذه الأعمال...

ومما يجب أن يهتم المبشرون به (في الظاهر): إصلاح الأحداث ،الحيلولة دون الزواج الباكر الحيولة دون تشغيل الأطفال ، محاولة إصلاح الأحوال العامة للعمال فيما يتعلق بساعات العمل وبالأجور وبالأمور الصحية في المعامل، الرفق بالحيوان...".

التنصير وشبكة المعلومات العالمية:

وسائل التنصير متجددة، وكل وسيلة توصلهم إلى غايتهم لا يقصرون في استخدامها، ومن وسائلهم الحديثة المتجددة:

شبكة المعلومات العالمية، ووسائل التواصل الحديثة ، بثوا فيها سمومهم، ونشروا أباطيلهم، ورموا بالشبه والشكوك حول الإسلام عبر:

المجموعات البريدية، والمنتديات الحوارية، ومواقع الشبكات الاجتماعية، التويتر ، والفيسبوك، وعبر الملفات المرئية في اليوتيوب وغيرها .

وحول الاستفادة من هذه الوسائل:

يقول (خيسوسي كولينا): "ولابدّ للكنيسة من أن تتماشى مع العصر، وأن لا يسبقها قطار التفاعل الرقمي".

ويقول المنصر المصري (زكريا بطرس): "هذه الوسيلة منحة من الربّ يجب استغلالها".

وفي مقدمة أحد البرامج التدريبية للمنصرين على الشبكة نجد قولهم: "يجب استخدام التقدم التكنولوجي لنشر الإنجيل"، وقولهم: "لقد حان الوقت للمؤمنين لزيادة استفادتهم من إمكانيات شبكة

الانترنت؛ لأغراض التبشير العالمي".

واقع التنصير.

تحدث شيخنا غالب عواجي -رحمه الله- في كتابه :"المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها " عن واقع التنصير في العالم الإسلامي، وذكر جملاً من ذلك ومن الاحصائيات والتقريرات ومايدور في فلكها حول التنصير، وخصص الحديث عن التنصير في بعض الدول كالسنغال، وإندونيسيا ، والسودان، وتايلند، وغيرها ، فراجعه فهو مفيد لمن أراد الإلمام العام بالموضوع.

سبل مواجهة التنصير المعاصر.

لقد قام المنصرون بدعم من المستعمرين ببذل كل ما يمكن بذله ؛ بغية تنصير الأمم المختلفة ، والمسلمين على وجه الخصوص.

وإن المسلمين لهم دور يذكر فيشكر في مواجهة التنصير ، إلا أنّه لا يبلغ جهد ونشاط واتساع وامتداد عمل المنصرين والمستعمرين.

وإنَّ سبل مقاومة التنصير تتضح وتتجلى من خلال معرفة الأدوات أوّلًا ثم الوسائل ثانيا.

فأما الأدوات والأساليب والدعائم لمواجهة التنصير فهي كالتالي:

- تسليح المسلمين بالعقيدة الإسلامية الصافية الصحيحة.
- توعية المسلمين بحقيقة التنصير، وأنه أضحى حركة دينية سياسية استعمارية.
- دحض شبهات المنصرين وكشف عوارهم وفضح مخططاتهم.
- دفع الشبه والشكوك التي يثيرونها حول الإسلام.

وأما الوسائل التي تستخدم في تفعيل هذه الأساليب والأدوات والدعائم فهي كالآتي:

- بناء المساجد.
- تأليف الكتب.
- ترجمة القرآن الكريم إلى جميع لغات العالم. ومجمع الملك فهد رحمه الله لطباعة المصحف الشريف في المدينة المنورة له جهود جبارة في هذا المجال.
- ترجمة كتب أهل العلم المتخصصة في الرد على النصارى ودحض شبهاتهم.
- نشر وتوزيع وطباعة الكتب التي تبين سمو الإسلام، والتي ترد علي شبه المنصرين.

- نشر الكتب التي تدعو النصارى إلى الإسلام.
- بناء رياض الاطفال.
- بناء المدارس والمعاهد والجامعات للمسلمين ولدعوة النصارى للإسلام.
- إقامة المؤتمرات.
- إنشاء الجمعيات الإسلامية عموما، والخاصة بالتحذير من التنصير ودفع شبههم.
- الأعمال الاجتماعية من الصلات اليومية، والاتصال بالأطفال والنساء، وإقامة الأندية، وبناء المساكين للفقراء والمحتاجين والأرامل والأيتام والمطلقات ، وإنشاء بيوت للشباب، وإصلاح الأحوال العامة للعمال وغير ذلك من الخدمات الاجتماعية.
- بناء المستوصفات والمستشفيات، واستغلالها في تثبيت الإيمان في قلوب المسلمين، وفي تحذيرهم من التنصير ودفع شبه المنصرين، وفي دعوة النصارى للإسلام.
- الاستفادة من شبكة المعلومات العالمية، ووسائل التواصل المختلفة، والخدمات البريدية، والملفات المرئية وغيرها في الدعوة إلى الإسلام، وتثبيت الإيمان في قلوب المسلمين، والتحذير من التنصير.
- إعطاء المنح للطلاب من شتى البلدان للدراسة في الجامعات الإسلامية في بلاد المسلمين. والجامعة الإسلامية في المدينة المنورة لها جهود جبارة في هذا المجال.
- إعداد الدعاة وكفالتهم وتفريغهم للدعوة الإسلامية.

والحاصل:

أن كثيرا من الوسائل هي وسائل مشتركة، وهي سلاح ذو حدين، تستعمل في نشر الحق، وتستعمل في نشر الباطل، تستخدم في الخير، وتستخدم في الشر ، والمسلمون أولى وأجدر بها من غيرهم. فكل وسائل مشتركة يستخدمها النصارى فعلى المسلمين أن يكونوا أولى باستعمالها، وأن يستغلوها أتم الاستغلال، وأن ينتفعوا بها كل الانتفاع.

الاستشراق.

مفهوم الاستشراق.

- الاستشراق تعبير يدل علي الاتجاه نحو الشرق.

- ويطلق على الدراسات المتعلقة بالشرقيين، بتاريخهم، وأديانهم، ولغاتهم، وثقافتهم، وحضارتهم، وآدابهم، وأوضاعهم الاجتماعية، وبلدانهم، وما فيها من كنوز وخيرات، وكل ما يتعلق بهم.

والمستشرقون: هم طوائف من دول مختلفة تعمل في ميادين الدراسات الشرقية الخاصة بالعالم العربي والصين والفرس والهند ، لكن غلب إطلاق هذا اللفظ على النصارى الذين اشتغلوا بالدراسات الإسلامية واللغة العربية.

- وكان هدف الغربيين من هذا الإطلاق العام الذي يشمل كل الشرق والشرقيين، مسلمين أو غير المسلمين هو: أن يكون غطاءً للهدف الأساسي، الذي هو دراسة كل ما يتعلق بالإسلام والمسلمين ؛ بغية خدمة التنصير والاستعمار.

- فالاستشراق ما هو إلا لون من ألوان التنصير، كلاهما يعمل على محاولة إخراج المسلم من دينه، وتشويه الإسلام، وإثارة الشبه والشكوك حوله.

إلا أن الاستشراق: أخذ صورة البحث، وادّعى التجرّد العلمي، بينما بقي التنصير في حدود مخاطبة جمهور الناس وعوامهم.

استخدام الاستشراق: الكتاب، والمقال في المجلات العلمية، وكرسي التدريس في الجامعة، والمناقشة في المؤتمرات العلمية العامّة.

أما التنصير: فقد سلك طريق التعليم المدرسي في دور الحضانة ورياض الأطفال، والمراحل الابتدائية والثانوية للذكور والاناث على السواء.

كما سلك سبيل العمل الخيري الظاهري في المستشفيات ، والمساكن للفقراء والمساكين، ودور اليتامى واللّقطاء، ولم يقصّر أيضاً في استخدام النشر والطباعة، وعمل الصحافة ؛ للوصول إلى غايته.

نشأة الاستشراق.

وقع الخلاف بين المؤرخين حول تحديد بداية الاستشراق.

١) فقيل: إنه نشأ في أواخر القرن السابع الميلادي .

ويستندون في ذلك إلى كتابات بعض النصارى عن الإسلام ، أمثال: يوحنا الدمشقي، إبان حكم

الدولة الأموية في القرن الثاني الهجري. وهذا الراهب ألفّ كتابين : الأول "حياة محمد"، والثاني "حوار بين مسيحي ومسلم" حاول فيها تشويه الإسلام، وإرشاد النصارى في جدل المسلمين.

٢) وقيل إنه نشأ في القرن العاشر الميلادي .

حين بدأت التلمذة الغربية في بلاد المسلمين، في الأندلس. ومن أوائل الرهبان الغربيين الذين قصدوا الأندلس: الراهب الفرنسي (جربرت) الذي انتخب بابا لكنيسة روما عام (٩٩٩م) بعد تعلمه في معاهد الأندلس وعودته إلى بلاده.

٣) وقيل: إن الاستشراق نشأ في القرن الثاني عشر الميلادي .

ففيه ظهر أول نتاج استشراقي تمثّل في أول ترجمة لمعاني القرآن، وكان ذلك بإيعاز من الراهب الفرنسي (بطرس المكرم) وعلى يد الراهب الإنجليزي (روبرت اف كيتون) سنة (١١٤٣م) إلى اللغة اللاتينية.

٤) وقيل: إنه نشأ بعد الحروب الصليبية .

إثر انهزامهم هزيمة نكراء، وتغيير حربهم إلى الحرب الفكرية بعد أسر لويس التاسع، ونصحه للصليبين بالغزو الفكري، فكان الاستشراق أحد أدوات ودعائم الغزو.

٥) وقيل: إنه نشأ في القرن الثامن عشر الميلادي .

مع بداية استعمار الأوروبيين للعالم الإسلامي، وفيه نبغ عدد من الأوروبيين في الاستشراق، وأصدروا لذلك المجلات، وحازوا على كثير من المخطوطات العربية ونقلوها إلى مكتبات أوروبا.

والحقيقة أنه يصعب تحديد نشأة الاستشراق على وجه الدقة، إلا أنه من المؤكد أنه بدأ عفويًا، وفي صورة غير نظامية، ثم تطور بعد ذلك حتى بات حركة منظمة لها كوادرها ومؤسساتها المختلفة.

أشهر رجاله.

المستشرقون طوائف وأصناف مختلفة من دول عدة، من فرنسا، وبريطانيا، وألمانيا، وإيطاليا، وأمريكا وغيرها، منهم المتعصبون أشدّ التعصب، والحاقدون على الإسلام الحقد كله، ومنهم الذين أنصفوا الإسلام وشرائعه وتعاليمه وحضارته، ومع ذلك لم يستطيعوا أن ينفكّوا من تأثير عقائدهم وثقافتهم، فصدر منهم مالا يقبله المسلم. ومنهم من أحب الإسلام بعد اطلاعه وقراءته وبحثه العلمي فاعتنقه بحق وصدق.

فمن المستشرقين المتعصبين الخطيرين:

١) الفرد جيوم: إنجليزي معاصر، اشتهر بالتعصب ضد الإسلام ، تغلب على كتاباته وآرائه الروح التنصيريه، من كتبه "الإسلام".

٢) بارون كارادي فو: فرنسي متعصب جدًا ضد الإسلام والمسلمين، ساهم بنصيب بارز في تحرير "دائرة المعارف الإسلامية".

٣) هـ. ا.ر. جب: أكبر مستشرقي انجلترا المعاصرين، كان عضوا بالمجمع اللغوي في مصر، من كبار محرري وناشري "دائرة المعارف الإسلامية"، من كتبه: "الاتجاهات الحديثة في الإسلام" و"المذهب المحمدي".

٤) جولد زيهر: مجري يهودي، عُرف بعدائه للإسلام وبخطورة كتاباته عنه، وهو من محرري "دائرة المعارف الإسلامية" ، وهو زعيم الإسلاميات في أوروبا بلا منازع. من كتبه: "تاريخ مذاهب التفسير الإسلامي" ، "العقيدة والشريعة".

٥) ص . م. زويمر: مستشرق منصّر، اشتهر بعدائه الشديد للإسلام ، مؤسس "مجلة العالم الإسلامي الأمريكية" ، ومؤلف كتاب "الإسلام تحدٍ لعقيدة"، وله كتاب "الإسلام" وهو عبارة عن مجموعة مقالات قدّمت للمؤتمر التنصيري الثاني بلكنو في الهند سنة (١٩١١م).وتقديراً لجهوده التنصيرية أنشأ الأمريكيون وقفًا باسمه على دراسة اللاهوت وإعداد المنصّرين.

٦) ا . ج . فينسينك: عدو لدود للإسلام ونبيّه، له كتاب "عقيدة الإسلام"، وهو ناشر "المعجم المفهرس لألفاظ الحديث الشريف" في لغته الأولى.

٧) لون ماسينيون: أكبر مستشرقي فرنسا، كان مستشار وزارة المستعمرات الفرنسية في شؤون شمال افريقيا، والراعي الروحي للجمعيات التنصيرية الفرنسية في مصر. خدم في جيش الفرنسي خمس سنوات في الحرب العالمية الأولى. كان عضواً بالمجمع اللغوي المصري، والمجمع العلمي العربي في دمشق، متخصص في الفلسفة والتصوف الإسلامي، من كتبه "الحلاج الصوفي الشهيد في الإسلام". وهو من كبار محرري "دائرة المعارف الإسلامية".

٨) د . س . مرجليوث: إنجليزي، من محرري "دائرة المعارف الإسلامية" ، كان عضواً بالمجمع اللغوي المصري، والمجمع العلمي في دمشق، من كتبه: "التطورات المبكرة في الإسلام" ، و"محمد ومطلع الإسلام".

٩) ر . ا . نيكولسون: من أكبر مستشرقي انجلترا، ومن محرري "دائرة المعارف" تخصص في التصوف

الإسلامي والفلسفة، وكان عضوًا بالمجمع اللغوي المصري. من كتبه: "متصوفو الإسلام" ، و"التاريخ الأدبي للعرب".

١٠) يوسف شاخت: ألماني متعصب، له كتب كثيرة عن الفقه الإسلامي وأصوله، ومن محرري "دائرة المعارف الإسلامية" ، و"دائرة المعارف الاجتماعية"، وأشهر كتبه: "أصول الفقه الإسلامي" . وغيرهم الكثير الكثير.

ومن المستشرقين المنصفين:

١) هادريان ريلاند (ت ١٧١٨م): أستاذ اللغة الشرقية في جامعة اوترشت بهولندا.
له كتاب "الديانة المحمدية"، وضعته الكنيسة في أوروبا في قائمة الكتب المحرّم تداولها.

٢) يوهان ج . رايسكة (١٧١٦-١٧٧٤م) مستشرق ألماني، اتهم بالزندقة؛ لموقفه الإيجابي من الإسلام.

٣) غوستاف لوبون: فيلسوف مادي، لا يؤمن بالأديان مطلقا. اتسمت أبحاثه وكتبه الكثيرة بإنصاف الحضارة الإسلامية ؛ مما دفع الغربيون إلى إهماله وعدم تقديره.

٤) زيجريد هونكه: اتسمت كتاباتها بالإنصاف، وذلك بإبرازها تأثير الحضارة العربية على الغرب في مؤلفها الشهيرة : "شمس العرب تسطع على الغرب".

ومن المستشرقين الذين هداهم الله واعتنقوا الإسلام:

١) **أتينيه دينيه:** فرنسي نشأ من أبوين نصرانيين، عاش في الجزائر فأعجب بالإسلام وأعلن إسلامه، وتسمى باسم "ناصر الدين دينيه" . له كتاب "أشعة خاصة بنور الإسلام" بيّن فيه تحامل قومه على الإسلام ورسوله. توفي في فرنسا سنة (١٩٢٩م)، ونقل جثمانه إلى الجزائر ودفن فيها.

من أقواله:

"لو كان الإسلام الحقيقي معروفاً في أوروبا لكان من المحتمل أن ينال أكثر من أي دين آخر من العطف والتأييد، إنه والحق يقال: يلائم جميع ميول معتنقيه على اختلاف مشاربهم.... يهدي علماء أوروبا وآسيا إلى طريق مستقيم، ويجدون فيه تعزية وسلوى من غير أن يحول بينهم وبين حريتهم التامة في آرائهم وأفكارهم، كما أنه تعزية وهدى لزنوج السودان الذين ينتزعهم من أحضان أوهامهم الوثنية".

٢) اللورد هيدلي:

كان لاسلام اللورد هيدلي ضجة كبيرة ؛ لمركزه ولما يعلمه فيه عارفوه من نضج في التفكير، وترو في الأمور.

من أقواله: "عندما كنت أقضي -أنا نفسي- الزمن الطويل من حياتي الأولى في جو المسيحية، كنت أشعر دائمًا أن الدين الإسلامي: به الحسن، والسهولة، وأنه خلو من عقائد الرومان والبروتستانت، وثبتني في هذا الاعتقاد: زيارتي للشرق التي أعقبت ذلك، ودراستي للقرآن المجيد".

ومنها: "نحن نعتبر أن نبي بلاد العرب الكريم، ذو أخلاق متينة، وشخصية حقيقية، وزنت واختبرت في كل خطوة من خطا حياته، ولم يرَ فيها أقل نقص أبدا... حياة محمد: كمرآة أمامنا تعكس علينا التعقل الراقي، والسخاء والكرم، والشجاعة والإقدام، والصبر والعلم، والوداعة والعفو، وباقي أخلاقه الجوهرية التي تكوّن الإنسانية...".

٣) رينيه جينو (عبد الواحد يحيى):

نشأ في فرنسا من أسرة كاثوليكية ، بهره الإسلام وغمره ضياؤه الباهر فاعتنقه، وتسمى باسم (عبد الواحد يحيى).

مؤلفاته كثيرة ومشهورة، من بينها: كتاب "أزمة العالم الحديث" بيّن فيه الانحراف الذي تسير فيه أوروبا الآن، والضلال المبين الذي أعمى الغرب عن سواء السبيل.

ومن كتبه: "الشرق والغرب" قارن فيه بين الشرق والغرب، وبين فيه محاسن الشرق ومثالب الغرب.

أهداف الاستشراق:

تعددت أهداف الاستشراق والمستشرقين وتنوعت ما بين أهداف دينية، وأهداف استعمارية، وسياسية ، وأهداف اقتصادية، وأهداف علمية.

وأسمى هذه الأهداف لديهم وأولها هو:

١) الهدف الديني:

المتمثل في إخراج المسلم من دينيه وإدخاله في النصرانية ، أو على الأقل تركه بلا دين، وتشويه الإسلام في نظره، وإثارة الشبه والشكوك حوله، حول مصادره الكتاب والسنة، وحول شريعته، وعظمائه ورجاله، وتاريخه، ولغته، وحضارته.

٢) **الهدف الاستعماري:**

المتمثل في السيطرة على العالم الإسلامي، وإخضاع الشعوب لهم، وسلب خيراتهم وثرواتهم. لقد اتجهوا لدراسة كلّ ما يتعلق بشؤون المسلمين من عقيدة، وعادات، وتاريخ، وجغرافيا وغير ذلك؛ ليتسن لهم الوقوف على مواضع الخلل فيغتنموها وعلى مواطن القوة فيضعفوها.

شككوا بفائدة ما في أيدي المسلمين من قيم ومبادئ وشريعة وأخلاق وعقيدة؛ ليفقد المسلمون الثقة بدينهم، ويرتموا في أحضانهم، فيتم لهم ما يريدون من خضوع المسلمين لهم.

اجتهدوا في إحياء النزعات العرقية والمذهبية والطائفية والقومية ليفرّقوا المسلمين ويشتتوا شملهم وتختلف كلمتهم ، فيتمكّنوا بعدها من السيطرة عليهم ونهب خيراتهم.

٣) **الهدف السياسي:**

ويتمثل في عمل المستشرقين في السفارات والقنصليات التابعة لبلادهم، وهم على خبرة باللغات الشرقية والعربية وغيرها، ويعرفون تقاليد الشعوب الإسلامية وعاداتهم وطبائعهم، وكيفية الوصول إليهم والسيطرة عليهم.

وهم عيون وآذان وأصابع لبلدانهم الاستعمارية، يعملون لخدمتهم، وتحت لوائهم ؛ لتسيير العالم الإسلامي وفق مصالحهم ، وما يخدم رغبائهم وأطماعهم.

٤) **الهدف الاقتصادي:**

ويتمثل في استعانة المؤسسات الاقتصادية الغربية بالمستشرقين؛ ليكونوا وسطاءهم ورسلهم ومستشاريهم والمترجمين لهم ، في مهماتهم ومطالبهم الاقتصادية، وفي تنبيه حكوماتهم وإفادتهم إلى الاستيلاء على الثروات الأرضية، والأسواق التجارية، والمؤسسات الماليّة المختلفة، واستغلال الموارد الطبيعية والحصول عليها بأبخس الأثمان.

ويتمثل كذلك في الوصول إلى المكاسب الماليّة ، من خلال بيع كتبهم ومصنفاتهم التي يكتبونها عن الإسلام، وكلّ ماله صلة به، وبيع أفلامهم التي يصورنها عن العالم الإسلامي وعن المسلمين.

٥) **الهدف العلمي:**

من المستشرقين نفر قليل جدًا أقبل على دراسة عقيدة المسلمين وتاريخهم وحضارتهم ولغتهم وقيمهم وأخلاقهم، وكل ما له صلة بهم ، بهدف إشباع نهمهم العلمي، والحصول على معرفة صحيحة عن أمة ذات تاريخ مجيد، ودين عظيم، وتأثير واسع.

وهؤلاء أقلّ خطأ من غيرهم في فهم الإسلام وتعاليمه وشرائعه ؛ لأنهم لم يكونوا يتعمدون أن يدسّوا أو يحرّفوا ؛ ولذلك جاءت بحوثهم أقرب إلى الحق، وإلى المنهج العلمي السليم من أبحاث الجمهرة الغالبة من المستشرقين، بل منهم من اهتدى إلى الإسلام وآمن به.

وسائل الاستشراق المعاصرة.

للوصول إلى الأهداف المنشودة بذل المستشرقون جهدهم في استخدام كلّ الوسائل المتاحة، التقليدية والحديثة المتجددة، ولم يقصّروا في ذلك، ومن تلك الوسائل:

١- تأليف الكتب في شتى الموضوعات المتعلقة بالإسلام ، صنفوا في القرآن، والسنة النبوية، والرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، وفي تاريخ الإسلامي، وفي الفقه وأصوله، وفي العقيدة الإسلامية، وفي اللغة العربية وغيرها.

وفي هذه الكتب كثير من التحريف المتعمّد في نقل النصوص، وفي تحريف معانيها، واحتوت على التحليلات والاستنتاجات الباطلة .

٢- إصدار المجلات وكتابة المقالات حول الإسلام وكل ما له صلة به.

٣- إنشاء المؤسسات العلمية التي تتناول كل ما يخص الإسلام والمسلمين، ومن أمثلتها (دائرة المعارف الإسلامية)، التي حشد لها كبار المستشرقين، وأشدهم عداءً للإسلام، وقد ملئت بالأباطيل والأكاذيب والافتراءات، والتحريف والتزييف، ودسّ السّم في الدسم.

٤- إلقاء المحاضرات في الجامعات والجمعيات العلميّة.

٥- عقد المؤتمرات؛ لمناقشة كلّ ما يحقق أهدافهم ومخططاتهم.

٦- تأسيس الجامعات العلمية في بلدان العالم الإسلامي خاصة ، وبلدان الشرق عامّة ؛ لتخريج أجيال مستعدة لتقبل التيارات الوافدة والأفكار المنحرفة.

٧- إنشاء كراسي للدراسات الإسلامية والعربية والشرقية في الجامعة الغربية ؛ لاتخاذها بؤرة لاصطياد أبناء المسلمين ، والتأثير عليهم ، وتغيير مبادئهم وأفكارهم وسلوكهم وعقيدتهم.

٨- عقد الندوات والحوارات الرّامية إلى بث الأفكار الاستشراقية، وإقناع أبناء المسلمين بها.

٩- إرساليات التنصير إلى العالم الإسلامي ؛ لتزاول الأعمال التنصيرية المباشرة وغير المباشرة.

١٠- الاستفادة من وسائل الإعلام المختلفة المرئية والمسموعة.

١١- استغلال الشبكة العنكبوتية العالمية ، ومواقع التواصل الاجتماعي ؛ لبثّ سمومهم ،وتشويه الإسلام وتعاليمه وشرائعه، وتشويه تاريخ المسلمين وحضارتهم ولغتهم.

مراكز الاستشراق.

ليس هذا المقام مقام رصد واستيفاء واستيعاب للموضوع، إنما هو مجرد تنبيه وإشارة ؛ فإن الأماكن المتخصصة بدراسة علوم الشرق وكلّ ماله صله به كثيرة ومتنوعة، منها على سبيل المثال:

في بريطانيا:

- جامعة كمبردج.

ومن أهم أعمالها: تاريخ كمبردج للإسلام في مجلدين ، صدرت طبعته الأولى سنة (١٩٧٠م)، واشترك فيه عدد من نجوم الاستشراق المعاصر.

- مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية بجامعة لندن.

ومن أعمالها: مجلد بعنوان (الثورة في الشرق الأوسط) ودراسات موضعية أخري.

في أمريكا:

- جامعة برنستون.
- رابطة دراسات الشرق الأوسط (ميسا).

ومن أهم أعمالها: مجلد ضخم بعنوان (دراسة الشرق الأوسط) نشر عام (١٩٧٦م).

في هولندا:

- معهد الشرق الأوسط الحديث بجامعة امستردام.
- جامعة ليدن.

وتحتوي على أكبر مجموعة للمخطوطات والمراجع العربية في هولندا ، وهي من أشهر الجامعات المهتمة بالبحث الاستشراقي في العالم الغربي.

في فرنسا:

تحتل جامعة (السربون) وفروعها المركز الرئيسي في الاهتمام بالدراسات الاستشراقية، حيث تعدّ هذه الجامعة أعرق الجامعات الغربية وأكثرها اهتمامًا بالدراسات العربية والإسلامية، خاصة فيما يتعلق ببرنامجها للدراسات العليا، الذي يعكس اهتمامًا غير عادي بكثير من مناطق العالم الإسلامي

وقضاياه المختلفة.

ومن المعاهد ومراكز البحوث في أمريكا:

- رابطة دراسات النساء في الشرق الأوسط.

وهي إحدى الهيئات التابعة لرابطة دراسات الشرق الأوسط.

- ومعهد الولايات المتحدة للسلام.

وقد تأسس في واشنطن عام (١٩٨٤م) بدعم من الحكومة الأمريكية حتى يتولى الكونجرس الأمريكي توفير ميزانية المعهد.

ومن مراكز الأبحاث الاستشراقية الصهيونية:

- مركز هاري ترومان .

ويعتبر تابعًا للجامعة العبرية ، تأسس عام (١٩٦٦م) ومقرّه القدس.

- مركز يافي للدراسات الاستراتيجية .

أنشئ في جامعة (تل ابيب) رسميا عام (١٩٧٧م).

هذا وإن مصطلح (الاستشراق) وإن ترك استعماله من قبل المستشرقين ؛ لبغض المسلمين له ونفورهم منهم واطلاعهم على أهدافهم ومكرهم، إلا أن حقيقته وأهدافه وأغراضه لا تزال موجودة.

وإنه وإن قال المستشرق (برنارد لويس) المستشرق الأمريكي اليهودي، البريطاني الأصل: "لقد ألقينا مصطلح (الاستشراق) في مزبلة التاريخ " فإنهم لا يزالون يسيرون على خطى أسلافهم ، ويحاولون تحقيق أهدافهم، وإن تغيّرت الأسماء فالهدف واحد ومتفق عليه. وقد استبدلوا هذا المصطلح (الاستشراق) بمصطلحات أخرى:

ب (مراكز المعلومات)، (دراسات الشرق الأوسط)، (الدراسات العربية والإسلامية) (الدراسات الإقليمية)، (دراسات الشعوب العربية والإسلامية).

نماذج من افتراءات المستشرقين والردّ عليها .

قام المستشرقون بمحاولات جادة ومضنية لتشويه الإسلام وإثارة الشبهات والشكوك حوله، سهروا الليالي وقطعوا الأيام والشهور والسنين في دراسة الإسلام وكل ما له صلة به ؛ بغية الوصول إلى تحريفه وتزيفه والكذب والافتراء عليه

ألفوا كتبًا خاصةً في القرآن، وفي السنة، وفي شخص الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، وفي الفقه

وغير ذلك، سوّدوا ورقها بالتحريف والتزوير والتدليس والكذب والبهتان ، وصنفوا كتباً عامةّ لم تقلّ خطورة عن الأولى .

وسوف أتناول في هذا المقام بعض شبهاتهم وافتراءاتهم وأرد عليها.

أولا: قالوا إن القرآن ليس وحيًا من الله تعالى، وإنما هو من تأليف محمد صلى الله عليه وسلم، أعانه عليه بعض اليهود والنصارى .

وهذه المقولة مشهورة بين المستشرقين قال بها (جولد تسيهر) وغيره، وعدّها (جورج سيل) من الحقائق التي لا تقبل الجدل.

الردّ:

- هذا القول مجرد كذب وافتراء، لاحظ له من العلم ولا دليل عليه ولا مستند له من نقل أو عقل أو تاريخ أو واقع أو حس، وإنما هو ظن وتخمين، قادهم إليه حقدهم الشديد على الإسلام، وحسدهم البالغ للرسول الكريم عليه الصلاة والسلام.

- وهي فرية قديمة تلقوها عن أسلافهم الكافرين ، وصبغوها باسم العلم والبحث المجرّد والتحقيق، وادّعوا حب المعرفة والوصول إلى الحق والبحث عنه، وهم أفاكون كذابون، بعيدون كلّ البعد عن الإنصاف والعدل، وتحري الحق والصواب ، لم يختلفوا عن أسلافهم في الحقيقة والواقع ، رددوا أقوالهم، وبثوها ونشروها.

وقد تولى الله -عزوجل- الردّ على هذه الفرية حيث قال: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ٤ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ٥ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٦ ﴾ [الفرقان: ٤-٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ١٨ فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ٢٠ ثُمَّ نَظَرَ ٢١ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ٢٢ ثُمَّ أَدۡبَرَ وَٱسۡتَكۡبَرَ ٢٣ فَقَالَ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ ٢٤ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ ٢٥ سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ ٢٦ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ ٢٧ لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ ٢٨ لَوَّاحَةٞ لِّلۡبَشَرِ ٢٩ عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر: ١٨-٣٠].

وقال أيضاً: ﴿ وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ مَّكَانَ ءَايَةٖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٠١ قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدٗى

وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ ﴾ [النحل: ١٠١-١٠٣].

- فالقرآن ليس من تأليف نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، بل هو وحي من العزيز الحكيم، نزل به جبريل الكريم، على أشرف الأنبياء والمرسلين.

بدأ القرآن من الله -عزوجل- وهو كلامه حقيقة ، سمعه جبريل من الله، وسمعه نبينا -صلى الله عليه وسلم- من جبريل كما قال تعالى: ﴿ قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴾:[النحل: ١٠٢]. وقال:﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥].

- والنبي صلى الله عليه وسلم قد تبرأ من نسبة القرآن إليه، وهي شهادة جاءت بلسان صاحبها، وهي من أقوى الشهادات وأعظمها وأبلغها ، ولو نسبه إلى نفسه لازداد رفعةً وفخامةً ، لكن الأمانة والصدق التي عرف بها، وكانت من سجاياه ألزمته ودعته أن لا ينسب هذا الأمر العظيم إلى نفسه.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِ نَفۡسِيٓۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٥﴾ قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا مِّن قَبۡلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَٱخۡتَلَفُواْۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡ فِيمَا فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ فَقُلۡ إِنَّمَا ٱلۡغَيۡبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾[يونس: ١٥-٢٠].

- لقد توالت الشهادات وتتابعت قديمًا وحديثًا بأن هذا القرآن العظيم ليس بكلام بشر، وأنه مؤثر تأثيرًا عظيمًا في النفوس ينبيء أنه كلام إله عظيم جليل.

فهذا النجاشي لما سمع بعض آياته بكى حتى أخضل لحيته، وبكت أساقفته ثم قال: "إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة ...".

بمعنى أنه والتوراة أو الإنجيل كلاهما وحي من الله تعالى ، أوحي بهما إلى محمد وإلى موسى أو عيسى عليهم الصلاة والسلام.

ولما سمعه الوليد بن المغيرة قال مخاطبًا قومه: "والله مافيكم من رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه، ولا بقصيده، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا، ووالله إن لِقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو ومايعلى، وإنه ليحطم ما تحته..." ثم إنه إرضاءً لقومه كذب وفجر وزعم أنه قول البشر فنزلت: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾ [المدثر: ١١].

وجبير بن مطعم لما سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾ [الطور: ٣٥] قال: "كاد قلبي أن يطير"؛ وذلك لبيانه وبلاغته وقوة حجته ودلالته.

وهكذا من كان صادقًا مع نفسه إذا سمع القرآن أثّر في قلبه تأثيرًا عظيمًا، وهذا التأثير أدّي ببعضهم إلى الإيمان به واعتناق الإسلام؛ وما ذاك إلا لإعجازه وكونه كلام رب العالمين، لا كلام البشر.

ثانيًا: قالوا: إن محمدًا صلى الله عليه وسلم بعث إلى العرب خاصة، ولم يبعث إلى الناس كافة، فرسالته ليست رسالةً عالمية، وإنما هي للعرب فحسب.

الردّ:

١. هذا القول منهم فيه الردّ عليهم وإلزامهم بقبول الحق ووجوب اتباعه ووجه ذلك:

أنهم إذا آمنوا بأنّ محمدًا صلى الله عليه وسلم نبي وإن كان للعرب خاصة فقد شهدوا بنبوته، وبناءًا عليه شهدوا من حيث يعلمون أم لا يعلمون أنه يوحى إليه، وأنه مبعوث من الله ، وأنه صادق فيما يقوله ويبلغه، ومما قله وبلّغه عن ربه:

أنه رسول إلى الناس كافة، وأنه بعث لكل الأمم العرب والفرس والروم والناس أجمع.

والنصوص الواردة في ذلك كثيرة، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [سورة الأعراف: ١٥٨].

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا

يَعۡلَمُونَ ﴾[سورة سبأ: ٢٨].

وقال تعالى:﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾[سورة الفرقان: ١].

وأخرج البخاري في صحيحه: أن النّبي صلى الله عليه وسلم قال: "...وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة".

وأخرج مسلم في صحيحه قول النبي صلى الله عليه وسلم: "فضلت على الأنبياء بست: ... وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون".

فإذا شهدوا بنبوته وجب عليهم قبول ما جاء به، كما ورد في النصوص السابقة والتي تفيد أنّه رسول إلى الناس كافة، وليس للعرب خاصّة، وهو لا يكذب ولا يقول من تلقاء نفسه بل يوحى إليه باعترافهم أنه نبي ، وإن لم يقولوا إنه نبي للناس أجمع.

٢. إذا نظرنا نظرة سريعة إلى ما في كتابهم المقدس ، وقارنّا بينه وبين النصوص الآنفة الذكر من القرآن والسنة ، نجد بكل وضوح وجلاء البون الشاسع والفرق الكبير بين ما جاء في الإسلام من التنصيص على عالمية الإسلام ، وبين ما جاء في كتابهم المقدس من التنصيص على خصوصية النصرانية ، وأن عيسى لم يبعث إلّا إلى بني إسرائيل.

فقد جاء في "إنجيل متى" أن عيسى عليه الصلاة والسلام قال: "لم أُرسل إلاّ إلى خراف بيت إسرائيل الضالة".

وقال لتلاميذه أيضًا كما في "إنجيل متى":

"إلى طريق الأمم لا تمضوا، وإلى مدينة السامرين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحري إلى خراف بني إسرائيل الضالة".

٣. إن واقع النبي –صلى الله عليه وسلم– يدلّ على عالمية رسالته، فقد دعا الملوك إلى الإسلام، أرسل إليهم الرسل يدعونهم إلى الحق، وإلى النور المبين، فأرسل إلى كسرى ملك الفرس، وإلى هرقل ملك الروم، وإلى المقوقس ملك مصر، وإلى النجاشي ملك الحبشة، وإلى غيرهم يدعوهم جميعًا إلى الإسلام.

ففي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه: "أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى كسرى، وإلى قيصر، وإلى النجاشي، وإلى كل جبار ، يدعوهم إلى الله تعالى".

وبما تقدّم: يتبيّن أن الإسلام دين عالمي ، وليس للعرب خاصّة كما يزعمه المستشرقون.

ثالثًا: أن الأحاديث بقيت مائتا سنة غير مكتوبة ، ثم بعد هذه المدة الطويلة جمع المحدّثون منها ما يواقف أهواءهم، وقامت بعض الفرق بعد الفتنة ووقوع الانقسامات إلى وضع أحاديث مزورة تؤيد قولها ، وتنصر فكرها.

وهذا الافتراء صدر عن عدد من المستشرقين أمثال: جولد زيهر، وشبرنجر، ودوزي.

الردّ:

١. هذه المقولة كغيرها من المقولات القائمة على الظن والتخمين، لا مستند لها ولا دليل عليها، دافعها تشويه الإسلام، وزعزعة الثقة بالسنة النبوية، واتهام المحدثين الجهابذة والنقاد بالدس والتزوير، والوضع والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٢. لقد كان هؤلاء المحدثون في قمة الصدق والنزاهة والعدالة، بحيث يستحيل لمن عرف حالهم ، واستقرأ سيرتهم ، وتتبع جميع شؤونهم العلمية والدينية والتعبدية وغيرها أن يتهمهم بمثل هذه الاتهامات ، ولكن كما قيل "كلّ إناء بما فيه ينضح" فلما كانت أعمالهم خسيسة ، ونياتهم خبيثة ، اتهموا الأخيار الصادقين العدول بما هو من صفاتهم ومثالبهم وخصائصهم.

٣. إن تدوين حديث الرسول المصطفى –عليه الصلاة والسلام– بدأ منذ العصر الأول، في حياته عليه الصلاة والسلام ، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه:

"أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– خطب يوم الفتح... ولما انتهى من خطبته جاءه رجل من أَهل اليمن فقال: اكتبوا لي يا رسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اكتبوا لأبي شاه".

وأيضًا فقد قال أبو هريرة –رضي الله عنه– : "ما كان أحد أعلم بحديث رسول الله –صلى الله عليه وسلم– مني إلَّا ماكان من عبد الله بن عمرو، فإنه كان يكتب بيده، ويعيه بقلبه، وكنت أعيه بقلبي، ولاأكتب بيدي، واستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكتاب عنه فأذن له".

٤. والبحث عن الإسناد ودراسة أحوال الرجال ، ومدى الوثوق بهم وعدالتهم بدأ في وقت مبكر.

يقول ابن سيرين رحمه الله: "لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة، قالوا: سمّوا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أَهل البدع فلا يؤخذ حديثهم".

والمقصود بالفتنة: هي فتنة مقتل عثمان –رضي الله عنه–، فلمَّا ظهرت الانقسامات والفرق بعده ازدادت الحيطة والحذر والتثبت في قبول الروايات ؛ حفظًا لأحاديث رسول الله –صلى الله عليه

وسلم- من عبث العابثين، وصيانةً لها من المدلّسين والوضّاعين.

٥. الإسناد هو من خصائص هذه الأمة، انفردت به وتميّزت به عن غيرها، وهو من الدين، حفظ الله عز وجل به القرآن والسنة.

قال ابن المبارك: "الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء".

ولن تجد ذلك عند غيرهم، فالأناجيل الأربعة عند النصارى لا يعرف لها سند ضعيف إلى أصحابها الأربع (متى – مرقص – ولوقا – ويوحنا) فضلًا عن أن يكون لها سند صحيح، فضلًا عن أن يكون لها سند ضعيف أو صحيح إلى عيسى عليه الصلاة والسلام، وهذه من المسلّمات في شأن أناجيلهم يقرّون به.

٦. إن أئمة الحديث لم يغفلوا عمَّا اقترفه الوضاعون وأهل الأهواء والبدع من الاختلاق والكذب في الحديث، بل اجتهدوا كلّ الاجتهاد في محاربته ، فوضعوا القيود والضوابط لرواية المبتدع، وبيان أسباب الوضع وعلاماته ، وكشفوا عن الأحاديث الموضوعة وحذّروا منها ، وفضحوا الوضّاعين وكشفوا أمرهم وهتكوا سرهم ، وألّفوا في ذلك المؤلفات، نصحًا للأمة، وصيانةً لأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٧- إن علماء الحديث وضعوا شروطًا لقبول الحديث، تكفل نقله عبر الأجيال بكل ثقة وأمانة ، حتى يُؤدى كما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم، واشترطوا في الرواة شروطًا تضمن فيه غاية الصدق والعدالة والأمانة ، والحفظ والضبط، وطبقوا تلك الشروط بكل دقّة وإتقان وحذر.

٨- وإن من ينظر بعدل وإنصاف في مدى الجهد الذي بذلوه من أجل حفظ أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتعجب أشد العجب مما وهبهم الله به من الجلد والتضحية ، والصبر على العناء والتعب والمشقة ؛ في سبيل أن يصل إلينا غضًا طريًا كما أنزل ،بلا تغيير ولا تبديل ، ولا نقص ولا زيادة ، ولا تحريف، وصدق الله إذ يقول: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [سورة الحجر: ٩].

رابعًا: قالوا : إن الإسلام لم ينتشر إلا عن طريق السيف، ودخل الناس فيه مرغمين مكرهين عليه، لم يكن ذلك عن قناعة واختيار.

الردّ:

١- هذه الفرية التي افتراها المستشرقون للقدح في الإسلام، وتشويه صورته، أبطلها القرآن الكريم في مواضع عديدة، أوضح فيها أنه لا إكراه في الدين، وأن الدعوة إلى الإسلام طريقها الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، ومن النصوص في ذلك:

قول الله تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾[سورة البقرة: ٢٥٦].

وقوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ ﴾[سورة الكهف: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ [النحل: ١٢٥].

وقال: ﴿ فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ٢١ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ٢٢ ﴾ [الغاشية: ٢١-٢٢].

وفي صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أمّر أميرا على جيش أوصاه بتقوى الله بمن معه من المسلمين خيراً، ومما قال له: وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال، فأيتهن أجابوك إليها فاقبل منهم وكف عنهم...". ومنها الإسلام والجزية، فإذا أَرادوا البقاء على دينهم فلهم الحرية ، ولا يكرهون على الإسلام ولا يجبرون عليه، ويدفعون الجزية إزاء حفظ المسلمين لهم وحراستهم ، وتوفير سبل الراحة والأمن.

٢- أن النبي صلي الله عليه وسلم مكث في مكة ثلاث عشرة سنة يدعو إلى التوحيد بالحجة والبرهان والإقناع، ودخل في الإسلام من دخل عن رغبة ومحبة له واقتناع، وصبروا في سبيل حبهم لهذا الدين، فقد أوذوا بسببه ونكّل بهم، وذاقوا ألوان العذاب، وفعل بهم الأفاعيل، ومع ذلك كله لم يتزحزحوا عنه قدر أنملة؛ لأنهم اعتنقوه عن اقتناع لا عن اكراه وإجبار، ومن المتقرّر والمسلّم به أن العقائد تستقرّ في القلوب بالحجة والقناعة والرغبة والمحبة ، لا تحت وطأة السيوف، ولوكانت البلدان وشعوبها قد دخلوا في الإسلام بسب السيف لتمردوا عليه ، ولفظوه في ظلّ ضعف المسلمين، والتاريخ والواقع يشهد خلاف ذلك في الغالب الأعم.

٣. أنَّ أهل المدينة اجتمعوا بالنبي صلى الله عليه وسلم في العقبة الأولى والثانية ، وبايعوه على نصرة الإسلام والدفاع عنه ، ولم يكتفوا بمجرد الدخول في الإسلام ،بل آووا ونصروا ، وضحوا من أجله؛ وماذاك إلَّا لحبهم الشديد المنقطع النظير لهذا الدين العظيم، مع ما يجرّ ذلك عليهم من تبعات قد تكلفهم أرواحهم ، وهو مايدلّ صراحة بكل وضوح وجلاء أن الإسلام انتشر بالدعوة لا بالسيف والقتال.

٤. أن المهاجرين تركوا أهلهم وديارهم وأموالهم وهاجروا إلى المدينة ؛حبًّا للرسول الكريم ولدينه العظيم، لم يضع النبي صلى الله عليه وسلم السيف في نحورهم ورقابهم، بل وصل الإيمان إلى بشاشة قلوبهم ، فضحوا من أجله بالغالي والنفيس.

٥. أن اليهود كانوا يعيشون في المدينة، ولم يرغمهم النبي صلى الله عليه وسلم على الدخول في الإسلام، بل أبرم معهم العقود والمواثيق مع قوة الإسلام ونفوذه في ذلك الوقت ، ولو كان الإسلام يكره الناس على الدخول فيه لأرغمهم عليه.

٦. أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعرف بعض المنافقين الذين في المدينة، يعلم أنه يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر واكتفى منهم بظاهر الحال، ولو كان الإسلام دين قهر وإجبار لما قبل ذلك منهم .

٧. أن التتار الذين غزوا بلاد الإسلام، ودمّروا مدنها وقهروها، وأعملوا في أهلها القتل والسلب والنهب جذبهم الإسلام إلى رحابه فاعتنقوه ، ودخلوا فيه راغبين غير مجبورين ولا مكرهين، فقد كانوا في مقام قوة وغلبة، فانتصر الإسلام عليهم حين انهزم أهله، وانتشر بين التتار حين لم يكن له سيف يحميه ويذود عنه.

وهذا إن دلَّ فإنما يدلّ على عظمة هذا الدين وجلالته فهو دين الفطرة، ودين السماحة، ودين الجاذبية، والدين الموافق لطبيعة البشر، وللعقول السليمة ، والفطر السويّة.

٨. أنّ أغلب البلدان التي يكثر فيها المسلمون لم تشهد حروبًا ولا غزوات من قبل المسلمين، ولكن شهدت دعوة إسلامية من قبل التجار وغيرهم ، أقنعوا الناس بمبادئهم الرفيعة ،وأخلاقهم السامية ، وسلوكهم النبيل بعلو الإسلام وشرفه وسموه، فدخلوا في دين الله أفواجًا، محبين له راغبين فيه مقتنعين به، ومن بين تلك البلدان اليوم: اندونيسيا، وماليزيا، والفلبين، والصين، والقارة الافريقية السمراء.

٩. أننا نشهد اليوم انتشارًا للإسلام في أوروبا وأمريكا رغم ضعف المسلمين ومهانتهم وتسلط الأعداء عليهم ، ولم يكن السيف قطعًا هو السبب في ذلك ،ولم يكرهوا على الدخول في الإسلام ولم يجبروا عليه، فهم في غاية الحرية والاختيار، ولكنه دين الله الحق الذي ارتضاه لعباده، والملائم لحاجاتهم ورغباتهم الفطرية.

١٠. أن المقصود من الجهاد هو دفع الصائل، وزحزخة من يقف حجر عثرة أمام الدعوة الإسلامية، والأصل هو الدعوة بالحكمة والجهاد بالكلمة كما قال تعالى: ﴿ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ﴾

[الفرقان : ٥٢]. أي القرآن الكريم.

١١. أن المنصفين من المستشرقين شهدوا بأن الإسلام انتشروا بالدعوة لا بالسيف.

يقول غوستاف لوبون: "قد أثبت التاريخ أن الأديان لاتفرض بالقوة ؛ ولم ينتشر الإسلام إذن بالسيف ، بل انتشر بالدعوة وحدها ، وبالدعوة وحدها اعتنقته الشعوب التي قهرت مؤخرًا كالترك والمغول، وبلغ القرآن من الانتشار في الهند التي لم يكن العرب فيها غير عابري سبيل مازاد عدد المسلمين إلى خمسين مليون نفس منها ... ولم يكن القرآن أقل انتشارًا في الصين التي لم يفتح العرب أي جزء منها قط ... ".

وقال أيضًا: "سيرى القارئ حين نبحث في فتوح العرب وأسباب انتصاراتهم أن القوة لم تكن عاملاً في انتشار القرآن، وأن العرب تركوا المغلوبين أحرارًا في أديانهم".

ويقول (جيمس متشنر): "اعتقد الغرب أن توسّع الإسلام ماكان يمكن أن يتمّ لو لم يعمد المسلمون إلى السيف ، ولكن الباحثين لم يقبلوا هذا الرأي ، فالقرآن صريح في تأييده لحرية العقيدة، والدليل قوي على أن الإسلام رحّب بشعوب مختلفة الأديان مادام أهلها يحسنون المعاملة ويدفعون الجزية ".

ويقول (الكونت هنري دي كاسترو): "فلم يكره أحد عليه بالسيف ولاباللسان، بل دخل القلوب عن شوق واختيار ، وكان نتيجة ماأُودع في القرآن من مواهب التأثير والأخذ بالألباب".

سبل مواجهة الاستشراق المعاصر.

إن الحديث عن الاستشراق هو جزء من الحديث عن الغزو الفكري والتنصير؛ فهو أداة من أدوات الغزو الفكري، ولونٌ من ألوان التنصير، وعليه: فإنَّ ما تقدّم ذكره من سبل مواجهة الغزو الفكري والتنصير يشمل أيضًا سبل مواجهة الاستشراق.

وأوكد هنا على أربعة أمور:

١. تأصيل المسلمين تأصيلًا إسلاميًا قويًا ، يكفل حفظهم ووقوفهم أمام محاولات تشويه الإسلام ، والتشكيك في مصادره وأصوله وتعاليمه وشرائعه.

٢. توعية المسلمين بحقيقة المستشرقين، وأنهم في الأغلب الأعمّ أدعياء للبحث العلمي والمنهج الموضوعي، وأنهم في الحقيقة خَدَمَة للاستعمار والتنصير.

٣. إقامة المؤتمرات الخاصة بفضح المستشرقين وردّ شبهاتهم، وكشف عوراتهم، وهتك أستارهم.

٤. إنشاء موسوعة علميّة إسلاميّة على ضوء (دائرة المعارف الإسلامية) التي كتبها المستشرقون، وبثوا فيها سمومهم ودلّسوا وكذبوا وافتروا ، تعطي هذه الموسوعة البديلة صورة صحيحة عن الإسلام كما رسمها القرآن، ورسمتها السنة الصحيحة تكون مرجعًا للقرّاء والمثقفين، وتحلّ محلّ "دائرة معارفهم الإسلاميّة".

التغريب

مفهوم التغريب.

التغريب مشتق من الغرب، والغرب: خلاف الشرق.

والغرب في اللغة من معانيه : الذهاب والتنحي عن الناس، وفي الحديث: "أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بتغريب الزاني إذا لم يُحْصن"، والتغريب هنا بمعنى: النفي عن بلده. ومن معاني الغرب أيضًا : البُعْد، يقال: اغرب عني أي تباعد.

ومن الاستعمالات الحادثة لمفهوم الغرب: إطلاقه على أوروبا وأمريكا، ويقابله الشرق والذي يراد به: آسيا وأفريقيا، وهذه الاستعمال للغرب والشرق هو المراد هنا عند حديثنا عن الاستشراق والتغريب.

والتغريب اصطلاحًا: تعددت أقوال الباحثين فيه:

فقيل: "هو تيار فكري كبير ذو أبعاد سياسية واجتماعية وثقافية وفنية، يرمي إلى صبغ حياة الأمم بعامّة والمسلمين بخاصة بالأسلوب الغربي؛ وذلك بهدف إلغاء شخصيتهم المستقلة وخصائصهم المتفردة، وجعلهم أسرى التبعية الكاملة للحضارة الغربية".

وقيل: "هو حمل المسلمين والعرب على قبول ذهنية الغرب، وغرس مبادئ التربية الغربية في نفوس المسلمين ؛حتى يشبوا مستغربين في حياتهم وتفكيرهم ؛ وحتى تجف في نفوسهم موازين القيم الإسلامية ".

وقيل غير ذلك.

وحاصل هذه التعريفات هو أن التغريب: مسخ وتغيير للمجتمعات الإسلامية، لمبادئها، وأصولها، وثوابتها، وقيمها وأخلاقها، وعاداتها، وإحلال الأفكار والمعتقدات والمذاهب والعادات والتقاليد الغربية محلها.

فالتغريب طمس للتعاليم الإسلامية، وإلغاء للشريعة الربّانية، ومحاربة للأخلاق والقيم السامية الرفيعة باسم التقدم، والحضارة، والتطور ونحوها من العبارات الرنانة ، والشعارات الكاذبة الجذّابة.

والتغريب دعوة لأخذ كل ما لدى الغرب دون تمييز بين النافع والضار، والصالح والطالح، والخير والشر، وقد عبّر عن ذلك أحد دعاة التغريب بقوله: "نسير سير الأوروبيين، ونسلك طريقهم؛ لنكون لهم أندادًا؛ ولنكون لهم شركاء في الحضارة: خيرها وشرها، حلوها ومرّها، ما يحب منها وما يعاب...".

هكذا تبلغ به الهزيمة النفسية والذلة والمهانة ، وليتهم أخذوا بما في الحضارة من تقنية وصناعة وتقدم دنيوي، إنما أتوا لنا بأبشع ما فيها، وأسوأ ما اشتملت عليه من فساد أخلاقي وعقائدي وفكري.

إن هذه المرحلة التي نمرّ بها (مرحلة انتشار مرض كورونا عام ١٤٤١هـ) والأزمة التي اجتاحت العالم أجمع:

كشفت الأقنعة، وأظهرت الحقيقة، وبان للناس ما لدى الغرب من حضارة مادية بحتة ، بعيدة كل البعد عن الأخلاق والإنسانية.

لقد تهاوت الدول الغربية واحدة تلو الأخرى أمام (مرض كورونا)، ورأى العالم أَجمع الأنانية القذرة البشعة للرأسمالية.

وسيبقى التاريخ يحدثهم عن المواقف الإنسانية والأخلاق الإسلامية للمملكة العربية السعودية تجاه شعبها.

لقد ضربت أروع الأمثلة في المحافظة على شعبها ، بسلوك أبلغ الاحترازات الوقائية ؛ صيانةً للمجتمع وحفظًا لأرواحهم.

أَمْلَت عليهم أخلاقهم الإسلامية وإنسايتهم الفطرية أن لا يفرقوا في بلدهم بين مواطن ومقيم، ولا بين مقيم نظامي وغير نظامي، هم عند الشدائد سواسية.

فالمحن والشدائد لها أحكامها، وما لا يجوز في وقت الرخاء قد يجوز في وقت الشدة والعسر والبأساء.

هذه المواقف الحازمة التي وقفها الملك سلمان وولي عهده حفظهما الله، لن ينساها المنصفون الصادقون، وهي مواقف تذكر فتشكر، فلهم منَّا جزيل الشكر وخالص الدعاء.

نشأة التغريب.

- بدأ التغريب في العالم الإسلامي على يد المستعمرين، ومؤسساتهم التنصيرية والاستشراقية، ولكنه وفق الأسلوب الجديد:

أصبح على أيدى أبناء المسلمين، من هم من بني جلدتهم، ويتكلمون بألسنتهم.

تلاميذ المستشرقين وأذنابهم وأفراخهم ، الذين تشبعوا بأفكارهم، ورددوا شبهاتهم وكانوا خير خلف لشرّ سلف.

التغريب كما تقدم يعدّ أداة من أدوات الغزو الفكري وأسلوبًا من أساليبه ، وكانت بداية الغزو

الفكري بعد الحروب الصليبية إثر هزيمتهم هزيمة نكراء، وبعد أن أُسر لويس التاسع، وفكر وهو في السجن بأجدر طريقة للقضاء على المسلمين، وخرج بقناعة تامة أن المسلمين مصدر قوتهم هي عقيدتهم ، ولن يمكن القضاء عليهم بالسلاح، وإنما يتمّ لهم ذلك باستهداف أصولهم وثوابتهم وعقيدتهم، وهذا ما وقع بالفعل ، ونفذوا ذلك عن طريق التنصير والاستشراق والتغريب.

لقد خطط لهم لويس التاسع ملك فرنسا، وكان من تنفيذ ذلك المخطط وتلك الوصية : ما قام به القائد الفرنسي (نابليون بونابرت)، من حمله على مصر سنة (١٢١٣هـ-١٧٩٨م)،كان لها البذور الفكرية الأولى في غرس (التغريب) في المجتمعات الإسلامية والتي منها:

١- فرض مبادئ العلمانية.

٢- والنبش في الحضارات القديمة قبل الإسلام ، وإثارة النعرات الوطنية والقومية وروح الفخر بالماضي الوثني.

٣- وإشاعة الفجور والتحلل الخلقي.

٤- وإرسال بعثات إجبارية لبعض الأشخاص ؛ ليرجعوا داعين إلى التغريب.

ولقد استطاعت حركة التغريب أن تتغلغل في كل بلاد العالم الإسلامي، وتفاوت تأثيرها من بلد إلى الآخر، وظهرت بوضوح في مصر، والشام، وتركيا، وأندونيسيا، والمغرب العربي، وتتدرج بعد ذلك في البلاد الإسلامية الأقل فالأقل، ولم يخل بلد إسلامي أو مشرقي من آثار وبصمات هذه الحركة.

وصدق على دعاة التغريب ما رسمه المستشرق المنصر (زويمر) في مقالته: "إن تبشير المسلمين يجب أن يكون بواسطة رسول من أنفسهم ومن بين صفوفهم؛ لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها".

فكانوا أعضاء موبؤة من جسد الأمة، فسدت وحاولت إفساد غيرها، وكانوا معول هدم وتدمير لأمتهم ، التي عقّوها ولم يقوموا بواجب البرّ والإحسان إليها.

أهداف التغريب.

يعمل أذناب المستشرقين من دعاة التغريب على تحقيق أهدافهم التي ورثوها من أسيادهم، وأخذوا على عاتقهم بذل وسعهم؛ للوصول إلى تحقيقها، وهذه الأهداف تتمثل بالآتي:

١)إبعاد المسلمين عن دينهم، وسلخهم من أصولهم ومبادئهم، وقيمهم وأخلاقهم وخصائصهم.

٢)تحويل المسلمين إلى مقلّدين للغرب في كل شيء صغيرًا كان أم كبيرًا، نافعًا أم ضارًا، وجعل

المسلمين أسرى التبعية الكاملة للغربيين.

٣)خدمة المصالح الغربية وصيانتها، وذلك بتقريب الهُوة التي تفصل بينهم وبين المسلمين؛ نتيجة لاختلاف القيم والأفكار والعقائد.

٤)إضعاف الرابطة الدينية وتفتيت الوحدة الإسلامية؛ لتسهيل سيطرة الغربيين على بلاد المسلمين.

وأنت تلاحظ أخي الكريم أنَّ هذه الأهداف تقوم على هدم الإسلام وتقويض أركانه وأصوله، وإحلال البديل الغربي مَحِلَّه دون تمييز بين خيره وشره نافعه وضاره ،وإنما نكون إمعات نقلدهم في كل شؤونهم ، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى تلاحظ أن التغريب هو خدمة جليلة لمصالح الغرب في بلاد المسلمين، فدعاة التغريب يعملون لحفظها وصيانتها ورعايتها، بالتقريب، والتفتيت والتمزيق ، بتقريب أبناء المسلمين من الغربيين بمحاكاتهم وقبول أفكارهم ، وتفتيت وتمزيق وحدة المسلمين وتشتيت كلمتهم.

وسائل التغريب.

تعددت وسائل التغريب وتنوعت، كتعدد وسائل أسيادهم المستشرقين وتنوعها، وجآءت كتلك الوسائل قديمةً وحديثةً، تقليدةً ومتجددة، ومن بين تلك الوسائل:

١. تأليف الكتب:

ومنها على سبيل المثال:

كتاب "الشعر الجاهلي" لطه حسين . ادعى فيه أن الإسلام دين محلي لا عالمي، وأن القرآن من وضع محمد صلى الله عليه وسلم، وضعه متأثرًا ببيئته التي كان يعيش فيها.

وكذا كتابه الآخر "مستقبل الثقافة في مصر" ، حاول فيه فصل العالم الإسلامي عن الإسلام، وطبعه بالثقافة الغربية.

ومنها أيضًا:

كتاب: "الإسلام وأصول الحكم" لعلي عبدالرزاق. زعم فيه أن الجهاد كان خاصًا بوقت زعامة النبي صلى الله عليه وسلم، وزعم أن الإسلام دين لا دولة.

وكتاب "البلاغة العصرية واللغة العربية" لسلامة موسى. دعا فيه إلى إلغاء الفصحى واستبدال العامية مكانها، وإلغاء قواعد النحو وقواعد الإعراب.

ومنها أيضًا:

"النثر الفني في القرن الرابع الهجري" لزكي مبارك ، و"الفن القصص في القرآن" لمحمد أحمد خلف الله، قدحا فيهما بالقرآن الكريم.

٢. إصدار الصحف:

ومنها: صحيفة (الأهرام) في مصر التي أسسها: سليم تقلا، وصحيفة (المقتطف) التي أصدرها سليم النقاش، عاشت ثمانية أعوام في لبنان ثم انتقلت إلى مصر سنة (١٨٨٤م)، وصحيفة (الجنان) التي أصدرها بطرس البستاني سنة (١٨٧٠م).

٣. إصدار المجلات:

ومن بينها: مجلة (الهلال) التي أنشأها: جورجي زيدان في مصر سنة (١٨٩٢م).

٤. ترجمة الكتب:

منذ عام (١٨٣٠م) بدأ المبتعثون العائدون من أوروبا بترجمة كتب (فولتير) و(روسو) و(مونتسكيو)؛ في محاولة منهم لنشر الفكر الأوروبي الذي ثار ضد الدين في القرن الثامن عشر الميلادي.

٥. إنشاء الكليات:

ومن بينها: كلية (فيكتوريا) بالإسكندرية، والتي أنشأها (كرومر)؛ لتربية جيل من أبناء المسلمين المؤثرين؛ ليكونوا أداة المستقبل في نقل ونشر الحضارة الغربية.

يقول اللورد لويد (المندوب السامي البريطاني في مصر) حينما افتتح هذه الكلية سنة (١٩٣٦م):

"كل هؤلاء لن يمضي عليهم وقت طويل حتى يتشبعوا بوجهة النظر البريطانية بفضل العُشرة الوثيقة بين المعلمين والتلاميذ".

وافتتحت أسرة القاجار التي حكمت إيران (كلية للعلوم والفنون) على أساس غربي سنة (١٨٥٢م).

٦. تقديم الاطروحات العلمية:

ومنها: أطروحة للدكتوراه مقدمة من: منصور فهمي بإشراف (ليفي بريل) هاجم فيها نظام الزواج في الإسلام، وكان موضوعها: "حالة المرأة في التقاليد الإسلامية وتطوراتها".

لكنه انتقد بعد ذلك حركة التغريب في سنة (١٩١٥م)، وجاصر بأخطائه التي وقع فيها.

٧. عقد المؤتمرات:

- عقد مؤتمر في بلتيمور عام (١٩٤٢م)، يدعو إلى دراسة وابتعاث الحركات السرية في الإسلام.

- وفي عام (١٩٤٧م) عقد مؤتمر في جامعة برنستون بأمريكا لدراسة (الشؤون الثقافية والاجتماعية في الشرق الأدنى".
- وفي عام (١٩٩٤م) عقد مؤتمر (السكان والتنمية) بالقاهرة؛ بهدف نشر أفكار التحلل الجنسي "الغربية" بين المسلمين، من إتاحة للاتصالات غير المشروعة بين المراهقين، والاجهاض، والزواج الحر، والسفاح، وقد أصدرت هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية فتوى بمقاطعته والحذر من توصياته وأهدافه.

ومن وسائلهم:

- الإعلام المرئي، وشبكة المعلومات العالمية، ووسائل التواصل الاجتماعي (التويتر والفيسبوك) والخدمات البريدية، والملفات المرئية، وبناء المدارس، والفنون والآداب.

نماذج من افتراءات وشبهات دعاة التغريب المعاصرة والردّ عليها.

سلك المستغربون مسالك أساتذتهم المستشرقين من خلال الطعن في القرآن والسنة وفي الصحابة، وكل ماله تعلق بالإسلام والمسلمين، نشروا افتراءات وشبهات أساتذتهم وأذاعوها، وفيهم من هو أشدّ جرأة، وأقذر لسانًا وأكثر وقاحة .

ومن بين تلك الافتراءات والشبهات التي حرصوا على إذاعتها وترديدها:

- القول أن القرآن الكريم ليس بكلام الله، وإنما هو من تأليف نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.
- والقول بأنّ السنة لم تجمع إلَّا في وقت متأخر، وأنّ علماء الحديث اختاروا منها ما يوافق أهواءهم.
- والقول بأن الإسلام دين محلي لا عالمي .

وقد تقدّم الردّ عليها عند الرد على افتراءات المستشرقين.

ومنها: أن نقد علماء الحديث كان منصبًا على السند دون المتن.

وأرادوا بذلك القدح في أقوال النبي صلى الله عليه وسلم، وأنها لم تمحص ولم يدقق فيها، وبناءًا عليه: ففيها ما لا يصح قبوله، وعلماء الحديث غفلوا عن ذلك وفاتهم الاهتمام به؛ لكونهم اعتنوا بالسند دون المتن.

وهذا افتراء من المستشرقين ردّده أحمد أمين في كتاب "فجر الإسلام"، **ولنا معه الوقفات الآتية:**

أولًا: أن العلوم التي انبثقت عن علم الحديث تنقسم بحسب السند والمتن إلى ثلاثة أقسام:

الأول: علوم تتعلق بالسند وحده، كعلم الجرح والتعديل.

والثاني: علوم تتعلق بالسند والمتن جميعًا كعلم علل الحديث، فالبحث عن علل الحديث القادحة تشتمل السند والمتن، فكما يشترط في السند أن يكون سالمًا من الشذوذ والعلة القادحة كذلك يشترط في المتن.

والثالث: علوم تتعلق بالمتن وحده، ومنها: "علم غريب الحديث"، حيث اعتنى المحدثون فيه بتفسير الألفاظ النبوية وبيان معانيها.

وأيضًا: "علم مختلف الحديث"، وفيه اعتنى المحدثون بالجمع بين الأحاديث التي ظاهرها التعارض، إمَّا بتخصيص العام، أو بتقييد المطلق، أو بتعدد الحادثة أو بغير ذلك من وجوه التوفيق والجمع بين الأحاديث.

وأيضًا: "علم الناسخ والمنسوخ"، فإنه إذا لم يمكن الجمع بين الأحاديث وعُلم تاريخ كل واحد منهما، فإنه يصار عندئذ إلى الحكم بالنسخ، فيكون المتأخر ناسخًا للمتقدم.

ومن خلال هذه الأقسام يُعلم أن علماء الحديث عُنوا بدراسة المتن كما أنهم عُنوا بدراسة السند.

ثانيًا: أن علم مصطلح الحديث اعتنى بالبحث عن حال الراوي وحال المروي، حال السند وحال المتن، لم يكن البحث فيه عن السند وحده، بل انصب الاعتناء بالمتن والسند كليهما، وقد وقع الحديث فيه عن مباحث شتى كالقلب في المتن، والإدراج فيه، والاضطراب وغير ذلك؛ ولهذا عُرّف علم مصطلح الحديث بأنه " قوانين يعرف بها أصول السند والمتن من حيث القبول والرد"، وعرّف أيضًا بأنه "معرفة القواعد المعرّفة بحال الراوي والمروي" وفي كلا التعريفين التنصيص على دراسة المتن .

ثالثًا: أن علماء الحديث نصّوا على أنه قد يصحّ السند ولا يصح المتن؛ لشذوذ فيه أو علة قادحة، وهي قاعدة متفق عليها بين المحدثين.

ومن الأمثلة على ذلك:

ما جاء في وصف السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب وفيه "...هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون" فلفظة "لايرقون" حكم عليها أهل العلم بأنه شاذة غير مقبولة مع كونها في "صحيح مسلم"، والبخاري لم يروها، وهي لفظة شاذة خالف فيها الثقة من هو أوثق منه، ثم إن المُرقي محسن إلى غيره، والنبي صلى الله عليه وسلم رَقى غيره، ورقاه جبريل.

والقاعدة لها شواهدة عديدة، وهي تدل على مدى اعتناء أَهل الحديث بالمتن اعتناءً فائقًا، فلا يكون الحديث صحيحًا إلَّا إذا سلم من الشذوذ والعلة القادحة في سنده ومتنه.

رابعًا: أن الاعتناء بالأسانيد ونقدها هو في الحقيقة خدمة للمتن واعتناء به، فلولا الاهتمام والاعتناء بالمتن ما كان نقد السند، فالنظر في السند أولًا ثم في المتن ثانيا، وإذا ردّ السند لم يقبل ما بني عليه.

ثانيًا: ومن افتراءاتهم أيضًا:

ما قاموا به من محاوله تشويه للصحابة الكرام، وعلى رأسهم أبي هريرة رضي الله عنه؛ تمشيًا مع المستشرقين كجولدسيهر اليهودي وغيره.

وممن ردد أقوال المستشرقين في القدح في الصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه: أحمد أمين في كتابه "فجر الإسلام"، ومحمود أبو ريّة في كتابه "أضواء على السنة المحمدية".

يقول الشيخ المعلمي: "الكيد اليهودي المحقق كيد (جولدسيهر) وإخوانه المستشرقين المحاولين تصوير الصحابة في صورة مغفلين خرافيين، يتلاعب بهم كعب، وأبو ريّة ممن سقط فريّة لهذا الكيد، ثم عاد فارسًا من فرسانه".

ومن المطاعن التي قيلت في أبي هريرة:

أولًا: إنه لم يكن يكتب الحديث، بل كان يعتمد في روايته على ذاكرته، وعليه فإن أحاديثه محلّ شك وتردد.

والجواب عن ذلك بمايلي:

١- أن أبا هريرة رضي الله عنه لم ينفرد بهذا، وإنما هو صنيع كل من روى الحديث عن الصحابة الكرام رضي الله عنهم ما عدا عبد الله بن عمرو بن العاص، فقد كانت له صحيفة يكتب فيها.

فما وجه تخصيص أبي هريرة بهذا؟ إنه الحقد الشديد، والغل الدفين على أبي هريرة رضي الله عنه؛ لكثرة أحاديثه فهو رضي الله عنه من أكثر الصحابة رواية للحديث، فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم (٥٣٧٤)حديثًا، فالقدح في حفظه والتشكيك في رواياته يؤدي إلى إسقاط جزء كبير من السنة النبوية.

٢- أن الصحابة الكرام رضي الله عنهم أثنوا على حفظه وصدقه ودينه وأمانته وزهده، وأقرّ العلماء له قديمًا وحديثًا بالتقدم على الصحابة جميعًا في حفظ الحديث وروايته، وقد بلغ الآخذون عنه ثمانمائة من أهل العلم.

٣- أن الراوي الحافظ الصادق المتثبت في حفظه، المعترف له من أهل العلم الثقات بالأمانة والاتقان لا يضره ألّا يحدّث من كتاب، بل إن من أهل العلم من يفضِّل الأخذ عن الذي يحدّث من حفظه إذا كان متثبتًا صدوقا على الأخذ عن الذي يحدّث من كتاب غيره، حتى لقد ذهب علماء الأصول إلى أنه إذا تعارض حديثان: أحدهما مسموع والآخر مكتوب، كان المسموع أولى وأرجح؛ لبعدها عن تطرق التصحيف والغلط.

ثم إن العرب مشهور عنهم قوة الحفظ حتى كان أحدهم يحفظ القصيدة الطويلة سمعة واحدة، وقد جاء عن ابن شهاب أنه قال: إني لأَمر بالبقيع فأسدّ آذاني؛ مخافة أن يدخل فيها شيء من الغنا، فو الله ما دخل في أُذني شيء قط فنسيته، وجاء عن الشعبي نحوه.

ثانيًا: أَن بعض الصحابة نقدوا أبا هريرة رضي الله عنهم ؛ لإكثاره من رواية الحديث وشكوا فيه.

والجواب:

١. أن أبا هريرة رضي الله عنه كان من المكثرين في التحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم تأخر إسلامه؛ لكثرة ملازمته للرسول صلى الله عليه وسلم حتى كان يدور معه حيثما دار، وقد بيّن هو نفسه رضي الله عنه سبب قوة حفظه وإكثاره من الحديث، ففي الصحيحين أنه قال: "إنكم تزعمون أن أبا هريرة يكثر الحديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله الموعد، إني كنت امرأً مسكينا ألزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملئ بطني، وكان المهاجرون يشغلهم الصفق بالأسواق، وكانت الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم، فشهدت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وقال:" من يبسط رداءه حتى أَقضي مقالتي، ثم يقبضه فلن ينسى شيئًا سمعه من" فبسطت بردة كانت عليّ، فوالذي بعثه بالحق ما نسيت شيئًا سمعته منه".

فهذا هو سبب إكثاره من الحديث وقوة حفظه، والصحابة شهدوا له بذلك، ولهذا كان الصحابة يسألونه عن حديث الرسول عليه الصلاة والسلام ، ويرجعون إليه.

٢. أن الصحابة الكرام رضي الله عنهم لو كانوا مكذِّبين له أو شاكين في صدقه أو حفظه لما سمحوا له بالاستمرار في التحديث عن الرسول عليه الصلاة والسلام، ولما سكتوا عنه، ولقام عمر رضي الله عنه بمنعه من الحديث، ومعاقبته بأشد العقوبات، وهو من هو في شدة بأسه وصلابته في الحق، أفيسع الصحابة الكرام أن يسمعوا من يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لا يكون منهم أدنى إنكار أو أدنى عقوبة لمن يفعل ذلك ؟! حاشاهم رضي الله عنهم.

٣. من هم الذين عناهم أبو هريرة رضي الله عنه في حديثه لما قال "إنكم تزعمون أن أبا هريرة يكثر الحديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم والله الموعد..." وهو ما احُتج به على الشبهة.

فالجواب:

أن في قول أبي هريرة رضي الله عنه ما يبيّن أن الصحابة لم يكونوا هم أصحاب هذا القول تأمّل قوله: "وكان المهاجرون يشغلهم الصفق بالأسواق، وكانت الأنصار يشغلهم القيامة على أموالهم".

فلو كان القائلون هم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار لخاطبهم بذلك ولقال لهم: "إنكم أيها المهاجرون كان يشغلكم الصفق بالأسواق، وإنكم أيها الأنصار كان يشغلكم القيام على الأموال".

وليس في الحديث الذي تحدث به أبو هريرة رضي الله عنه ما يدل على أَن الناقدين له كانوا من الصحابة أو من ذوي الشهرة فيهم .

- ولعله من المناسب في هذا المقام أن أختم هذه المناقشة بنقل كلام الإمام ابن خزيمة في أصناف من يتعرض لأبي هريرة رضي الله عنه بالطعن والذم . قال رحمه الله : "وإنما يتكلم في أَمر أبي هريرة لدفع أخباره، من قد أعمى الله قلوبهم، فلا يفهمون معاني الأخبار:

١. إما معطل جهمي يسمع أخباره التي يرونها خلاف مذهبهم –الذي هو كفر– فيشتمون أبا هريرة، ويرمونه بما الله تعالى قد نزّهه عنه؛ تمويهًا على الرّعاع والسفل أَنَّ أخباره لا تثبت بها الحجة.

٢. وإما خارجي يرى السيف على أمة محمد صلى الله عليه وسلم، ولا يرى طاعة خليفة ولا إمام، إذا سمع أخبار أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم خلاف مذهبهم الذي هو ضلال، ولم يجد حيلة في دفع أخباره بحجة وبرهان، كان مفزعه الوقيعة في أبي هريرة.

٣. أو قدري اعتزل الإسلام وأَهله، وكفّر أهل الإسلام الذين يتبعون الأقدار الماضية، التي قدرها الله تعالى وقضاها قبل كسب العباد لها، إذا نظر إلى أخبار أبي هريرة التي قد رواها عن النبي صلى الله عليه وسلم في إثبات القدر، لم يجد حجة يؤيد صحة مقالته التي هي كفر وشرك كانت حجته عند نفسه: أن أخبار أبي هريرة لا يجوز الاحتجاج بها.

٤. أو جاهل يتعاطى الفقه ويطلبه من غير مظانه، إذا سمع أخبار أبي هريرة فيما يخالف مذهب من قد اجتبى مذهبه واختاره؛ تقليدًا بلا حجة ولا برهان، تكلم في أبي هريرة ودفع أخباره

التي تخالف مذهبه، ويحتج بأخباره على مخالفيه، إذا كانت أخباره موافقة لمذهبه . وقد أنكر بعض هذه الفرق على أبي هريرة أخبارًا لم يفهموا معناها" .

وكل من يطعن في أبي هريرة رضي الله عنه في هذا الزمان فحاله كحال أولئك الذين لم يوافق هواهم وضلالهم مارواه أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

رضي الله عن أبي هريرة وجمعنا به في جنات النعيم مع النبيين والمرسلين.

موقف التغربيين من قضايا المرأة المسلمة.

- الإسلام كرّم المرأة تكريمًا بالغًا لا نظير له لدى الديانات الأخرى، والمذاهب والتيارات الوافدة، والنظم الوضعية القديمة والحديثة.
- كرّم الإسلام المرأَة كأم، فأوجب برّها، والإحسان إليها، وبالغ أشدّ المبالغة في القيام بحقوقها، وعظم شأنها، وحرّم عقوقها وحذّر منه، وحرَّم أيما تحريم الإساءة إليها، حتى إنه حرّم قول (أفٍ) لها.
- وكرَّم الإسلام المرأة كزوجة، فأوصى الزوج برعايتها وصيانتها وإكرامها، قال صلى الله عليه وسلم: "خيركم خيركم لأَهله وأنا خيركم لأَهلي"، وقال صلى الله عليه وسلم: "استوصوا بالنساء خيرا".

وأوجب الشرع الحكيم دفع المهر إليها، والنفقة عليها، وحسن عشرتها قال تعالى: ﴿ **وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ** ﴾ [النساء: ١٩].

- وكرّم الإسلام المرأة كبنت، فأوصى برحمتها، وحث على تعليمها وتربيتها وتأديبها بالرفق واللين، وأَمر باستئذانها عند زواجها، وحقها في اختيار شريك حياتها.
- وكرّم الإسلام المرأَة كأُخت وخالة وعمة وجدة فأمر بصلتهنَّ، ورغب في ذلك أشدّ الترغيب، ورتب عليه الأجور العظيمة، والفلاح في الدنيا والآخرة.
- جعل الإسلام النساء شقائق الرجال، فقد قال الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام: "إنما النساء شقائق الرجال"، فلها كالرجل حق التعلم والتعليم والإرشاد والتوجيه والتربية، ولها حق إبداء الرأي والمشورة، ولها حق الإرث، ولها حق العمل بضوابطه، ولها حق البيعة، ولها حق التملك والتصرف بمالها فتبيع، وتشتري، وتتصدق، وتهدي، ولها حق الخلع من زوجها لمسوّغ شرعي.

وليس هذا موضع التفصيل والإسهاب في حقوق المرأة في الإسلام.

وأمّا الغرب فهو يتبجح بالدعوة لحقوق المرأة وحريتها، وهو قد أهمل حقوقها، وعرّضها للإساءة،

وأوقع الظلم والجور عليها، ويظهر ذلك من خلال الإحصائيات المنشورة، والتقارير المبثوثة عن حالها في أمريكا وأوروبا، ومن ذلك :

- ما أفاده تقرير لوزارة العدل الأمريكية أن (١٣٢٠) امرأة تقتل سنويًا –أي حوالي أربع نساء يقتلن يوميًا– بواسطة أزواجهن أو أصدقائهن في أمريكا.
- (٤٠ –٥٠%) ممن يقتلن من النساء في أمريكا يكون القاتل هو شريكها الحميم.
- وأكدّ تقرير لوزارة العمل الأمريكية: أن معظم النساء في الغرب يعملن في الوظائف ذات الأجور المنخفضة والمكانة المتدنية، و(٩٧%) من المناصب القيادية العليا في أكبر الشركات يشغلها الرجال كما أفادته وزارة العدل الأمريكية.
- وفي تقرير آخر لوزارة العدل الأمريكية أن: (٨٩%) من الخدم وعمال النظافة هم من النساء.
- وأفادت دائرة الإحصائيات الأمريكية أن: حوالي نصف عدد النساء الأمريكيات ممن تجاوزن ٧٥ سنة يعشن وحدهن.

ومن الإحصائيات أيضًا أن:

- (٥٠ ألف) باحثة بريطانية تقدمن باحتجاجات شديدة على التمييز ضد المرأة في بريطانيا.
- (٧٤%) من العجائز النساء فقيرات.
- (١٧٠ شابةٍ) في بريطانيا تحمل سفاحًا كل أسبوع.
- (١٣٠ ألفَ) امرأةٍ سجلن بلاغات رسمية سنة (١٩٩٠م)؛ نتيجة للاعتدات الجسدية والضرب المبرح ضد النساء، والشرطة الإسبانية تقول: إن الرقم الحقيقي عشرة أضعاف هذا العدد.
- (ومليون و٥٥٣ ألف) حالة إجهاض أُجريت على النساء الأمريكيات سنة (١٩٨٠)م، (٣٠%) منها لفتيات لم يتجاوز عمرهن الـ (٢٠) عاما، وتقول الشرطة: إن الرقم الحقيقي ثلاثة أضعاف هذا العدد.
- إن التغريبيين يزعمون أنهم يريدون التطور والحضارة والحرية للمرأة المسلمة، وهم في الحقيقة يريدون لها الشقاء والبؤس كحال الغربيات، يريدون لها التعاسة والكآبة كما وقع للأمريكات والأوروبيات، يريدون لها التخلي عن سرِّ سعادتها وفلاحها في الدنيا والآخرة.
- إنهم في الحقيقة يدعون إلى إسفاف المرأة، وإلى ابتذالها، وإخراجها عن فطرتها.
- إنهم يسعون لتشويه معالم الإسلام، وتشويه شرائعه، وتزييف حقائقه، وتحريف نصوصه.

- من يعتقد أن القرآن ليس وحيًا من العزيز الحكيم ماذا عساه أن يقول في ميراث المرأة في الإسلام، وماذا عساه أن يقول في أحكام الزواج في الشريعة الغرّاء.
- من يطعن في السنة النبوية ماذا عساه أن يقول في تعدد الزوجات.
- ومن يطعن في الرسول الكريم -عليه الصلاة والسلام- ويحاول تشويه صورة الصحابة الكرام -رضي الله عنهم- ماذا سيكون موقفه من الحجاب ومن أحكام الطلاق في الإسلام.
- إنَّ من فسدت أصوله، وانحرفت عقيدته، وبلغ الغاية في الذلة والمهانة والانقياد للغرب، فإنه بلا شك ولا أدنى مرية سيكون ذا موقف سيئة تجاه المرأة المسلمة.

سيغمض عينيه عن كل ما يراه من سواءات وسيئات الغرب، وعن كل وظلم وجور تجاه المرأة في الغرب، وسيلمع المرأة الغربية؛ إرضاء لأساتذته؛ ومحاولة لاخفاء الحقيقة المرَّة؛ ودعوة لتقليد الغرب.

- ومما ينبغي التنبيه عليه:

أنَّ الإصلاح مطلب ثمين، يسعى إليه كل ناصح أَمين، وهذا الإصلاح والتصحيح ينبعث من الشرع الحكيم، الذي أمر بإعطاء المرأة حقوقها ورفع الظلم عنها، فما قام على هذا فهو مشروع ومأمور به، فإن في بعض بلاد المسلمين من العادات والتقاليد المخالفة للشرع ما يجب أن يزال ويحارب، كمنع المرأة من الزواج ممن ترغب وتريد، وإجبارها على الزواج ممن تكره وتبغض، وكعضلها من ولي أمرها جورًا وظلما، وغير ذلك من الصور التي لا تمت إلى الدين الحنيف بصلة، فمحاربه هذا وأمثاله يجب أن يفرَّق بينه وبين ما يتشدق به أدعياء حقوق المرأة من التغربيين.

سبل مواجهة التغريب.

- **إن أول سبيل** لمواجهة جميع الحركات الباطلة والدعوات الوافدة، والمذاهب والتيارات الفاسدة هو:

تسليح المسلمين بالعقيدة الصحيحة، فهي سلاح منيع، وحصن حصين بإذن الله عزوجل من كل وارد فكري، مخالف لتعاليم وأصول الدين الحنيف.

يبدأ المرء أولًا بتسليح نفسه وأهله وأبنائه وبناته ومن حوله، فإذا صلح الأفراد وصلحت الأسرة صلح المجتمع.

وإذا صلح المجتمع لم يتمكن أي وافد غربي من اختراقه مهما بلغت قوته، ومهما تعددت طرقه ووسائله وأساليبه.

- **ثانيًا**: تفنيد شبهاتهم، وكشف زيفهم؛ لئلا يقع المسلمون فريسة لادعاءاتهم وزخارف أقوالهم.
- **ثالثًا**: الحرص على إعطاء المرأة حقوقها الشرعية، ورفع ظلمات العادات والتقاليد المخالفة للشرع عنها، وأن تُعطى المسائل الخلافية الفقهية المتعلقة بالمرأة قدرها وأن لا يُبالغ فيها.

فهرس الموضوعات (١)

١. المقدمة ٢

٢. الغزو الفكري ١٨

٣. التنصير ٣١

٤. الاستشراق ٤١

٥. التغريب ٦٠

المذاهب والتيارات المعاصرة ٢

إعداد

د. عادل بن حجي العامري.

العلمانية

مفهوم العلمانية.

نشأ مصطلح العلمانية وظهر وتطور وترعرع في أوروبا.

ولاوجود لهذا المصطلح في المعاجم والقواميس العربية الأصيلة القديمة، والبحث في دلالته ومعناه ظهر أولًا في المعاجم الأجنبية.

وكثير من المؤرخين يعدون عام (١٦٤٨)م بداية مولد الظاهرة العلمانية في الغرب.

وفي بداية ظهورها في القرن السابع عشر كانت تعتبر الدين شأنًا شخصيًا لا علاقة للدولة به ، وتؤكد على الفصل بين الدولة والكنيسة ، واستمرت على هذا في القرن الثامن عشر الميلادي.

وفي القرن التاسع عشر وما بعده تطورت العلمانية إلى إلغاء الدين تمامًا عن جميع شؤون الحياة.

والفرق بين المرحلتين:

أن المرحلة الأولى: فصلت الدين عن الدولة والسياسة، ولم تلغه تماما عن جميع شؤون الحياة، وأصبح الدين حرية شخصية يمارسها الفرد إذا شاء .

وأما في المرحلة الثانية: فقد أقصي الدين عن جميع شؤون الحياة ، السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية والعلمية، ولم يظل مجرد فصل بين الدين والدولة أو بين الدين والسياسة.

يطلق بعض الباحثين على المرحلة الأولى : العلمانية المعتدلة ، وعلى الثانية : العلمانية المتطرفة.

وبعضهم يطلق على الأولى : العلمانية الجزئية ، وعلى الثانية : العلمانية الشاملة.

والعلمانية مذهب هدَّام يُراد به كما علمتم إقصاء الدين وفصله عن جميع شؤون الحياة، أو إقصاؤه وفصله عن الدولة والسياسة.

والعلمانية بجميع صورها ومراحلها وأقسامها مناقضة للإسلام ومصادمة له ؛ ولا يقبل الإسلام من المرء أي عبادة حتى يرضى بالله ربًا، وبالإسلام دينا، وبمحمد عليه الصلاة

والسلام نبيًا ورسولا ، وباعث العلماني إذا قام ببعث العبادات من صلاة وصيام وغيرهما هو الحرية الشخصية، لا الاستسلام لله والخضوع والانقياد له.

ثم إن الإسلام دين كامل شمولي، جاء بنظام فريد متميّز في جميع شؤون الحياة، السياسية والاقتصادية والاجتماعية والروحية والفكرية، لم يترك شاردة ولاواردة إلا وله فيه حكم، من إيجاب أو استحباب، أو تحريم أو كراهة أو جواز، لايقبل التفرقة والتجزئة، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾ [البقرة: ٢٠٨]، أي في الإسلام كافة ، أي اعملوا به كله دون تفريق، وقد أنكر الله على من يؤمن ببعض الكتاب دون بعض، وتوعده في الدنيا والآخرة فقال: ﴿أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٥].

والحاصل:

أن العلمانية هي فصل الدين عن الدولة والسياسية أو عن جميع شؤون الحياة.

وهي مصادمة للوحي، معارضة للشرع، لايمكن اجتماعها مع الإسلام؛ للتضاد فيما بينهما في الأصول والمبادئ والمنطلقات والمعتقدات.

ويرى أكثر الباحثين أن العلمانية مشتقة من (العَالَم) أي العالم الدنيوي في مقابل العالم الأخروي، فاهتمامهم منصب على العالم المادي الدنيوي، ولايؤمنون بما وراء ذلك من أمور الآخرة، وعليه فإن النطق الصحيح لها هو : بفتح العين.

أسباب ظهور العلمانية في الغرب

لظهور العلمانية في الغرب أسباب عديدة من أهمها مايلي:

أولًا: طغيان الكنيسة:

سيطرت الكنيسة في أوروبا في قرونها الوسطى أو العصور المظلمة – وهي الفترة ما بين القرن الرابع الميلادي إلى القرن الخامس عشر الميلادي ، أي قرابة عشرة قرون – على كل اتجاه، وأصبحت بمثابة الدولة، وتنوع فسادها وطغيانها، **فشمل الطغيان الديني المتمثل في:**

- احتكار الوساطة بين الناس وبين الله.

- وقصر حق تفسير وفهم نصوص الكتاب المقدس على البابا وأعضاء مجلسه.
- وحظرت على أي شخص آخر خارج جهاز الكهنوت محاولة تفسيره أو مناقشته.
- ومنحوا أنفسهم حق الغفران للمذنبين وذوي الخطايا مهما عظمت، ورتبوا مراسِم للاعتراف والغفران، ووضعوا رسومًا ماليةً يدفعها المعترف للكنيسة حتى ينال الغفران عن خطاياه.
- وأعطوا أنفسهم سلطة بيع الصكوك التي تخوّل مالكيها دخول الجنة بغير حساب ، مهما عظمت خطاياه السابقة واللاحقة.

وشمل أيضًا: الطغيان السياسي:

فالبابا هو من يولي الملوك والأباطرة، وهو من يخلعهم إذا نازعوه ورفضوا أوامره، وباستطاعته أن يحرمهم من الدين، وأن يحرم شعوبهم الذين يوالونهم.

عبّر عن هذا الطغيان البابا غريغورس بقوله: "إن الكنيسة هي صاحبة السيادة في العالم كله، تستمد نفوذها من الله مباشرة، وتمدّ هي ملوك الأرض أمراءها بالنفوذ، وإن البابا له مركز قوي في العالم، فهو الذي يولي الأساقفة ويخلعهم، وله الحق في خلع الأباطرة؛ لأنه سيدهم الذي لايسأل عمّا يفعل وهم يسألون".

وقد مارست الكنيسة هذا الطغيان على أرض الواقع، فإنه عندما نشب خلاف بين البابا (هلدبراند) وهنري الرابع إمبراطور ألمانيا حول مسألة "التعينات" أو ما يسمّى بالتقليد العلماني، حاول الإمبراطور أن يخلع البابا، فردّ البابا بخلع الإمبراطور، وحرمه، وأحل أتباعه والأمراء من ولائهم له، وألّبهم عليه، فعقد الأمراء مجمعًا قرّروا فيه أنه إذا لم يحصل الامبراطور على المغفرة من البابا فإنه سيفقد عرشه إلى الأبد، فاضطر هذا الامبراطور حفاظًا على عرشه أن يسعى لاسترضاء البابا ، وكان ذلك سنة ١٠٧٧م ، فاجتاز جبال الألب في شتاء بارد مسافرًا إلى البابا الذي كان في قلعته ، وظل واقفًا في الثلج في فناء القلعة ثلاثة أيام، وهو في لباس الرهبان، متدثرًا بالخيش، حافي القدمين، عاري الرأس، يحمل عكازه، مظهرًا ندمه وتوبته حتى ظفر بعفو البابا وحصل على رضاه.

وشمل أيضًا: الطغيان المالي:

- فقد فرضت الكنيسة على الناس: نظام السُّخرة والعشور، وذلك بأن يعملوا في الأرض

التي تملكها الكنيسة يومًا كل أسبوع بدون أجر، وأن يدفعوا عشر أموالهم هبةً لها، ويجمع كل ذلك ؛ ليدخل في جيوب رجال الكنيسة.

- واستولت الكنيسة على أرض زراعية واسعة وأوقفتها على نفسها.
- وفرضت على الناس ألا يكتبوا وصاياهم إلَّا على يد القسيس، وأصبح من الواجب وقت كتابه الوصية أن يهب الوصي شيئًا من ماله للكنيسة.
- وفرض البابا يوحنا الثاني والعشرون "ضريبة السنة الأولى"، وهي : دخل السنة الأولى لأية وظيفة من الوظائف الدينية أو الإقطاعية تدفع إلى الكنيسة بطريق الإجبار.
- هذه بعض صور الطغيان الكنسي التي أدّت بالغرب إلى الخروج على الكنيسة ورجالها ، ونبذ كلّ ما له صلة بها، وعلى رأس ذلك الدين الكنسي، فنبذ الدين وأقصي وفصل عن الحياة وعزل عن شؤونها.

ثانيًا : الصراع بين الكنيسة والعلم

- قام الصراع بين الكنيسة والحقائق العلمية على أشده، فلقد كانت الكنيسة هي المصدر الوحيد للمعرفة، فلما ظهرت بعض الحقائق العلمية التي تخالف ما تقرره الكنيسة حصل الصراع بين الكنيسة وبين العلم، ومن هنا اصطدمت حقائق العلم بزيوف الكنيسة؛ فقامت الكنيسة بالقبض عليهم، وتكذيبهم، ومحاربة أفكارهم.
- فقد تبنت الكنيسة أفكارًا ونظريات في علوم الجغرافيا والطب والأحياء وغيرها، ثم أضفت عليها من القداسة ما جعلها جزءًا من الدين وحكمت على مخالفيها بالهرطقة ، وأنه تجب معاقبته.
- ولمقاومة العلم والفكر أُنشئت في أوروبا (محاكم التفتيش) بطلب الراهب (توركماندا)، وقامت بمهامها الإرهابية حق القيام، فحكمت في المدة من عام (١٤٨١ -١٤٩٩) أي في حدود ثمانية عشر عامًا على:
- عشرة الآف ومائتين وعشرين (١٠٢٢٠) شخصًا بأن يحرقوا وهم أحياء فأُحرقوا .
- وعلى ستة الآف وثمانمائة وستين (٦٨٦٠) بالشنق فشُنقوا .
- وعلى سبعة وتسعين ألفًا وثلاثة وعشرين (٩٧٠٢٣) شخصًا بعقوبات مختلفة فنفذت.

وممن تمت محاكمتهم على يد الكنيسة:

٥."جيور دانو برونو": الذي أحرقته الكنيسة حيًا وذرته في الرياح. أيّد نظرية كوبرنيق، فقال بدوران الأرض خلافًا لقول الكنيسة إنها مركز الكون وأن الأجرام السماوية تدور حولها.

٦."دي روميس": الذي قال: إن قوس قزح ليس قوسًا حربيةً بيد الله ينتقم بها من عباده إذا شاء، بل هو انعكاس ضوء الشمس في نقط الماء، فجُلب إلى روما وحُبس حتى مات، ثم حوكمت جثته وكتبه، وحكم عليها وألقيت في النار.

٧.غاليليو: الذي قال بدوران الأرض حول الشمس، وقد اضطر أمام شدة التعذيب والسجن أن يتراجع عن آرائه، ويعلن وهو جاث على ركبتيه أمام البابا "أربان الثامن" سنة ١٦١٥م الاعتراف التالي: "أنا غاليليو وفي السبعين من عمري، سجين على ركبتي وبحضور فخامتك، وأمامي الكتاب المقدس الذي ألمسه الآن بيدي أعلن أني لا أشايع، بل أعلن وأحتقر خطأ القول وهرطقة الاعتقاد بأن الأرض تدور".

٨.ونيوتن: الذي قال بقانون الجاذبية ؛ لأن هذا القول من وجهة نظر الكنيسة انتزاع قوة التأثير من الله عز وجل إلى قوى مادية.

فأصبح العلم في نظر الغرب منبوذا من الكنيسة ومحاربا ، ونشأت لديهم فكرة التعارض بين الدين والعلم ، فطرح الدين وأبعد وأزيح عن الحياة .

ثالثًا : تعاليم النصرانية المحرّفة

التوراة التي أنزلت على موسى –عليه الصلاة والسلام– والإنجيل الذي أنزل على عيسى – عليه الصلاة والسلام جعل الله فيهما الهدى والنور لبني إسرائيل ، ولم يتعهد الله بحفظهما ؛ ولهذا فقد طالتهما أيدي المحرّفين والمبدلين والعابثين، فالتوراة والإنجيل الموجدان اليوم ضمن الكتاب المقدس ليسا هما اللذان أنزلا على موسى وعيسى –عليهما الصلاة والسلام– ، والتعاليم النصرانية فيهما هي تعاليم محرّفة ومبدّلة .

ويظهر أثر التعاليم المحرّفة في ظهور العلمانية من جهتين:

الأولى: من جهة التعاليم الموغلة في الزهد في الدنيا واحتقارها والتجرد منها، وعدم اشتمالها على جميع شؤون الحياة المختلفة ، فوجدها الأوروبيون بعيدة عن واقع الحياة وظروف العصر.

وهذا بخلاف الدين الإسلامي الذي أمر بإصلاح الدين والدنيا والآخرة ، وحث على الزهد الحقيقي الذي يكون في القلب، ولايعطل الحياة، ولايمنع المرء من الحرص على ماينفعه في دنياه، وحقر الإسلام الدنيا؛ لئلا تكون همّ المسلم والمسيطرة على فؤاده ونفسه، بل تكون في اليد لافي القلب .

قال الله تعالى" وابتغ فيما آتاك الله للدار الآخرة ولاتنس نصيبك من الدنيا..."، وقال عليه الصلاة والسلام"احرص على ماينفعك واستعن بالله..." على ماينفعك في دينك ودنياك.

وكان من دعائه –عليه الصلاة والسلام-: "اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي..." فجمع عليه الصلاة والسلام بين سؤال الله صلاح الدين والدنيا والآخرة .

ومن الصحابة من كان غنيًا موسرًا وهو في الوقت نفسه زاهدًا في الدنيا راغبًا عنها، كعثمان بن عفان رضي الله عنه .

ثم إن الدين الإسلامي جاء شاملًا لجميع شؤون الحياة ، السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها ولم يقتصر على الأخلاق والتزهيد في الدنيا مع أهميتهما في الإسلام .

الثانية: من جهة بعض النصوص في الإنجيل ، التي تفصل بين الدين والدولة وتحث عليه .كما جاء في "إنجيل متى" :" أعطوا إذاً مالقيصر لقيصر، ومالله لله".

وهذه هي العلمانية التي تفصل بين الدين والسياسة، فتعاليمهم النصرانية فيها مايدعو إلى العلمانية؛ ولهذا وجدت مناخًا مناسبًا وتربَة خَصْبة بين تلك الشعوب، وكان ذلك من أسباب ظهورها في الغرب.

رابعًا: الثورات التي قامت في أوروبا .

وعلى رأسها الثورة الفرنسية التي بدأت عام (١٧٨٩م)، واستمرت إلى عام (١٧٩٩م)، ومن أسبابها ماتقدمت الإشارة إليه من الطغيان الكنسي على جميع المستويات، ومحاربة الكنيسة للعلم وتعنتها.

وكان من نتائج هذه الثورة: فصل الدين وإقصاؤه عن شؤون الحياة، وتطبيق العلمانية في الغرب.

خامسًا: المكر اليهودي الذي يحرص على إنشاء المذاهب الهدامة أو احتوائها؛ رغبة منهم في نشر الإلحاد والانحلال والفساد.

هذه بعض أسباب قيام العلمانية، وتلك هي بعض مسوغات نشأتها في الغرب.

أسباب انتقال العلمانية إلى العالم الإسلامي.

نشأت العلمانية في أوروبا، وانتقلت بعد ذلك إلى العالم الإسلامي ، وكان من أهم أسباب انتقالها إلى العالم الإسلامي مايلي:

أولاً: الاستعمار وأذنابه

فإنه في بداية منتصف القرن التاسع عشر الميلادي ، وعلى التحديد في سنة ١٨٥٧م تمّ للإنجليز الاستيلاء على الهند سياسيًا ، وانتقلت سلطة الحكم رسميًا إلى بريطانيا.

وزالت بذلك إحدى الدول الإسلامية الكبرى، وهي دولة المغول في الهند أو الدولة التيمورية (نسبة إلى تيمورلنك، مؤسس هذه الإمبراطورية في آسيا الوسطى)، والتي قامت في مستهل القرن السادس عشر الميلادي.

كما تمّ في السنة نفسها (١٨٥٧م) استيلاء الفرنسيين على الجزائر كلها إلى الصحراء، بعد أن ابتدأوا غزوها سنة (١٨٣٠م).

ومن قبل ذلك في بداية القرن السابع عشر احتلت هولندا جزر الهند الشرقية (اندونيسيا).

وبعد قرنين ونصف، أي منذ بداية القرن السابع عشر الميلادي إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر تمكن الاستعمار الغربي من السيطرة التامة على بلاد المسلمين في وسط آسيا وشرقها، واتخذ نقطة ارتكاز رئيسية في إفريقية.

كما تمكن من مدّ نفوذه إلى قلب العالم الإسلامي، وما أن جاءت الحرب العالمية الأولى وانقضى أجلها إلّا والعالم الإسلامي تحت نفوذ هذا المستعمر سوى بلاد الجزيرة العربية.

لقد كان هذا الاستعمار من نتائج الحروب الصليبية على بلاد المسلمين التي لم تفلح في أول أمرها، وعادت خائبةً مدحورة، والتي بدأت سنة (٤٨٩هـ إلى ٦٦٨هـ)ـ الموافق سنة (١٠٩٧م إلى ١٢٧٠م).

نعم كانت حربًا ضاريةً أدّت إلى سقوط بيت المقدس سنة ٤٩٢هـ، إلّا أنه تمّ استعادته

على يد القائد المسلم صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٣هـ.

دامت هذه الحرب قرابة قرنين من الزمان عادوا إلى بلادهم خائبين مطرودين، لم يظفروا بأهدافهم ولم يحققوا أَحلامهم.

ثم عاودوا الحروب مرَّة أخرى وكان من نتائجها ما يعيشه المسلمون اليوم من الضعف والهوان، واستعمار الغرب لبلادهم.

بدأت محاولات الغزو الصليبي الحديث منذ بدايات القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) بعد إسقاط دولة المسلمين في الأندلس، وبعد سقوط آخر دويلة فيها وهي دويلة غرناطة سنة (١٤٩٢م) بعد معارك وحشية طاحنة استمرت وقتًا طويلًا، بارك البابا هذا الانتصار، وشجع الصليبين على متابعة غزوهم لطرد المسلمين من بقية بلاد الإسلام، وهذا ما وقع في الحقيقة وتمّ لهم، فقد وقعت بلاد المسلمين في قبضتهم وأصبحوا تحت يد الاستعمار، يسيرونهم كما يشآءون، ويتصرفون في بلادهم كما يريدون، سيطروا على مفاصل الدولة كلها، فبثوا سمومهم، ونشروا أباطيلهم، وصنعوا لهم دعاة ينشرون ضلالهم، ويحاربون الإسلام ، ويثيرون الشبه والشكوك حوله، وأخذوا عندها يقذفون بالمذاهب والتيارات في بلاد المسلمين كما تقذف البراكين بلهيبها ونارها، وعاونهم على ذلك دعاة التغريب الذين رضعوا من ثدي الغرب، وكانوا بررة طائعين لأسيادهم، فانتقلت بسبب الاستعمار وأذنابه التيارات إلى بلاد المسلمين بأشكال وألوان متعددة، وعلى رأسها العلمانية، وقد كانت بلاد المسلمين وقتها مناخًا ملائمًا ومناسبًا لانتشار المذاهب الفكرية في أرجائها.

الثاني: المناخ الملائم لانتقال المذاهب الفكرية وعلى رأسها العلمانية إلى العالم الإسلامي.

في ظل هذا الاستعمار الغاشم، وهذه الجهود القوية الجبارة التي يبذلها الأعداء وأذنابهم لإفساد ديار المسلمين فكريا وعقديًا ،كان المسلمون يعيشون في جهل مطبق، في شتى المجالات بعد أن كانوا قرونا عديدة لهم السيادة على العالم، سيادة العلم والفكر، والتطور والاختراع.

انتشر الجهل في بلاد المسلمين انتشار النار في الهشيم وابتعد الناس بسبب ذلك عن

التمسك بدينهم الحنيف، وانتشرت البدع والشركيات والخزعبلات والخرافات، وعمَّ الجهل بجميع أنواعه، الديني، والعقدي، والعلمي، والصناعي، والسياسي، والاقتصادي، والاجتماعي، وانحدر المسلمون انحدارًا عظيمًا.

وانحرفت لديهم مفاهيم الإسلام الصحيح، انحرف عندهم مفهوم التوكل بالتواكل والكسل وترك العمل، وأصبح مفهوم القضاء والقدر هو الجبر وموافقة القدر، فما قدّره الله وقضاه فهو يحبه ويرضاه، فهم مع الغالب أيًا كان ، فإن كان الغالب هم الكفار فإنهم لايقاومونه ولا يجاهدونه ؛ لكون الله أراد ذلك فهو يرضاه ويحبه.

وهكذا تغيرت مفاهيم وتصورات التوحيد ومدلول لا إله إلَّا الله، حتى أصبح التوحيد عندهم هو إفراد الله بربوبيته دون ألوهيته ، فانتشر الشرك، من دعاء غير الله، والذبح والنذر للأولياء، وتقديس أصحاب القبور وصرف العبادات لهم، وشيّدت القبور وبني عليها القباب، وغلا الناس فيها حتى اتخذوهم أربابا من دون الله.

واشتغل المسلمون في تعليمهم الديني بعلم الكلام والفلسفة والمنطق، واعتاضوا بها عن القرآن الكريم والسنة النبوية، وكان لهذه العلوم أثر كبير أيضًا في نشر الشرك والبدع، وإضعاف عقائد المسلمين، وبعدهم كلَّ البعد عن العقيدة الصحيحة القائمة على النصوص واتباع السلف الصالح.

وكثرت الفرق وانتشرت بين المسلمين، ما بين صوفية تقول بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود ووحدة الأديان وتمارس الشركيات، ومابين متكلمين يقدسون العقل ويقدمونه على النقل، ولا يعرفون من الإيمان سوى التصديق، وما بين فرق باطنية قامت على محاربة الإسلام والحقد عليه، تخالف الإسلام من أساسه ، فلا إيمان عندهم بالله ولا باليوم الأخر ولا بشيء من أصول الإيمان الستة، وتعمل ليل نهار جاهدة في تدمير أصول الإسلام وتقويض أركانه، ووجدت من المستعمر الدعم والتشجيع والمؤازرة والمناصرة.

فكان هذا المناخ وهذا الجو الملائم سببًا من أسباب انتقال العلمانية إلى العالم الإسلامي.

السبب الثالث: الانبهار بالحضارة الغربية .

في ظل هذا الجهل وهذا التفرق والبعد عن الإسلام والتوحيد وقع في قلوب بعض المسلمين الانبهار بما لدى الغرب من حضارةٍ وتقدمٍ صناعي وتقني، وغُرِسَ في نفوسهم بسبب

المستعمرين وأذنابهم، أن سبب ذلك هو البعد عن الدين وإقصائه عن شؤون الحياة، وأن سبب تخلف المسلمين الصناعي والتقني هو الإسلام.

لك أنت تصور الأمر استعمار يضرب بأذنابه بلاد الإسلام، وبيئة خصبة لتقبل كل وافد، وانبهار بما لدى الغرب من تقدم وصناعة وتقنية، النتيجة قطعا ما هي؟

هي انتقال التيارات المختلفة العديدة، وسرعة تقبلها وقبولها، وعلى رأسها العلمانية، وهذا ما وقع بالفعل.

السبب الرابع: التنصير.

تقدّم معكم في المستوى الماضي: أن من أهداف التنصير: إخراج المسلمين من دينهم، وتركهم بلا ملةٍ ولا عقيدةٍ ولا هويةٍ إسلامية، فإذا لم يتمكنوا من تنصيرهم وإدخالهم في دين النصرانية وهو الهدف الأول من أهداف التنصير فعلى الأقل يشوهون الإسلام في نفوسهم، وذلك بإثارة الشبه والشكوك حول الإسلام، حول القرآن والسنة، حول الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، حول الصحابة الكرام، وحول رجال الإسلام عموماً، وحول لغة لمسلمين وأخلاقهم وقيمهم ومبادئهم وحضارتهم، فيبقى أبناء المسلمين أو بعض أبناء المسلمين كارهين لدينهم، مبغضين له، وحينها يقون بلا دين، ويسهل عندها تقبل العلمانية وغيرها من المذاهب الفكرية.

يقول المنصّر صموئيل زويمر مخاطبا قومه المنصرين ومسليًا لهم بعد أن بآؤوا بالفشل، وخابوا في تحقيق هدفهم الأول من التنصير، وهو إدخال المسلمين في النصرانية يقول : "إنني أقركم على أن الذين دخلوا من المسلمين في حضيرة المسيحية لم يكونوا مسلمين حقيقين... إلى أن قال: ولكن مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية ليست إدخال المسلمين في المسيحية ؛ فإن هذا هدايةً لهم وتكريماً، وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام؛ ليصبح لا صلة له بالله، وبالتالي فلا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها، وبذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية... ".

وجملة القول: أن الغزو الفكري بأدواته وأساليبه ودعائمه المختلفة (التنصير – والاستشراق – والتغريب) كان من أسباب انتقال العلمانية وغيرها من المذاهب الهدامة إلى بلاد المسلمين. وقد تقدم شرح ذلك مفصلًا في المستوى الماضي.

صور العلمانية في مجالات الحياة المختلفة

انتقلت العلمانية إلى العالم الاسلامي، ولم يقتصر الأمر فيها على علمانية السياسة والحكم، بل شمل مجالات الحياة المختلفة الاقتصادية، والثقافية، والعلمية، والتربوية، والاجتماعية، وغيرها، وإليك بعض صورها على وجه الإجمال:

١- إلغاء الشريعة الإسلامية، وإحلال القوانين الوضعية محلها، والزعم بأن الاسلام دينٌ لا دولة، وأنه لا علاقة له بالسياسة والحكم.

٢- استيراد المذاهب والأنظمة والمناهج (اللادينية) المصادمة للدين من الغرب.

٣- إضعاف المحاضن والمعاهد الإسلامية.

٤- احتقار ماضي المسلمين وتاريخهم وحضارتهم .

٥- الدعوة إلى اللهجات العامية.

٦- الطعن في الإسلام وتعاليمه وإثارة الشبه والشكوك حوله.

٧- اعتبار الدعوة إلى الشريعة وتحكيمها ونبذ القوانين الوضعية تخلفاً ورجعيةً وبعداً عن الحضارة والتقدم.

٨- إفساد التعليم والتركيز على تشويه صورة التعليم الشرعي.

٩- تدريس النظريات التي تصادم الدين وتعارض مسلَّمات الإسلام، كنظرية داروين (نظرية التطور) وغيرها.

١٠- نشر الإباحية والفوضى الأخلاقية وهدم بنيان الأسرة.

١١- تمييع الفوارق بين الإسلام والأديان الأخرى.

١٢- الاستهزاء بالدين وتعاليمه وأحكامه وتشريعاته.

١٣- اعتبار التمسك بأوامر الشرع ونواهيه تخلفاً وجموداً وعدم مسايرةٍ لتطور الحياة وتقدمها.

١٤- تصوير الفتوحات الإسلامية على أنها همجية تسودها الفوضى والمطامع الشخصية.

١٥- الدعوة إلى الأخذ بكل ما لدى الغرب من خيرٍ أو شرٍ، نافعٍ أو ضارٍ، صالحٍ أو صالحٍ، دون وعيٍ وتمييز.

١٦- تصوير تقدم الغرب في الصناعة والحضارة والتقنية على أنه يعود إلى البعد عن الدين وإقصائه، وأنه الحل للدول المتخلفة.

١٧- قيام الاقتصاد على التعاملات الربوية على مستوى الدول والمؤسسات والأفراد.

١٨- الاستهتار بالتعاملات المالية الشرعية.

وأول من رفع شعار العلمانية في بلاد الإسلام تنظيراً وتطبيقاً هو: كمال أتاتورك، الذي حوَّل تركيا إلى دولةٍ علمانية، وحذف من الدستور عبارة الإسلام دين الدولة، وألغى المحاكم الشرعية، وقرَّر العمل بالقانون المدني السويسري، والقانون الجنائي الإيطالي، والقانون التجاري الألماني، ومنع التعليم الديني، وعطَّل مراكزه، ومنع الحجاب، وألغى الحروف العربية وأبدلها بالحروف اللاتينية، ومنع الأذان بالعربية وجعله بالتركية، وحمل الشعب على تغيير أسمائه العربية واستبداله بألقابٍ تركية الأصل، وبدأ هو بنفسه حيث أبدل اسمه من (مصطفى كمال) إلى أتاتورك، ومعنى أتاتورك أي: أبا الترك.

موقف الإسلام من العلمانية

علمنا فيما مضى أن العلمانية هي إقصاء الدين وفصله عن الدولة والسياسة، أو فصله عن جميع شؤون الحياة على مستوى الدولة، وعلى مستوى الأفراد.

وتصور العلمانية بهذا المعنى المطابق لحقيقتها وواقعها لا يمكن اجتماعها مع الإسلام، ولاتصلح ولن تصلح لبلاد الإسلام؛ فإن الإسلام دينٌ شمولي، نظَّم جميع شؤون الحياة، وأصدر لها أحكاماً شاملةً صالحةً لكل زمانٍ ومكان، ولم تكن تشريعاته وأحكامه مقتصرةً على العبادات الصِّرفة المحضة، بل جاء بنُظُمٍ، وتشريعاتٍ، وأحكام متعلقة بجميع شؤون الحياة: الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، وغيرها، فأصدر أحكاماً سامية متعلقةً بالزكاة، والهبة، والعطايا، والوصايا، والمواريث.

وأصدر أحكاماً أيضًا متعلقة بالبيوع، والقرض، والرهن، والضمان، والكفالة، والحوالة، والصلح، والحجر، والوكالة، والشركة، والإجارة، والعارية، والغصب، والشفعة، والوديعة، والجعالة.

وهناك أيضًا الأحكام المتعلقة بالنكاح، والخلع، والطلاق، والرجعة، والإيلاء، والظهار، واللعان، والعدة، والرضاع، والنفقات، والحضانة.

والأحكام والتشريعات المتعلقة بالجنايات، والديات، والحدود.

والأحكام والتشريعات المتعلقة بالأطعمة، والذكاة، والصيد، وأحكام الأيمان، والنذور.

والأحكام المتعلقة بالقضاء، والدعاوى، والبينات، والشهادات، والإقرار.

وهناك الأحكام المتعلقة بالسلم، والحرب، والمعاهَدين، والمستأمِنين، والذميين.

وأحكام الراعي وعلاقته بالرّعية.

فهو دينٌ كاملٌ شامل لجميع أمور الحياة، يتقرب العبد بالعمل به، وتطبيقه لربه وخالقه ومولاه عزّ وجلّ ، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

ولا حكم أحسن من حكم الله، ولا حكم أعدل من حكم أعدل العادلين وأحكم الحاكمين، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المائدة: ٥٠]

دينٌ متكامل جامع كهذا الدين العظيم لا يصح ولا يمكن فصله عن الدولة وعن الحياة، ولئن كان هناك مبررٌ لتطبيق العلمانية في المجتمعات الأوروبية فلا مبرر لها في العالم الإسلامي، ولن تفلح في بلاد الإسلام.

إن العلمانية مناقضةٌ للإسلام، مصادمةٌ للوحي، مخالفةٌ للشرع، ليست من الإسلام في شيء، فالإسلام بريء منها وهي منه براء، ومن عرف حقيقة العلمانية واعتنقها فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه.

يقول الشيخ محمد الخضر حسين رحمه الله : "ثلاث حقائق، كل واحدة منها شطر من الإسلام: عموم رسالة محمد -صلى الله عليه وسلم-، واشتمال شريعته بنصوصها وأصولها على أحكام ما لا يتناهى من الوقائع، وكون هذه الشريعة أحكم ما تُساس به الأمم،

وأصلح ما يُقضَى به عند التباس المصالح أو التنازع في الحقوق، أجمع علماء المسلمين على هذه الحقائق وعرفتها عامتهم، فمن أنكر واحدة منها فقد ابتغى في غير هداية الإسلام سبيلاً، مثل من يماري في شيء منها ثم يدّعي أنه لا يزال مخلصاً للإسلام مثل من يضرب بمعوله في أساس صرح شامخ، ثم يزعم أنه حريص على سلامته، عامل على رفع قواعده".

ويقول أيضا: "فصل الدين عن السياسة هدم لمعظم حقائق الدين، ولا يقدِم عليه المسلمون إلا بعد أن يكونوا غير مسلمين، وليست هذه الجناية بأقل مما يعتدي به الأجنبي على الدين إذا جاس خلال الديار، وقد رأينا الذين فصلوا الدين عن السياسة علناً كيف صاروا أشد الناس عداوة لهداية القرآن..." .

ويقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله : "إن الإسلام شريعة وسياسة، ومن فرَّق بين السياسة والشريعة فقد ضلَّ؛ ففي الإسلام سياسة الخلق مع الله، وبيان العبادات، وسياسة الإنسان مع أهله، ومع جيرانه، ومع أقاربه، ومع أصحابه، ومع تلاميذه، ومع معلميه، ومع كل أحد، كلٌ له سياسةٌ تخصه، سياسةٌ مع الأعداء الكفار، ما بين حربيين ومعاهدين ومستأمِنين وذميين، وكل طائفةٍ قد بيّن الإسلام حقوقهم، وأمر أن نسلك بهم كما يجب ...

إلى أن يقول: "فالمهم أن الدين دين الله، وأن الدين سياسة: سياسةٌ شرعية، سياسةٌ اجتماعية، سياسةٌ مع الأجانب، ومع المسالمين، ومع كل أحد. ومن فصل الدين عن السياسة فقد ضلَّ؛ وهو بين أمرين:

إما جاهلٌ بالدين لايعرف، ويظن أن الدين عبادات بين الإنسان وربه، وحقوق شخصية وما أشبه ذلك، يظن أن هذا هو الدين فقط.

أو أنه قد بهره الكفرة، وما هم عليه من القوة المادية، فظن أنهم هم المصيبون". انتهى كلام الشيخ رحمه الله.

والحاصل: أن الاسلام دينٌ ودولة، عقيدة وشريعة، آداب وسلوك، تربية وأخلاق .

والإسلام يرفض العلمانية ولا يقبلها:

١- لأنها لا تسلِّم لله، ولا تخضع له ولا تنقاد.

٢- ولأنها لا توحِّد الله في ربوبيته وألوهيته.

٣- ولأنها ترفض تطبيق شرع الله تعالى.

٤- لأنها ترضى بالقوانين الوضعية البشرية.

٥- ولأنها تُجَوِّزُ التديُّن بأي دين من الأديان الوضعية والمحرفة.

والإسلام يرفض العلمانية أيضًا:

٦- ولأنها تفصل الدين عن الدولة.

٧- ولأنها تفسح المجال لانتشار الإلحاد، والفساد، والانحلال والفوضى الأخلاقية.

٨- ولأنها تنقل إلينا أمراض المجتمع الغربي، من إنكار الحساب واليوم الاخر، وإهمال أمور الغيب من الإيمان بالله والبعث والعقاب والثواب.

٩- ولأنها تطعن في حقيقة الإسلام والقرآن والنبوة.

١٠- ولأنها تزعم أن الاسلام استنفذ أغراضه؛ وهو عبارةٌ عن طقوسٍ وشعائر روحية.

١١- ولأنها تزعم أن الاسلام لا يتلاءم مع الحضارة، ويدعو إلى التخلف والرجعية.

١٢- ولأنها تدعو إلى تحرير المرأة وفق الأسلوب الغربي.

١٣- ولأنها تدعو إلى تربية الأجيال تربيةً لا دينية.

العلمانية باختصار مناقضةٌ للإسلام، لا يجتمعان ولا يتفقان.

تنبيه:

القاعدة المتقررة عند أهل السنة والجماعة في باب التكفير هي: التفريق بين التكفير المطلق وتكفير المعين، فلا يلزم من الحكم على طائفةٍ أو فرقةٍ او مذهبٍ بالكفر، الحكم على جميع أفراده وآحاده به، كما لا يلزم من تكفير الفعل أو القول تكفير الفاعل أو القائل، إلا إذا اجتمعت الشروط وانتفت الموانع . وأدلة هذه القاعدة وأمثلتها مبحوثةٌ في مواضعها، وهي قاعدة معروفة ومشهورة عند أهل السنة والجماعة.

الليبرالية

مفهوم الليبرالية:

الليبرالية مصطلحٌ نشأ وتطور في أوروبا.

وهي مصطلحٌ اجنبيٌ معرّب، يعود اشتقاقه إلى الكلمة الإنجليزية (Liberty) (ليبرتي) والتي تعني : الحرية.

والليبرالية مذهبٌ يركّز على الحرية الفردية، ويقوم على أساسٍ علمانيٍ يُعَظِّم الإنسان، ويرى أنه مستقلٌ بذاته في إدراك احتياجاته .

ويأتي على رأس الأسس والمكونات التي يقوم عليها الفكر الليبرالي ثلاثة أسس:

١- الحرية ٢- والفردية ٣- والعقلانية.

وهي تمثل القدر المشترك بين سائر اتجاهاتها.

ولليبرالية مجالاتٌ متعددة: الفكرية والاقتصادية والسياسية.

فالليبرالية من الناحية الفكرية تعني: حرية الاعتقاد والتفكير والتعبير.

ومن الناحية الاقتصادية تعني: حرية الملكية الشخصية، وحرية الفعل الاقتصادي المنتظم وفق قانون السوق.

ومن الناحية السياسية تعني: حرية التجمع وتأسيس الأحزاب واختيار السلطة.

وقد أشار كثير من الكتاب إلى أن هذا المصطلح (الليبرالية) يكتنفه كثير من الغموض واللبس، ويعود هذا الغموض واللبس في مصطلح الليبرالية إلى عدة أسباب:

أولا: غموض مفهوم الحرية لدى الليبراليين.

ثانياً: تطور مفهوم الليبرالية، فالليبرالية بدأت بنزعةٍ فرديةٍ صارمة، ولكنها تحت ضغط الواقع والإخفاقات المتكررة، غيرت جلدها واتجهت نحو الجماعة.

ثالثاً: تعدد واختلاف الانتماءات الفكرية لمنظريها ودعاتها.

رابعاً: ارتباط الليبرالية بالرأسمالية النفعية، ومن ثم مسايرتها لمصالح الطبقة الرأسمالية وتحقيق أهدافها، ومع تغير المصالح والأهداف باختلاف الأوقات والأماكن تشكل المفهوم وتقلب معناه بحسب ذلك .

ومن أبرز من ساهم في صياغة الفكر الليبرالي:

١- جون لوك. ٢- جون ستيورات مل. ٣- جان فرانسوا فولتير. ٤- جان جاك روسو. ٥-وآدم سميث وغيرهم .

وكل مفكرٍ لديه تصورٌ عن هذا الفكر يختلف عن تصور المفكر الآخر، فالليبرالية جون لوك تختلف عن ليبرالية جان جاك روسو وعن ليبرالية غيرهم، وهم يتفقون في المفاهيم العامة، والخلاف بينهم في التصورات التفصيلية.

نشأة الليبرالية

عاشت أوروبا في عصورها الوسطى، التي تسمى بالعصور المظلمة، قرابة عشرة قرون تحت الظلم والاستبداد من قِبل رجال الكنيسة والإقطاعيين، وتنوع الاستبداد والطغيان في شتى المجالات، وبلغ الظلم ذروته أن مُنِعَ الاوروبيون من أبسط حقوقهم، فمُنِعوا حرية العمل، وحرية التنقل، وحرية التجارة، وحرية التملك، وحرية العبادة، ومُنعوا من اقتناء الكتاب المقدس، ومن حرية قراءته بأنفسهم، وكان ذلك حِكراً على رجال الكنيسة .

فأبسط الحقوق في المجتمعات الأوروبية قد مُنِعَ أهلها منها، ولهذا أدى ذلك لردة فعل عنيفة في المجتمعات الأوروبية، ظهرت بسببها المذاهب الفكرية المتعددة .

بدأ التغيير الحاسم في تاريخ أوروبا في مطلع القرن السادس عشر الميلادي، وذلك بمعارضة القس الألماني (مارتن لوثر) للممارسات الكاثوليكية، وأولها: مهزلة صكوك الغفران، وتصاعد اصطدامه مع البابا حتى أنكرَ عصمته، وانتهى به الأمر إلى تأسيس طائفةٍ جديدةٍ هي: البروتستانت .

ظهرت بعد ذلك الأفكار الليبرالية في أوروبا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين كردة فعلٍ ضِدَّ مظالم الكنيسة والإقطاعيين، وتمحورت في بدايتها على حرية العمل والتجارة والتنقل، وحرية التملك، فكل ذلك لم يكن متاحاً لعامة الناس.

كان المحور الأول في الليبرالية هو: حرية العمل والتجارة والتنقل.

والمحور الثاني هو: حرية التملك والحفاظ على الأملاك .

تطورت مفاهيم الليبرالية في أوروبا والولايات المتحدة وفقاً للمسار الخاص الذي سلكته كل دول للتحرر من السيطرة والاستبداد، ولحلِّ مشاكلها السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

وفي الليبرالية طوران مهمّان:

الأول: الليبرالية الكلاسيكية.

الثاني: الليبرالية المعاصرة.

ومن أبرز نقاط التمايز بينهما هو: في مدى تدخل الدولة في تنظيم الحريات.

ففي الليبرالية الكلاسيكية: الدولة لا تتدخل في الحريات، بل الواجب عليها حمايتها؛ ليحقق الفرد حريته الخاصة بالطريقة التي يريد دون وصايةٍ عليه.

أما في الليبرالية المعاصرة: فقد تغير الأمر، فطلبوا تدخل الدولة؛ لتنظيم الحريات وإزالة العقبات التي تكون سبباً في عدم التمتع بتلك الحريات.

أسس الليبرالية ومبادؤُها

تقوم الليبرالية وترتكز على ثلاثة أسس:

الأول: الحرية. **والثاني: الفردية.** **والثالث: العقلانية.**

هذه الأسس الثلاثة هي القدر المشترك بين سائر اتجاهات الليبرالية وتياراتها.

وقد تعددت تصورات الليبراليين حول تفصيلات هذه الأسس، وطريقة تطبيقها أثناء العمل السياسي والاقتصادي، وإن كانت متفقة في الإطار العام المجمل لهذه الأسس، والإشكالية في الفكر الليبرالي هو أنه يقبل التلون وتعدد الصور، فلا يوجد لديهم حقيقة نهائية، فالحقيقة لديهم تختلف من وقتٍ لآخر، ومن تجربةٍ لأخرى، باختلاف الظروف والأحوال، وهذا هو ما جعل الليبرالية متعددة الأشكال والاتجاهات.

ودونك التفصيل في أسس الليبرالية الثلاثة:

أولا: الحرية.

لما كانت نشأة الليبرالية ردة فعلٍ لطغيان الكنيسة والإقطاعيين في العصور الوسطى، فقد أولت الليبرالية الحرية اهتماماً كبيراً، فالحرية لديهم تُعَدُّ هي المبدأ والمنتهى، والباعث والهدف، والأصل والنتيجة في حياة الإنسان.

والحرية تعني: أن الفرد حرٌ في أفعاله، ومستقلٌ في تصرفاته دون أي تدخل من الدولة أو غيرها.

والمراد بالحرية هنا الحرية المدنية التي اعتنى بها الليبراليون باعتبارها موضوعاً سياسياً واجتماعياً، تنظم علاقة الفرد بالآخرين وبالمجتمع والدولة .ويقابل الحرية المدنية الحرية الإرادية وهي: المتعلقة بمباحث القدر، من كون الإنسان مختاراً لفعله أو مجبوراً عليه، وليست هي موضوع بحثنا.

في الوقت الذي نجد اتفاق الليبرالية على مبدأ الحرية إلا أن حقيقتها وحدودها لم تكن محل إجماعٍ بين منظريها، فمنهم من غلا في مدلولها إلى حد الإطلاق، ومنهم من طالب بحدها بما يضمن عدم الإساءة إلى الآخرين أو يلحق الضرر بهم، أو يتجاوز القانون والنظام، على أنه قد استقرت آراء الليبراليين على ضرورة تقييد الحرية بالقانون؛ وذلك لاتفاقهم على أن الحرية المطلقة من كل قيدٍ تقود إلى الفوضى والتصادم لا محالة.

وتعود اتجاهات الليبرالية في العلاقة بين الفرد والمجتمع إلى مفهومين للحرية:

١- مفهوم سلبي: يرى أن على الدولة حفظ الحريات وعدم تنظيمها؛ لأنه يفترض في الانسان القدرة على استعمال حريته بطريقةٍ راشدةٍ دون وصاية.

٢- مفهوم إيجابي: يرى ضرورة تدخل الدولة لتنظيم الحريات وتعزيزها بما يوافق حاجات الإنسان الفردية والاجتماعية.

على ضوء ما تقدّم من فهم الحرية لدى الفكر الليبرالي فإن الليبرالية ترفض الحدود الشرعية، وترفض أصول المحرمات في الشريعة الإسلامية؛ لتعارضها مع الحرية، وبناءً عليه فهي تبيح الربا والخمر والزنا والحكم بغير شرع الله، وغيرها من المحرمات في الاسلام.

ثانياً: الفردية.

الفردية ارتبطت بالحرية ارتباطاً وثيقاً، فأصبحت الفردية تعني: استقلال الفرد وحريته .

والمذهب الليبرالي قد آمن بالفردية بوصفها قيمةً مهمةً وأساسية في بنائه الفكري، فالفرد هو الأساس، وواجب الدولة والمجتمع حماية استقلاله، وتسهيل سعيه لتحقيق ذاته، وإتاحة المجال أمامه للاختيار الحر. ومصلحة المجتمع ككل إنما تتحقق حتمًا من خلال عمل كل فرد فيه على تحقيق مصلحته الخاصة.

ومعنى الفردية وحقيقتها في الفكر الليبرالي تتبين من خلال مفهومين مختلفين:

الأول: الفردية بمعنى الأنانية وحب الذات.

وهـذا المعـنى هـو الـذي غلـب علـى الفكـر الغـربي منـذ عصـر النهضـة وإلى القـرن العشـرين، وهذا هو الاتجاه التقليدي في الأدبيات الليبرالية.

الثـاني: الفرديـة بمعـنى اسـتقلال الفـرد مـن خـلال العمـل المتواصـل والاعتمـاد علـى الـنفس، وهـذا هو الاتجاه البراجماتي، وهو مفهوم حديث للفردية.

وتشـترك الفرديـة الجديـدة مـع التقليديـة: في ماديـة الحضـارة الغربيـة، وخلوهـا مـن القـيم الأخلاقيـة الحقة، ونبذ الدين، وبناء الروابط الاجتماعية على المصلحة الذاتية الخاصة.

وبنـاءً علـى مبـدأ الفرديـة فـإن الليبراليـة تقـف مـن أصـول فـرائض الإسـلام موقفًـا معارضـا؛ وذلـك لكونهـا تجعـل مـن ذلـك خضـوعاً لسـلطةٍ مـن خـارج ذات الإنسـان، وهـو مـا يتعـارض عنـدهم مـع الفرديـة، فـلا تُقِـرُّ بوجـوب التوحيـد ولا الصـلاة ولا الزكـاة ولا الصـيام ولا الحـج ولا غيرهـا مـن الفـرائض، وذلـك لأن هـذا يتعـارض مـع مبـدأ الفرديـة، أيضـاً يتعـارض عنـدهم مـع مبدأ الحرية؛ لأن الإلزام بفرائض الإسلام في نظرهم هو مصادم لمبدئ الحرية لديهم.

ثالثاً: العقلانية.

وتعني استقلال العقل بإدراك المصالح والمنافع دون الحاجة إلى قوى خارجية.

وعنـدهم أن الحقيقـة يمكـن اكتشـافها والوصـول إليهـا بشـكلٍ أفضـل باسـتخدام العقـل، ولـيس بالإيمان والتعاليم الدينية.

وعنـدهم أيضًـا: أن القـانون الـذي يضـبط الحريـة مـن الانفـلات هـو قـانونٌ وضـعي، يعتمـد علـى العقل المجرد في التشريع، فالعقل هو المصدر الوثيق في القانون، وفي المجال الخاص للفرد.

وانتقلـت أوروبا مـن ديـنٍ يخاصـم العقـل وينـتقص مـن شـأنه علـى أيـدي رجـال الكنيسـة إلى عقلانيةٍ غاليةٍ مندفعة تخاصم الدين وتهدم أسسه.

وقـد تكـوَّن عنـد الليبراليـين ديـنٌ جديـد سمـوه: الـدين الطبيعـي، وهـو ديـن عقلـي، يقـدس العقـل ويضعه موضع التعبد.

وأصـبح الاعتمـاد علـى العقـل المجـرد، وإقصـاء الـدين والقـيم والأخـلاق سمـةً مـن أبـرز سمـات الفكـر الأوروبي المعاصـر، وأضـحت العلاقـة بـين الـدين والعقلانيـة في الفكـر الأوروبي علاقـة مصـادمة ومعارضـةٍ ومنـافرةٍ ومنابـذة. وهـذا بخـلاف الـدين الإسـلامي الـذي يقـوم علـى علاقـة

الموافقة بين العقل والنقل، فلا تنافر بينهما ولا تعارض، فالدين الصحيح لايعارض العقل الصريح.

وبناءً على مبدأ العقلانية:

فإن الليبرالية تتنكَّرُ لكل الغيبيات، من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره؛ لأنها تتعارض مع العقل عندهم.

مظاهر الليبرالية

تنوعت مظاهر الليبرالية وتعددت فشملت مجالات الحياة المختلفة، السياسية والاقتصادية والعلمية وغيرها، ومن بين تلك المظاهر:

١- فصل الدين عن الدولة، والزعم بأن الإسلام دينٌ بلا دولة، وأنه لا علاقة له بالسياسة والحكم.

٢- إلغاء الشريعة الإسلامية، وإحلال القوانين الوضعية محلها.

٣- الطعن في الإسلام وتعاليمه وتشريعاته، وتشكيك المسلمين بأصولهم ومبادئهم.

٤- الاستهزاء بالإسلام وأحكامه وشرائعه وتنظيماته.

٥- والدعوة إلى التبعية المطلقة للغرب، والارتماء في أحضانه، وأخذ كل ما لديه، مما هو نافعٌ أو ضار صالحٌ أو طالح، خيرٌ أو شر، دون وعيٍ وتمييز.

٦- الدعوة إلى التسامح الديني الذي يزيل الفروق بين الأديان.

٧- الدعوة إلى اللهجة العامِّية.

٨- قيام البنوك المركزية على التعاملات الربوية.

٩- نشر الانحلال والإباحية والفوضى الأخلاقية.

١٠- إفساد التعليم الديني وإضعاف المحاضن الإسلامية.

١١- القدح في فرائض الإسلام، وأصول المحرمات.

وغيرها من المظاهر.

وفي الجملة فإن صور ومظاهر العلمانية في العالم الإسلامي هي جزءٌ من مظاهر الليبرالية؛ وذلك لأن العلمانية أحد مكونات الليبرالية، وتوضيح ذلك:

أن كل ليبرالي علماني، وليس كل علماني ليبراليا، فإن الليبرالية تعني الحرية المطلقة، ومن الحرية المطلقة تحييد الدين وفصله عن السياسة وشؤون الحياة، فالعلمانية إذاً هي أحد مكونات الليبرالية؛ ولهذا فإن كل ليبرالي علماني.

وليس كل علماني ليبراليا: فهتلر وستالين وغيرهما كانوا علمانيين، بمعنى أنهم يفصلون الدين عن الدولة، لكنهم لم يكونوا ليبراليين؛ لأنهم لا يعترفون بمبدأ الحرية بكل صورها السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

والغرض من هذا الاستطراد هو الإشارة إلى أن ما ذكر من مظاهر العلمانية سابقاً هو أيضًا من مظاهر الليبرالية.

عوامل ظهور الليبرالية في العالم الإسلامي

هناك عوامل عدة أدت إلى ظهور الليبرالية وغيرها من المذاهب الفكرية إلى العالم الاسلامي، من أهمها وأبرزها وأقواها:

اولاً: الاستعمار.

ثانياً: المناخ الملائم لتقبل الليبرالية، وهذا المناخ يتمثل في جهل المسلمين بدينهم، وضعف تمسكهم بالعقيدة الصحيحة.

ثالثاً: الانبهار بالحضارة الغربية.

رابعاً: الغزو الفكري بدعائمه وأساليبه وأدواته الثلاث وهي: التنصير والاستشراق والتغريب.

وقد تقدّم الحديث عن هذه العوامل عند الكلام عن العلمانية، وتقدم الحديث بالتفصيل عن الغزو الفكري وأدواته في المستوى الماضي بما يغني عن الإسهاب في هذا الموضع.

موقف الإسلام من الليبرالية

الاسلام دين الوسطية والاعتدال، ففي كل تشريعاته وتنظيماته وأحكامه ومواقفه ومبادئه وسطٌ بين الإفراط والتفريط، بين الغالي والجافي.

ففي مبدأ الحرية جاء الإسلام بما يلائم الفطرة ويقتضيها، فلم يحجر على عقول الناس، ولم يجعل الأمور فوضى لا زِمام لها، إنما أعطى الناس حريتهم الموافقة لفطرتهم التي خلقهم الله عليها، فأباح لهم حرية التملك وحرية التنقل وحرية العمل والتجارة، التي كانت محرمةً على الشعوب الأوروبية في عصورهم الوسطى من قِبل رجال الكنيسة، وضبط هذه الحرية بما يكفل للمجتمع راحته وسعادته، وبما يمنع من الفوضى والتعدي والأذى.

وفي موقفه من الفردية اعتنى الإسلام بحقوق الأفراد وبحاجاتهم وضرورياتهم، فأعطى الفرد منزلته المعقولة، ولم يحرمه حقوقه الفردية الفطرية في الكسب والعمل، والتملك، والربح، والمنافسة في الأسواق والادخار، وحثه على الحرص على ما ينفعه في كل مجالات الحياة الاقتصادية والصناعية وغيرها، وضبط ذلك بالعدل والقسط، فحرم الجشع والبخل والأنانية، والظلم والغرر، والأذى والضرر بالآخرين.

ونظر إلى المجتمع نظرةَ شمولٍ وتعاونٍ وتآزر، فأوجب رحمة الفقير والمسكين، وأمر بإخراج شيءٍ يسيرٍ من المال؛ رفقاً بهم دون أن يضر بصاحب المال.

فلم يُلغِ مصلحة الفرد ولم يُلغِ مصلحة المجتمع، وجمع بينهما بما يصلح الفرد والمجتمع في آنٍ واحد، فلا ضرر ولا ضرار، لا كما تفعله الليبرالية التي تعظم شأن الفرد على حساب المجتمع.

في موقفه من العقل وقف الإسلام أيضًا موقف الاعتدال والوسطية، فلم يهمش العقل ولم يعطله، ولم يمنعه من التفكير والتحليل، والتمحيص والتدقيق، والاختراع والاكتشاف، ولم يرفعه فوق منزلته، ولم يقدسه ويجعله حاكماً على كل شيءٍ، حتى ما كان فوق طاقته وقدرته.

ولم يكن العقل في الإسلام مصادماً للدين ومنابذاً له، بل هما متفقان لا يتعارضان، ودخول العقل فيما ليس من اختصاصه، كخوضه في تفاصيل مسائل الغيب هو مخالفٌ للعقل نفسه ومصادمٌ له؛ لأنه فوق إدراكه، وخارج نطاقه وحدود وظيفته.

والليبرالية خرجت عن حد الاعتدال في مبادئ الحرية والفردية والعقلانية، فغلتْ وتطرَّفت، وأتت بالعجائب والمفارقات، وأضحت عدواً لدوداً للدين وتعاليمه وأصوله وقيمه ومبادئه.

ولهذا فإن الإسلام والليبرالية ضدان متنافران لا يجتمعان ولا يلتقيان:

١- لأن الليبرالية تتمرد على الوحي، ولا تعتبره معياراً قاطعاً وملزماً في مسائل العلم والعمل.

٢- ولأنها تنزع القداسة عن نصوص القرآن والسنة، وتسوي بينها وبين النصوص البشرية.

٣- ولأن الليبرالية تصحح العقائد المتناقضة والأفكار المتعارضة، ولا تجزم بحقيقةٍ عقدية.

٤- ولأنها أيضًالا تعترف بحكم الله، وتقف من تطبيق الشريعة الإسلامية موقف المعارض.

٥- ولأنها تقوم على مرجعية العقل، وتجعله مناقضا للدين ومعارضًا له.

٦- ولأن الليبرالية تنسلخ من الأخلاق والقيم الحقيقية، وتجعل معيار القيم والاخلاق هو العمل، ولو أدّى إلى الظلم والبخل والأنانية، والقسوة على الفقراء والمساكين والمحتاجين، ولو أدى ذلك الى الخروج عن الإنسانية الفطرية.

٧- ولأن الليبرالية تصم الإسلام بأنه يحتقر المرأة، وينقص من شأنها وقدرها.

٨- ولأنها تعمل على نشر الانحلال الخلقي باسم الحرية الشخصية.

٩- ولأنها تقف موقف المعارضة من فرائض الاسلام، ومن أصول المحرمات والحدود الشرعية.

والحاصل :

أن الإسلام والليبرالية لا يمكن اجتماعهما؛ للفروق الجوهرية بينهما في الأسس والمبادئ والأصول والتصورات.

وأختم الحديث هنا بفتوى للشيخ صالح الفوزان حفظه الله حول الليبرالية، حيث سئل السؤال الآتي -كما في موقع فضيلته على الشبكة العنكبوتية-:

ما قول فضيلتكم في الدعوة إلى الفكر الليبرالي في البلاد الإسلامية، وهو الفكر الذي يدعو إلى الحرية التي لا ضابط لها إلا القانون الوضعي، فيساوي بين المسلم والكافر بدعوى التعددية، ويجعل لكل فردٍ حريته الشخصية التي لا تخضع لقيود الشريعة كما زعموا، ويحاد بعض الأحكام الشرعية التي تناقضه؛ كالأحكام المتعلقة بالمرأة، أو بالعلاقة مع الكفار، أو

بإنكار المنكر، أو أحكام الجهاد ... إلى آخره من الأحكام التي يرى فيها مناقضة لليبرالية، وهل يجوز للمسلم أن يقول : أنا مسلمٌ ليبرالي؟ وما نصيحتكم له ولأمثاله؟

فأجاب حفظه الله: "إن المسلم هو المسلم لله بالتوحيد، المنقاد له بالطاعة، البريء من الشرك وأهله، فالذي يريد الحرية التي لا ضابط لها إلا القانون الوضعي هذا متمردٌ على شرع الله، يريد حكم الجاهلية وحكم الطاغوت فلا يكون مسلماً، والذي ينكر ما عُلم من الدين بالضرورة من الفرق بين المسلم والكافر، ويريد الحرية التي لا تخضع لقيود الشريعة، وينكر الأحكام الشرعية من الأحكام الشرعية الخاصة بالمرأة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومشروعية الجهاد في سبيل الله، هذا قد ارتكب عدة نواقض من نواقض الإسلام، نسأل الله العافية. والذي يقول: إنه مسلمٌ ليبرالي متناقضٌ إذا أريد بالليبرالية ما ذُكِر، فعليه أن يتوب إلى الله من هذه الأفكار ليكون مسلمًا حقا".

الصهيونية

التعريف بالصهيونية ونشأتها:

الصهيونية نسبة لـ (صِهيون)، والأصل في هذه الكلمة أنها تطلق على الجبل الذي يقع في جنوب بيت المقدس، ثم بعد ذلك أطلق (صهيون) على مدينة القدس، ذات المكانة المقدسة والمنزلة العالية.

وقد ورد ذكر صهيون في مواضع كثيرة من العهد القديم من ذلك:

١- قوله: "وذهب الملك ورجاله إلى أورشليم إلى اليبوسيين سكان الارض، وأخذ داود حصن صهيون... هي مدينة داود، وأقام داود في الحصن، وسماه مدينة داود...".

٢- قوله: "لأن الرب قد اختار صهيون؛ اشتهاها مسكنًا له".

وجاء اختيار الصهاينة (الصهيونية)؛ للاستفادة من القدسية التي يحملها؛ وللإيحاء بالقدم والاتصال بالماضي.

وأول من نحت هذا التعبير (الصهيونية) في العصر الحديث هو الكاتب الألماني اليهودي: ناتال بيرنبلون.

ثم إن الأكثرين يرجحون أن (صهيون) عربية الأصل، وأنها من مادة: "الصون"، "والتحصين"، وكانت فعلاً هي حصن من حصون الروابي العالية.

جاء في الموسوعة الميسرة تعريف الصهيونية بأنها: "حركةٌ سياسيةٌ عنصريةٌ متطرفة، ترمي إلى إقامة دولةٍ لليهود في فلسطين تحكم من خلالها العالم كله".

والصهاينة أنفسهم قد عرَّفوا الصهيونية، فقد أصدر مؤتمر بال الصهيوني الذي عُقِدَ في سويسرا قراراً يقول فيه عن الصهيونية: "إنها حركةٌ ترمي إلى إنشاء وطنٍ للشعب اليهودي شرعيٍ معترفٍ به في أرض فلسطين".

فالصهيونية إذن:

هي حركةٌ سياسيةٌ تسعى إلى إنشاء وطنٍ معترفٍ به لليهود في فلسطين بشتى الوسائل، واتخاذ الخطوات للحصول على الاعتراف به من قبل الدول والحكومات.

وهي أيضًا حركةٌ عنصرية قومية متطرفة، نادت بنقاء العنصر اليهودي وتفوقه على الأمم، وزعموا أنهم هم شعب الله المختار.

وقد أصدرت الأمم المتحدة في عام (١٩٧٥)م قراراً جاء فيه:

"إن الجمعية العامة تقرر أن الصهيونية هي شكلٌ من أشكال العنصرية والتمييز العنصري".

وغدت الصهيونية أيضاً حركةً استعماريةً استيطانية، أوجدت لها كياناً صهيونيًا في فلسطين يمثل ظاهرةً استعماريةً صرفة، قائمةً على الاغتصاب، قائمةً على التعصب الديني، قائمةً على العنصرية بكل ما في العنصرية من استعلاء واضطهاد.

وهي حركة تستمد فكرها وعقيدتها من التوراة المحرفة، ومن التلمود، ومن مخططها التطبيقي الذي صاغته في "بروتوكولات حكماء صهيون"، وقد استفادت الصهيونية من عقيدة المخلِّص اليهودية، ورؤية العودة إلى أرض الميعاد؛ من أجل تجميع يهود الشتات حولها.

وارتبطت الحركة الصهيونية الحديثة بشخصية نبيها، ووالدها، وزعيمها ورائدها، والمروج الأكبر لها وهو اليهودي النمساوي هرتزل الذي تعلم في فينا، واشتغل بالصحافة، واستغلها أيما استغلال في خدمة الحركة الصهيونية الحديثة.

وقد استغل (تيودور هرتزل) (١٨٦٠-١٩٠٤)، الذي تعلّم في (فينا)، واشتغل بالصحافة، واستغلها أيما استغلال في خدمة الحركة الصهيونية الحديثة.

وقد استغل حادث الضابط اليهودي الفرنسي (دريفوس) الذي اتهم بالتجسس، ثم برَّأَتْه المحكمة بعد ذلك، استغله في تصوير اليهود في صورة المظلومين المضطهدين.

في سنة (١٨٩٤)م أصدر هرتزل كتابًا بعنوان "الدولة اليهودية"، دعا فيه إلى جمع اليهود وتوطينهم في دولة يهودية خالصة.

وأخطر ما تمخضت عنه حركة هرتزل الصهيونية هي: المؤتمرات السنوية التي أخذت تنعقد كل عامٍ في بلدٍ من بلاد العالم، وتضم كبار شياطين ومردة اليهود، الذين يطلق عليهم لقب حكماء.

وأول مؤتمر عُقد للصهيونية في بال بسويسرا سنة (١٨٩٧)م، واتخذ ذلك المؤتمر قرارات علنية وسرية.

أما العلنية فخلاصتها: تأسيس دولةٍ لليهود في فلسطين.

وأما المقررات السريّة فهي: التي سميت بـ"بروتوكولات حكماء الصهيون"، ولم تبق تلك البروتوكولات سرية، فقد فُضحت وبان أمرها، وانتشر خبرها، وكُشِفَتْ حقيقتها.

والحركة الصهيونية ليست وليدة العصر الحديث، فلها جذور تاريخية فكرية وسياسية، أشير إلى بعضها مع العلم بأنها لم تكن فيما مضى منظمةً عالميةً كما هي في العصر الحديث، إنما ظهرت قبل كأفراد وجمعيات ودعوات، ومن ذلك:

١- حركة دافيد روبين وتلميذه سولومون مولوخ، في الثلث الأول من القرن السادس عشر الميلادي، وقد ظهر هذان اليهوديان كمنقذين للشعب اليهود وقائدين طموحين يسعيان إلى تجميع اليهود وتوطينهم في فلسطين.

٢- دعوة النصراني البروتستانتي مارتن لوثر، وهو رائد ما يسمى بالحركة الإصلاحية في النصرانية، دعا إلى تهجير اليهود إلى فلسطين؛ زاعمًا أن هذا هو ما دلت عليه نصوص العهد القديم التي يجب الإيمان بها.

ودعوة مارتن لوثر وأتباعه من بعده ك (جون كالفن) وغيره هي بداية العمل الصهيوني النصراني، أتباع الكنيسة البروتستانتية.

٣- حركة منشة بن إسرائيل، وكان يدعو إلى إعادة توطين اليهود في بريطانيا؛ توطئةً لإعادتهم إلى فلسطين.

وهذه الحركة هي النواة الأولى للصهيونية الحديثة، التي نمت وترعرعت في بريطانيا، واستطاعت على مدى ثلاثة قرون أن تسخر جميع قوى الإنجليز؛ من أجل تحقيق أهداف اليهود.

٤- حركة شبتاي ليفي، وكانت من أشد الحركات الصهيونية عنفًا وتعصبًا، وادَّعى صاحبها أنه المسيح المنتظر، ولكن هذه الحركة ما لبثتْ أن أحدثتْ ردّ فعلٍ عكسي، فجاء (مندلسون) يدعو اليهود إلى أن يتقبلوا العيش مع جيرانهم في البلاد التي يعيشون فيها.

٥- دعوة الحاخام "يهودا القالي" أو "يهود القلعي"، الذي دعا إلى استيطان اليهود في فلسطين، ونشر في عام (١٨٣٤)م كتابًا بعنوان "اسمعي يا اسرائيل"، دعا فيه إلى الإسراع بالهجرة إلى فلسطين دون انتظارٍ للمسيح المخلص، كما كان يرى بعض اليهود، حيث يعتقدون أنهم لا يمكنهم الاجتماع في فلسطين إلا بزعامة المسيح المخلص الذي يقودهم إليها، وقد دعا إلى إنشاء شركة استيطانية مساهمة وحث اليهود على دعمها.

٦- دعوة موسى هس، وقد ألف كتابًا بعنوان "روما والقدس"، قرر فيه أنه كما للنصارى عاصمةً هي "روما"؛ فإن لليهود عاصمةً هي "القدس"، ودعا الدول الأوروبية وخاصةً فرنسا إلى تأييد فكرة إقامة الدولة اليهودية في فلسطين.

٧- حركة رجال المال التي تزعَّمها (روتشيلد) وغيره، وكانت تهدف إلى إنشاء المستعمرات اليهودية الزراعية على أرض فلسطين، وساعد هذه الحركة نُخبةٌ من رجالات الإنجليز الذين يعتقدون بعودة المسيح.

٨- **حركة صهيونية مكبوتة**، قام بها في القرن التاسع عشر الميلادي كل من : (هيرش كاليشر) و(سمو لنسكن)، على إثر الاضطهاد الذي وُجِّهَ إلى يهود روسيا وأوروبا الشرقية عامة، وأصابت هذه الحركة نجاحًا بارزًا ، على إثر مذابح (١٨٨٢)م في روسيا، وتدفَّق اليهود إلى خارج البلاد مهاجرين على نطاقٍ واسع إلى غرب أوروبا وأمريكا.

هذه بعض الحركات والدعوات التي قامت قبل المنظمة الصهيونية العالمية الكبرى التي قادها هرتزل في العصر الحديث.

- يزعم اليهود ومن وافقهم أن سبب نشأة الصهيونية وعلة وجودها هو:

الاضطهاد الذي لاقاه اليهود على مرِّ التاريخ، وأن قيام الصهيونية يقضي على هذه العلة أو يمنع تجديدها.

والحقيقة التي يجب أن ندركها وأن نعيها وأن تكون ماثلةً أمام أعيننا هي: أن الاضطهاد الذي لاقاه اليهود ووقع عليهم هو نتيجةً لطبائعهم القاسية وأخلاقهم السيئة، فهم بطبعهم قساة القلوب غلاظ الرقاب، لا يندمجون مع الشعوب والأوطان التي يعيشون فيها، مشاكسون بطبعهم، يسعون في الأرض فسادا، الغدر والخيانة ونقض العهود والمواثيق والحسد والكبر من صميم أخلاقهم ، وهي أدواء مزمنة في اليهود، وهي علة وقوع الاضطهاد عليهم على مرِّ التاريخ، وهي السبب في تنكيل الدول والحكومات بهم في شتى البلدان التي عانوا فيها وأوذوا وشُرِّدوا.

مصادر الفكر الصهيوني

الصهيونية تستمد فكرها وعقيدتها من العهد القديم؛ المشتمل على التوراة المحرفة والكتب الملحقة به وتستمد فكرها أيضًا من التلمود، ومن بروتوكولات حكماء صهيون الذي صاغت فيه خططها ووسائلها.

أما العهد القديم فهو القسم الأول مما يسمى بالكتاب المقدس، وهو يحتوي على الأسفار المنسوبة إلى موسى، والأنبياء من بعده الذين كانوا قبل عيسى عليه الصلاة والسلام.

والأسفار المنسوبة إلى موسى عليه الصلاة والسلام؛ والتي هي سفر "التكوين"، و"الخروج"، و"اللاويين"، و"العدد"، و"التثنية"، هذه الأسفار الخمسة التي يزعمون أن موسى قد كتبها هي التوراة في اصطلاح اليهود والنصارى،.

أما التوراة في اصطلاح المسلمين: فهي الكتاب الذي أنزله الله على موسى نورًا وهدى لبني إسرائيل، نسخه الله بالقرآن، وطاله التحريف والتغيير والتبديل.

والقسم الثاني من الكتاب المقدس هو العهد الجديد، المشتمل على الأناجيل الأربعة "متى"، و"مرقص"، و"لوقا"، و"يوحنا"، والمشتمل أيضًا على الرسائل المنسوبة إلى الحواريين وتلامذتهم.

والنصارى يؤمنون بكلا القسمين (العهد القديم، والعهد الجديد) بمعنى أنهم يؤمنون بكل ما في الكتاب المقدس، أما اليهود فلا يؤمنون إلا بالعهد القديم، ويكفرون بالإنجيل والرسائل الملحقة به، كما أنهم يكفرون بعيسى عليه الصلاة والسلام.

وقد اشتمل العهد القديم على نصوص عدة فيها: الإخبار باجتماع اليهود في فلسطين، وأنهم شعب الله المختار، وأن فلسطين أرض إسرائيل، وهي أرض الميعاد.

نماذج من هذه النصوص:

١- جاء في سفر التكوين: "وظهر الرب لأبْرام (إبراهيم) وقال: لِنَسْلِك أُعطي هذه الارض".

٢- وفي سفر التكوين أيضًا: "قطع الرب مع أَبْرام ميثاقا قائلا: لنسلك أعطي هذه الأرض، من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات".

٣- وجاء في سفر التثنية: "اطَّلِعْ من مسكن قدسك، من السماء، وبارك شعبك إسرائيل، والأرض التي أعطيتنا، كما حلفت لآبائنا، أرضا تفيض لبنًا وعسلًا..." .

٤- وفي سفر إشَعْيَا: "ويكون في آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتًا في رأس الجبل، ويرتفع فوق التِّلال، وتجري إليه كل الأمم، وتسير شعوبٌ كثيرة، ويقولون: هلم نصعد إلى جبل الرب إلى بيت إله يعقوب، فيعلمنا من طرقه، ونسلُك في سُبُله؛ لأنه من صهيون تخرج الشريعة، ومن أورشليم كلمة الرب، فيقضي بين الأمم، وينصف لشعوب كثيرين...".

٥- وفي سفر حِزْقِيال: "...هكذا قال السيد الرب: إني أجمعكم من بين الشعوب، وأحشركم من الأراضي التي تبدّدتم فيها، وأعطيكم أرض إسرائيل، فيأتون إلى هناك، ويزيلون جميع مَكْرُهاتها، وجميع رَجَاسَاتها منها، وأعطيهم قلبًا واحدًا، وأجعل في داخلكم روحًا جديدًا، وأنزع قلب الحجر من لحمهم وأعطيهم قلب لحمٍ؛ لكي يسلكوا في فرائضي، ويحفظوا أحكامي، ويعملوا بها، ويكونوا لي شعبًا فأنا أكون لهم إلها".

فهذه النصوص ونحوها هي من مصادر الفكر الصهيوني التي تدعوهم إلى الهجرة إلى أرض الميعاد، أرض إسرائيل، إلى القدس (أورشليم)، وهم شعب الله وحدهم الذين اختارهم دون من سواهم، وأرضهم التي أعطيت لهم هي من النيل إلى الفرات، فمن هذه النصوص وغيرها تستمد الصهيونية فكرها وعقيدتها.

المصدر الثاني: التلمود.

والتلمود هو: القانون أو الشريعة الشفهية التي كان يتناقلها الحاخامات الفريسيون من اليهودي سرًا جيلا بعد جيل.

ولخوفهم عليه من الضياع دونوه وأطلقوا عليه اسم "**المِشناه**"، وكان تدوينه في القرنين الأول والثاني الميلاديين.

بعد ذلك شُرح هذا المتن الذي هو المشناه في فترة طويلة، امتدت من القرن الثاني الميلادي إلى أواخر القرن السادس الميلادي، وسمي الشرح "**جَمَارا**".

فالتلموذ إذن: يتكون من متنٍ يسمى المشناة أي الشريعة المكررة أو المعرفة، ومن شرحٍ يسمى جمارا بمعنى الإكمال، فالمتن مع الشرح هو التلمود.

والتلمود له منزلة عظيمة، وقدسية عالية عند فرقة الفريسيين من اليهود، وهم الذين دونوه وتناقلوه، وهم أكثر فرق اليهود قديمًا وحديثًا، أما باقي فرق اليهود كالسامريين والصدوقيين والأصبهانيين وغيرهم فهم لا يؤمنون بالتلمود.

وقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى التلمود في قوله: "فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون".

ومبادئ التلمود وتعاليمه جدّ خطيرة، فهو ينظر إلى (الجوييم) الذين هم غير اليهود نظرة تنقص واحتقار وازدراء، ويمثل هذا الكتاب العنصرية اليهودية بأتم صورها وأكمل معانيها.

من نصوص التلمود:

ينص التلمود على:

"أن أرواح اليهود جزءٌ من الله، وأنهم عند الله أرفع من الملائكة".

"أن الناس إنما خلقوا لأجل اليهود ولخدمتهم".

"أن أرواح غير اليهود أرواح شيطانية، وأنهم مثل الكلاب والحمير، وإنما خلقوا على هيئة الإنسان حتى يكونوا لائقين بخدمة اليهود".

"أن من ضرب اسرائيليًا فكأنما ضرب العزة الإلهية".

"أن الفرق بين درجة الإنسان والحيوان هو بقدر الفرق بين اليهودي وغير اليهودي".

"أن لليهود في الأعياد أن يطعموا الكلاب، ولكن ليس لهم أن يطعموا غير اليهود".

"أن اليهود وحدهم هم شعب الله المختار، وأما باقي الشعوب فهي حيوانات".

"أنه لا يجوز لليهودي أن يشفق على غير اليهود، ولا أن يرحمه ولا أن يعينه، بل إذا وجده واقعًا في حفرة سدّها عليه".

"أنه يحرم على اليهود أن يقرض غير اليهودي إلا بالربا".

"أن الزنا بغير اليهود ذكورًا أو إناثًا جائزٌ ولا عقاب عليه".

"أن الغش جائزٌ مع غير اليهود في البيع والشراء".

"أنه يجب على كل يهوديٍ أن يبذل جهده لمنع تسلط باقي الأمم في الارض؛ لتصير السلطة لليهود وحدهم، فإذا لم تكن السلطة لهم عُدُّوا كأنهم في حياة النفي والأسر، ويعيش اليهود في حربٍ مع باقي الشعوب حتى ينتقل إليهم الثراء والسلطان من الجميع".

هذه بعض تعاليم التلمود وفحوى نصوصه، وهي تعاليم تنتج نفوسًا خبيثة، وأرواحًا قذرة؛ ولهذا لم يندمجوا مع الأمم، ولم يتعايشوا مع الشعوب والدول، ووقع عليهم الاضطهاد،

وأصبحوا منبوذين أينما حلوا وارتحلوا؛ لنظرتهم العنصرية المتطرفة لأنفسهم، والتعالي على الآخرين والتكبر عليهم، والنظر إليهم كالحيوانات؛ بل هم حيوانات خُلقوا على هيئة إنسان، وهذه التعاليم (تعليم التلمود) هي تحرك فيهم السعي إلى السيطرة على العالم، وتؤزهم إلى السلطة وحكم العالم أزًا، فالعالم ملكهم، ورب إسرائيل إلههم وحدهم، والآخرون كالبهائم خلقوا لأجلهم.

ثالثًا: بروتوكولات حكماء صهيون.

البروتوكولات معناها محاضر جلسات، ويسميها بعض الباحثين قرارات، فهي محاضر جلسات أو قرارات لشياطين ومردة الصهاينة الذين يطلق عليهم لقب حكماء.

وهدف هذه البروتوكولات: هو اطلاع الصهاينة على الخطة التي يستعبدون بها العالم ويسيطرون عليه، وكيف يحكمونه إذا وقع تحت سيطرتهم، وفحواها: أن يتمكن اليهود من الاستئثار بحكم العالم، وأن تكون فلسطين مركزًا للحكومة اليهودية التي تسيطر على الشرق والغرب، فاليهود هم شعب الله المختار ولهم زعامة الجنس البشري، وليس لغيرهم إلا السمع والطاعة لكل ما يريده اليهود.

وهذه البروتوكولات كانت مودعة في مخابئ سرية، ولا يعرف محتواها إلا الخاصة من اليهود، الذين يعملون على تنفيذ ما جاء فيها بهدوءٍ وتخطيطٍ منظم، لكنها اكتشفت بعد ذلك في عام (١٩٠٩)، وذلك أن امرأة فرنسية أثناء اجتماعها بزعيمٍ من أكابر رؤساء الصهاينة، في وكرٍ من أوكار الماسونية السرية في باريس، اطلعت على هذه الوثائق، فاستطاعت أن تختلس بعضها وأن تفرّ بها، ووصلت بها إلى كبيرٍ من أعيان روسيا الشرقية، وكانت روسيا في تلك الأيام تشهد حملات ضد اليهود، فترجمها أديب روسي إلى اللغة الروسية، وتنبأ فيها بسقوط روسيا القيصرية، وبتوطين اليهود في فلسطين، وبإثارة حروب عالمية وأزمات اقتصادية.

ولما ترجمت إلى اللغة الروسية ورآها اليهود جُنَّ جنونهم، وتنصلوا من الكتاب، وقُتل منهم في إحدى المذابح عشرة آلاف يهودي.

ثم طبع الكتاب بعد ذلك بلغات أخرى، ومن طبعة عام (١٩٢١)م الانجليزية ترجم الكتاب إلى اللغة العربية، وطبع سنة (١٩٥١)م بترجمة محمد خليفة التونسي.

وعدد البروتوكولات أربعة وعشرون بروتوكولا، وهي غير مقسمة، لكن الدكتور أحمد شلبي استقراءها وتأملها وقسمها إلى قسمين كبيرين:

القسم الاول: يبحث في موقف اليهود من العالم قبل تحقيق هدفهم.

القسم الثاني: يبحث في موقف اليهود من العالم بعد أن يصبحوا أصحاب السلطة عليه.

والبروتوكولات العشرة الأولى تتبع القسم الأول تقريبا، وأما باقي البروتوكولات فهي تتبع القسم الثاني.

وهذه البروتوكولات هي مخططٌ تطبيقي لأهداف الصهاينة، وعليها يعتمدون في تنفيذ أهدافهم وغاياتهم، وهي نتاج أخلاقهم القبيحة وطبائعهم الذميمة، التي تلقوها من كتبهم المحرفة ومصادرهم البشرية الموضوعة.

أهداف الصهيونية ووسائلها

تقوم الحركة الصهيونية على أهداف عدة:

أولها: إنشاء وطنٍ قوميٍ لليهود في فلسطين في أرض الميعاد المزعومة. وهذا الهدف قد أفصح عنه مؤتمر بال الذي عقد في سويسرا في عام (١٨٩٧م) بكل وضوح وجلاء، وقرر لتحقيق هذا الهدف الوسائل الآتية:

١- تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وتنظيم هجرتهم وتمويلها، وتأمين وسائل الاستقرار النفسي والوظيفي والسكني لليهود، وذلك بإقامة المستوطنات داخل أرض فلسطين، ودعم اليهود المقيمين في فلسطين بشتى أنواع الدعم، ومنه ترقيتهم في أعمالهم الزراعية والصناعية والتجارية.

٢- تأليف اليهود جماعات محلية أو جماعات عامة في جميع البلدان على حسب القوانين المرعية في تلك البلدان، وتنظيمهم وربطهم جميعًا عبر مؤسسات محلية أو عالمية.

٣- اتخاذ خطواتٍ تمهيدية للحصول على السند الضروري من الدول والحكومات، وذلك بانتزاع اعتراف أكثر دول العالم بوجود دولةٍ لإسرائيل في فلسطين، وشرعيتها وضمان تحقيق الحماية الدولية لها.

٤- تقوية الوعي اليهودي حيث كان، وذلك من خلال الوسائل الآتية:

أ- إثارة الحماس الديني بين أفراد اليهود في جميع أنحاء العالم؛ لعودتهم إلى أرض الميعاد المزعومة أرض فلسطين.

ب- حث سائر اليهود على التمسك بالتعاليم الدينية، والالتزام بأحكام الشريعة اليهودية.

د- إثارة الروح القتالية بين اليهود، والروح الدينية والقومية؛ للتصدي للأديان والأمم والشعوب الأخرى.

وقد نجحت الصهيونية في إقامة كيانٍ لهم في أرض فلسطين، بعد أن طردت غالبية سكانها الأصليين، ونجحت كذلك في إضفاء الشرعية القانونية على هذا الفعل، بحصولها على اعتراف غالبية الدول به وإقراره من الأمم المتحدة.

وقام هذا الكيان اليهودي في عام (١٥ مايو سنة ١٩٤٨م) في نفس اللحظة التي انتهى فيها الانتداب البريطاني في فلسطين، وكان أول الخيوط الرسمية من أجل إقامة دولة يهودية في فلسطين يرجع إلى سنة (١٩١٧م) ، عندما أصدرت الحكومة البريطانية وعد بلفور المشؤوم، وهو وعدٌ ممن لا يملك إلى من لا يستحق.

ثانيا: من أهداف الصهيونية : التوسع الاستعماري لتمتد أرضهم من النيل إلى الفرات كما هو شعارهم القائل: "من النيل إلى الفرات أرضك يا إسرائيل". وقد نصت كتبهم على ذلك كما تقدم ذكره.

وقامت لتحقيق هذا الهدف بحربٍ واسعةٍ عام (١٩٦٧م)، واحتلت أجزاء كبيرة من الأراضي الإسلامية العربية، في مصر وسوريا وجنوب لبنان.

ثالثا: السيطرة على العالم أجمع بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، ولتحقيق هذا الهدف رسموا خططهم، ووضعوا أساليبهم ووسائلهم فيما عرف بـ"بروتوكولات حكماء صهيون"، ومن وسائلهم التي ذكروها في بروتوكولات حكماء صهيون لتحقيق هذا الهدف الوسائل الآتية:

١- هدم الأديان وتحطيم كل عقائد الإيمان، وإشاعة الإلحاد، ونشر النظريات الإلحادية، وإثارة الشبه والشكوك حول الإسلام وغيره من الأديان سوى دين اليهود.

٢- السيطرة على التعليم، وإعادة إنشاء الجامعات حسب خططهم الخاصة، وإعداد أساتذتها ورؤسائها إعدادًا خاصًا وفق برنامج عملي متقن، يهذبون ويشكلون بمقتضاه، ويرشحون له بعنايةٍ بالغة.

٣- الحط من منزلة أهل العلم والدين، والتنقيص من شأنهم في أعين الناس، فإن أهل العلم برسالتهم يعدون عقبةً كؤودةً في طريقهم، فتقليل نفوذهم وحصرهم في جانبٍ صغيرٍ جدًا من الحياة يؤدي إلى سهولة نشر الأفكار المصادمة للإسلام، وإلى سهولة بث المواد المفسدة والمدمرة للعقائد والأديان.

٤- إعداد جواسيس لهم في كل أنحاء العالم؛ لخدمة مصالحهم وتحقيق غاياتهم، واختيارهم من الطبقات كلها العليا والدنيا دون تفريق، وهذه القوة البولسية ليس لها سلطة تنفيذية مستقلة، وليس لها حق في اتخاذ إجراءات حسب رغباتها الخاصة، وينحصر عملها انحصارًا تامًا في العمل كشهود وفي تقديم بلاغات، وإذا حدث تقصيرٌ في تبليغ أي مخالفة تتعلق بالأمور السياسية والمخالفة لقوانينهم وعقائدهم، فإن الشخص الذي كان عليه تبليغها يعاقب بتهمة الإخفاء العمد للجريمة، ومن خلال استعمال أمثال هؤلاء يخلقون الفوضى والقلاقل والبلابل والفتن في البلدان وبين الشعوب.

٥- تهييج الشعوب ضد بلدانهم وحكامهم، ونشر الثورات، وتضخيم أخطاء الساسة والحكام والتركيز عليها، وتشويه سمعتهم بحيث يستوي مع اللصوص والقتلة وغيرهم من الأشرار المنبوذين المكروهين.

٦- السيطرة على الاقتصاد العالمي، والتحكم فيه وفق مصالحهم وأهدافهم، وتدبير الأزمات الاقتصادية في البلاد الأممية (غير اليهود)، بطرق متعددة، ومنها إقراض الحكومات قروضًا بفوائد ربوية، يظنون معها أنهم وجدوا فيها الربح، والحقيقة أن اليهود الصهاينة من ورائها قد ملأوا خزائنهم بالأموال الباهظة.

٧- تحطيم الأمن والسلام والاستقرار وتفكيك الوحدة بشعاراتٍ كذابة ولافتاتٍ جذابة وعباراتٍ رنانة، وعلى رأسها شعارات الحرية والمساواة والإخاء، جاء في البروتوكول الأول قولهم: "كذلك كنا قديمًا أول من صاح في الناس، الحرية

والمساواة الإخاء، كلماتٌ ما انفكت ترددها منذ ذلك الحين بَبَّغاواتٌ جاهلة متجمهرة من كل مكانٍ حول هذه الشعارات، وقد حَرمت بترددها العالم من نجاحه، وحَرمت الفرد من حريته الشخصية الحقيقية، التي كانت من قبل في حمىً يحفظها من أن يخنقها السفلة... إن صيحتنا الحرية والمساواة والإخاء قد جلبت إلى صفوفنا فرقا كاملة من زوايا العالم الأربع، عن طريق وكلائنا المغفلين، وقد حملت هذه الفرق ألويتنا في نشوة، بينما كانت هذه الكلمات - مثل كثيرٍ من الديدان - تلتهم سعادة المسيحيين، وتحطم سلامهم واستقرارهم ووحدتهم مدمرةً بذلك أسس الدول، وقد جلب هذا العمل النصر لنا كما سنرى بعد..."، وفي البروتوكول التاسع أيضًا جاء قولهم: "إن الكلمات التحررية لشعارنا الماسوني هي الحرية والمساواة والإخاء، وسوف لا نبدل كلمات شعارنا، بل نصوغها معبرةً ببساطةٍ عن فكرة، وسوف نقول: حق الحرية، وواجب المساواة، وفكرة الإخاء، وبها سنمسك الثور من قرنيه وحينئذٍ نكون قد دمرنا في حقيقة الأمر كل القِوى الحاكمة إلا قوتنا..." .

ولهم وسائل أخرى للسيطرة على العالم أجمع ، كالسيطرة على الشؤون السياسية، والسيطرة على وسائل الإعلام والصحافة ودور النشر والتوزيع وغيرها، راجعها إن شئت في كتاب "بروتوكولات حكماء صهيون"، وهو كتاب مطبوع، ومتوفر على الشبكة العنكبوتية.

صلة الصهيونية باليهودية العالمية

عرفنا فيما مضى أن الصهيونية هي حركةٌ سياسيةٌ عنصريةٌ ترمي إلى إنشاء وطنٍ لليهود معترف به في فلسطين، أما اليهودية فهي دين اليهود القائم على المصادر المحرفة والموضوعة، ويزعمون أنهم على دين موسى عليه الصلاة والسلام.

والسؤال هنا: هل الصهيونية واليهودية بينهما فرق أم هما شيءٌ واحد؟ وما الصلة بينهما؟

يرى بعض الباحثين أن الصهيونية واليهودية شيءٌ واحد، وأن الصهيونية هي الجهاز التنفيذي لليهودية العالمية التي تسعى إلى تدمير العالم والتحكم في مصيره، ويرون أنه لا يوجد يهوديٌ واحدٌ يعارض الصهيونية وأهدافها التي ترمي إلى تهجير اليهود إلى فلسطين وإقامة دولةٍ يهوديةٍ خالصة، وأن اليهود الذين يتظاهرون اليوم بأنهم يختلفون مع الصهيونية ويعارضونها، إنما يفعلون ذلك بناءً على خطة مرسومة مدروسة، ثم هم نادرون، والنادر لا حكم له. هذا رأي بعض الباحثين.

بينما يفرق آخرون بين الصهيونية واليهودية، ويرون أنه ليس كل يهودي صهيونيا، وأن من اليهود من لا يرى السعي إلى جمع اليهود في فلسطين واتخاذ القدس عاصمةً لها.

يقول الصهيوني بن جوريون: "...أولئك اليهود الذين يعتبرون أنفسهم جزءًا من الشعب الأمريكي أو الإنجليزي أو الفرنسي، أولئك اليهود الذين لا يشعرون أنهم يعيشون في منفى، أولئك اليهود الذين لا يرون أن مستقبلهم ومستقبل أولادهم وأحفادهم لا يمكن أن يوجد إلا في اسرائيل، هؤلاء اليهود جميعاً إنما يذوبون تدريجيًا في حضارةٍ غير يهودية، ولغةٍ غير يهودية، إن هؤلاء الذين يطلقون على أنفسهم كذبًا لقب الصهيونيين، بحكم انتمائهم إلى منظماتٍ تحمل هذا الاسم هم في الحقيقة خطرٌ على مستقبل الصهيونية".

ويرى ابن جوريون أن الذي يربط بين اليهود ليس هو الدين اليهودي، بدليل أن الحركة الصهيونية فيها يهود متدينون، ويهود لا دينيون أي لا يؤمنون بوجود الله، وليس الذي يربط بين اليهود في نظره أيضًا **العنصر**؛ فإن نقاء العنصر كما يقول بعد التشرد الطويل ليس ممكنًا، وليست اللغة هي ما تربط بين اليهود في نظره، لأنه يرى أن اللغة العبرية قد اختفت تقريبًا، ويتكلم اليهود بلغاتٍ متعددة، إنما يربط بين اليهود رباطًا لا يتخلف كما يقول هو رؤيا العودة، والإيمان بأن الخلاص هو في العودة إلى جبل صهيون.

وتوافق **جولدا مائير** رأي بن جوريون حيث تقول: "بعد قيام صهيون لا يمكن أن يعدّ صهيونيًا إلا ذلك الذي يحمل حقائبه ويأتي على الفور...جميلٌ جدًا أن يعطينا اليهود في الغرب تأييدهم وحماسهم وأموالهم، ولكن هذا لا يكفي..." .

إذن هذان الصهيونيان لا يعدون الرجل صهيونيًا إلا كان يؤمن بالعودة إلى فلسطين، ويحمل حقائبه إليها، وإلا فليس صهيونيًا وإن كان على عقيدة اليهود.

والحاصل:

أن اليهود أكثرهم صهاينة يؤمنون بالهجرة إلى فلسطين واتخاذها وطنًا لهم، لكن لا يلزم أن يكون كل يهودي مؤمنًا بذلك، أي لا يلزم أن يكون كل يهودي صهيونيًا، فإن من اليهود من لا يرى العودة إلى فلسطين وهم قلة، إلا أن هؤلاء القلة ينبغي الاستفادة منهم في دعم حق المسلمين في فلسطين، وضربهم بالآخرين من الصهاينة الذين يسعون سعيًا حثيثًا لسلب القدس، والسيطرة على فلسطين ومدّ نفوذهم لإقامة دولة إسرائيل الكبرى، والاستفادة منهم أيضًا إعلاميًا للرد على المتعاطفين مع الصهاينة، والداعمين لهم عبر وسائل الإعلام المختلفة.

وإذا علمنا أن الصهيوني هو من يؤمن بإقامة دولةٍ لليهود في فلسطين معترفٍ بها ويسعى إليه فإن كل من أيَّد ذلك وسعى إليه، وساعد اليهود في تحقيقه فهو من الصهاينة، وعلى رأس هؤلاء الصهاينة: طوائف من النصارى، تسعى بكل ما أوتيت من قوة؛ لتمكين اليهود في فلسطين واتخاذ القدس عاصمةً لهم؛ لاعتقادهم بأن هذا يعجل من ظهور المسيح المنتظر؛ بناءً على فهمهم لنصوص الكتاب المقدس، وقد مضى عند الحديث عن نشأة الصهيونية أن مارتن لوثر زعيم ما يسمى بالحركة الإصلاحية في النصراني، في القرن السادس عشر الميلادي، دعا إلى عودة اليهود إلى فلسطين، واتخاذها وطنًا لهم مع كونه نصرانياً، فهي دعوة قديمة ظهرت قبل قيام المنظمة الصهيونية العالمية الحديثة، وسار على خطى مارتن لوثر طوائف من النصارى إلى اليوم، لا سيما من طائفة البروتستانت.

والخلاصة:

أنه ليس بالضرورة أن يكون كل يهودي صهيونياً إلا أن الغالب والأكثرية من اليهود هم صهاينة، كما أنه يوجد من غير اليهود من النصارى وغيرهم من هم صهاينة.

خطر الصهيونية وواجب المسلمين تجاه مخططاتهم

الصهيونية هي خطرٌ على البشرية، خطرٌ على الإنسانية، خطرٌ على النصرانية، خطرٌ على الأمة الإسلامية، خطرة على الأمة العربية.

تكمن خطورتها في كونها حركةً سياسيةً استعمارية، ترمي إلى استعمار مدينةٍ من أقدس مدن المسلمين وهي مدينة القدس، وترمي إلى إنشاء وطنٍ لهم في أهم دول المسلمين والعرب، من حيث مكانتها الدينية وموقعها الجغرافي.

وتكمن خطورتها في كونها حركةً تستمد أفكارها من كتبٍ محرفة لدى اليهود، تدعو إلى بناء هيكل سليمان المزعوم على أنقاض المسجد الأقصى.

وتكمن خطورتها في كونها تهدف إلى توسيع نفوذها على أراضي المسلمين؛ لتمتد من النيل إلى الفرات.

وتكمن خطورتها أيضًا في كونها تسعى إلى السيطرة على العالم أجمع؛ ليكون تحت تحكمها ووفق غاياتها بشتى الطرق ومختلف الأساليب، من تدميرٍ للأديان، وهدمٍ للمبادئ والقيم، ونشرٍ للإلحاد، وبثٍ للرذيلة.

وتكمن خطورتها أيضًا في استغلالها كل الأحداث والاضطرابات والقلاقل والفتن بما يخدم مصالحها ويحقق أهدافها، فهي تجيد كل الإجادة استغلال الحدث وإن لم تصنعه.

وتكمن خطورتها أيضًا في انتشار أياديها وأصابعها في كل العالم وفي جميع البلدان، فلهم في كل قطرٍ أعوان، وفي كل بلدٍ أعين وآذان.

وتكمن خطورتها في كونها حركةً عنصرية متطرفة، ترى أن الجنس اليهودي أفضل الأجناس، فهم العنصر السامي والجنس العالي، وهم شعب الله المختار، وما سواهم فهم حيوانات خلقت لأجل خدمة اليهود.

وتكمن خطورتها في نشاطها القوي على جميع المستويات، ومنها المستوى الفكري الساعي إلى إثبات أحقية اليهود في فلسطين وأنهم من سلالة إسرائيل، وأن فلسطين بلدهم وحدهم دون العرب والمسلمين.

وتكمن خطورتها أيضاً في تمكنها من التحكم بالسياسة العالمية والدول الكبرى، والتحكم بالاقتصاد العالمي والقوى الإعلامية.

وتكمن خطورتها أيضاً في سعيها الحثيث لتفكيك المسلمين وتحطيم أمنهم واستقرارهم ورخاء دولهم بشعاراتٍ رنانةٍ، ينطوي تحتها الشر والفساد والتدمير.

هذا وإنه مهما بلغت خطورتها، ومهما وصلت في تمكنها، ومهما حققت من أهداف، فإن الله جل وعلا لهم بالمرصاد، وإن الله سبحانه وتعالى ناصرٌ دينه، وإن الله عز وجل حافظٌ للإسلام كما تعهد بذلك في محكم القرآن.

وواجبٌ على المسلمين الحذر كل الحذر من مخططات الصهاينة، وأن لا يكونوا جزءًا من وسائل مخططاتهم، وأن لا يكونوا معينين لهم من حيث يشعرون أو لايشعرون.

وواجبٌ عليهم إعداد كل أنواع العدة؛ لمقاومتهم ومجابهتهم والوقوف في وجه مخططاتهم، إعداد القوة العسكرية، والقوة الإيمانية، والقوة العلمية الفكرية، والقوة الاقتصادية، والقوة السياسية، وكل ألوان القوة وأشكالها.

وواجبٌ على المسلمين أن يعوا أن نصر الله لهم طريقه هو الرجوع إليه، والعمل بشرعه وتحكيم كتابه وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام، والاعتزاز بالإسلام وتطبيقه في كل مجالات الحياة.

وان يعوا الوعي كله دون أدنى شكٍ أو تردد أن فلسطين بلدٌ للمسلمين والعرب، وأن اليهود لا حق لهم فيه، فإن أول دخولٍ لبني إسرائيل إلى فلسطين كان مع يوشع بعد وفاة موسى عليه الصلاة والسلام في التيه، وقبل دخول بني إسرائيل إليها كان يسكنها العرب من الكنعانيين والفينيقيين، وهي قبائل عربية عرباء أصيلة، كانت تقطن الجزيرة العربية، وهم سكان فلسطين الأصليين قبل دخول بني إسرائيل إليها.

وعلينا أن نعلم علم اليقين أن يهود اليوم ليسوا من نسل بني اسرائيل، وهم اليوم من أصول متباينة مختلفة متنوعة، من الأصول الأوروبية والعربية والأفريقية، وأكثرهم من بلاد الخزر من الأصول الأوروبية الشرقية، وهم يكذبون ولا يزالون يكررون الكذب أنهم من نسل بني إسرائيل؛ ليستميلوا قلوب الناس إليهم، وخاصةً النصارى الذين يقدسون العهد القديم، ويعدونه من مصادرهم الدينية، وفيه ذكر بني إسرائيل، فهذه الدعوة تجعلهم في نظر النصارى من أبناء يعقوب، وأنهم هم المقصودون بالوعود الواردة فيه، وكذلك ليستميلوا قلوب بعض أبناء المسلمين ويستدروا عطفهم؛ ليقفوا معهم في إنشاء كيانٍ لهم في فلسطين.

والحقيقة هي أن يهود اليوم ليسوا من نسل إسرائيل، وليسوا سكان فلسطين الأصليين، وإنما فلسطين حق للمسلمين والعرب، وسكانها الأصليون قبل بني إسرائيل هم العرب.

وماضاع المسجد الأقصى ولاسلب القدس من المسلمين إلا بتفريطهم وتقصيرهم، ولايعود إلا بالاجتماع على الإسلام، ورفع راية التوحيد، ونصر الله باتباع شرعه وتطبيق حكمه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧ ﴾ [محمد: ٧].

الماسونية

التعريف بالماسونية ونشأتها:

أصل التسمية باللغة الانجليزية (Free Masanry) (فري ماسون) أي: البناء الحر. وباللغة الفرنسية (Franc maconnerie) (فرانك ماسون)، أي: البناء الصادق.

واصطلح على ترجمة وتعريب الكلمتين باللغة العربية بعبارة: الماسونية، أو الفَرْمَاسون، أو الفرمسون، وانتقلت الكلمة من لفظها ومعناها الاصطلاحي لتعبر عن أشنع الكلمات المهينة. وغدت الكلمة صفة ذميمة وخصلة سيئة، تطلق في مقام السب والشتم والتقبيح. وليس لها نصيب من معناها، بل هي على الضد تمامًا، فلاهم بناؤون بل مخربون، مفسدون، مدمرون. ولاهم أحرار صادقون، بل كاذبون متلونون، يرفعون شعارات براقة ولافتات جذابة ينطوي تحتها الإلحاد وتحطيم الأديان والأخلاق وتحطيم الشعوب والبلدان.

وللماسونية أسماء أخرى اختلفت باختلاف الأمكنة والأزمنة والفروع المتفرعة منها، كالمنورين في ألمانيا، والفحامين في إيطاليا وغيرها، وليست هذه الأسماء أصدق من اسم الماسونية.

والاسم اللائق بها والموافق لحقيقتها والمطابق لواقعها هو:

الحركة التخريبية، والمنظمة الإفسادية، والمؤسسة القدمية، والجمعية التحطمية.

والماسونية منظمة يهودية، سرية في أصلها ونشأتها وأهدافها الحقيقية وغاياتها المنشودة، تخفي تنظيمها وتارة تظهره وتعلنه، بحسب اختلاف الظروف والزمان والمكان، ترمي إلى تحطيم الأديان وتخريب الأوطان ونشر الفساد والإلحاد، وتحقيق أهداف اليهودية العالمية، تتظاهر بالإخاء الإنساني، والعمل الخيري، والتضامن الاجتماعي؛ بغية التمويه والتلبيس، ترفع شعار الإخاء والحرية والمساواة، وتخفي تحته السُّم الزعاف.

ويعرف الماسونية جمعيتهم بأنها:

"جمعية تعاونية، تعمل لخير الإنسانية جمعاء، ولتحرير الإنسان من الظلم والاستبداد على أسس ثلاثة الاخاء والحرية والمساواة".

وهذا من صور التدليس والكذب، وتغيير الحقائق لدى الماسونيين؛ ليخدعوا السذج، ويلفوا حولهم الأتباع والجماهير والمؤيدين، وقد فضحها وكشف أمرها وهتك سرها أهل العلم، وتتابعوا على إصدار البيانات وإقامة المؤتمرات للتحذير منها، وتحريم الانضمام إليها والعمل معها.

يقول الأستاذ الماسوني عبد الحليم إلياس الخوري مبينًا حقيقة الماسونية: "إن الماسونية في أعماقها تسكن الفكرة الإسرائيلية، وفي تاريخها وتقاليدها ورموزها وأسرارها تظهر الأساطير اليهودية المقدسة، إنها يهودية، ومن مصدر يهودي صرف".

فهذا القائل عليم بحالهم، ومطلع على أسرارهم، بيَّن حقيقتهم، وأصولهم ومصادرهم.

وقد اختلفت الآراء، وتضاربت الأقوال، وتباينت الأفهام حول نشأة الماسونية، شأنها شأن المنظمات السرية والحركات الخفية في التاريخ الإنساني.

وتنوعت الآراء وتعددت ما بين أقوال عارية عن الصحة، قائمة على الوهم الغارق والظن والتخمين الذي لا يسمن ولا يغني من جوع، كالقول بأن مؤسسها هو آدم عليه الصلاة والسلام، والقول بأن الله تعالى أسسها في جنة عدن وأن الجنة كانت أول محفل مأسوني.

وما بين أقوال قائمة على أصل لم يثبت ومعتقد لا مستند له، كالقول بأنها نشأت في هيكل سليمان؛ فإن سليمان لم يبنِ هيكلا للرب كما تزعمه اليهودية، وهي عقيدة يهودية تفتقر إلى أدلة تسندها، والدلائل التاريخية والآثار والحفريات كلها تدل على بطلان مزاعم اليهود حول وجود آثار للهيكل تحت سور المسجد الأقصى، والذي قام به سليمان عليه الصلاة والسلام هو تجديد بناء المسجد الأقصى، فالأصل فاسد وما بني على فاسد فهو فاسد.

وما بين أقوال أخرى ظنية تحتمل الصواب والخطأ، كالقول إنَّ نشأتها مرتبطة بالكهانة في عهد الفراعنة، أو بالحروب الصليبية أو بجمعية الصليب الوردي سنة (١٦١٦)م، أو القول بأنها ظهرت في القرن الثامن عشر الميلادي.

ولا يستبعد الدكتور أحمد شلبي الترابط بين هذه الآراء، فهي منظمة يهودية تظهر لخدمة اليهود من حين إلى حين، فيكون اليهود قد اقتبسوا بعض أنظمتها وأسرارها من الفكر المصري القديم، ثم تجددت مع هيكل سليمان، ومع الحروب الصليبية وغيرها من الأحداث الكبرى.

وفي "الموسوعة الميسرة" ترجيح القول بأنها ظهرت سنة (٤٣)م، وإن مؤسسها هو "هيرودس" ملك من ملوك الرومان بمساعدة مستشاريه اليهوديين: (حيران أبيود) نائب الرئيس، و(موآب لامي) كاتم سر أول. وإن هدفها هو التنكيل بالنصارى واغتيالهم وتشريدهم ومنع دينهم من الانتشار، وكانت تسمّى في عهد التأسيس (القوة الخفية). واستظهر هذا القول شيخنا الدكتور غالب عواجي رحمه الله.

وهو ما ذكره قبل د.محمد الزعبي، وأشار إلى أنه في عام (١٧١٧م) أخذت اسمًا جديدًا هو الماسونية، وأنه اسم حديث للقوة الخفية.

وعلى كل حال فإن المنظمات القائمة على السرية والكتمان يصعب تحديد نشأتها ووقت ظهورها على وجه الدقة إن لم تفصح هي عن نفسها.

والذي يمكن الجزم به هي أنها جمعية يهودية النشأة، فأصولها يهودية، ومنشأها وأسرارها يهودية، وقاداتها هم اليهود، وهي حركة قديمة، ليست وليدة الزمن الحاضر، والعصر الحديث.

وللماسونية ثلاث مراتب ومراحل:

أولًا: الماسونية الرمزية:

ودرجاتها (٣٣) ثلاث وثلاثون، ويترقى الماسوني غير اليهودي في سلّم درجاتها، وقد يبلغ أعلاها.

وأعضاء هذه المرتبة يطلق عليهم أعضاء المرتبتين الأخيرتين وصف (العميان)؛ لأنهم يخدمون "المؤسسة" دون أن يعرفوا أهدافها وحقيقتها.

وتكمن خطورة الماسونية الرمزية في كونها تظهر على أنها جمعيات خيرية إنسانية، وتضم المخدوعين بالشعارات من الوجهاء والمؤثرين، وفي كونها تجمع المعلومات المختلفة عن الدول لمعرفة أحوالها وأفكارها.

ثانيًا: الماسونية الملوكية:

وأكثر أعضائها من اليهود، ولا يسمح لغير اليهود بالدخول فيها إلَّا لمن وصل إلى أرقى درجة في المرتبة الأولى.

وهي ترمي إلى إعادة بناء هيكل سليمان، وامتلاك اليهود لفلسطين واتخاذها وطنًا لهم، وإلى احترام اليهودية وتقديسها.

ثالثا: الماسونية الكونية:

وهي مكونة من (١٢) اثني عشر عضوًا، من كبار حاخامات اليهود وزعمائهم، وهي مصدر التوجيه لكل المحافل الماسونية، وهي أعلى الطبقات لا يعرف نشاطها أحد، فهي غارقة في الغموض والكتمان، وهي التي بيدها إدارة حركات الهدم والتخريب والفوضى في شتى البقاع، ويقال: بأن أعضاء هذه المرتبة هم الذين صاغوا "بروتوكولات حكماء صهيون" في المؤتمر الصهيوني العالمي الذي عقد في بال سنة (١٨٩٧م).

أهدافها ووسائلها

الماسونية لها أهداف حقيقية هي سرّ نشأتها وأصل ظهورها، ولها أهداف تتظاهر بها أمام الملأ؛ خداعًا للناس وتمويهًا؛ وإخفاءً لمكرها وخداعها وخبثها.

أمَّا أهدافها الحقيقية التي تقوم عليها الماسونية من حيث كونها مؤسسة وحركة لا من حيث أفرادها المنتمين لها، الذين يوجد من بينهم من قد خُدع بها ولم يصل على مراحلها العليا، ولم يقف على أسرارها فهي كالآتي:

- تحطيم الأديان والقضاء على شعلة الإيمان، وتدمير كل ما له صلة بها؛ تمهيدًا لتسلط دولة اليهود على العالم وتحكمهم فيه، وليخلد الدين اليهودي ويعلو على كل الأديان.
- تدمير الأخلاق والقيم والمبادئ، ونشر الانحلال والفساد والفوضى الأخلاقية.
- تفكيك المجتمعات، وتحطيم الحكومات، ونشر القلاقل والبلابل في البلدان، وتدمير مقومات الشعوب غير اليهودية.
- إثارة الفتن والحروب لمصلحة اليهود؛ ليصفوا لهم الجو إثر انشغال الدول بها؛ وليتفرغوا لتحقيق مآربهم وغاياتهم دون أن يعكّر صفوهم أحد.
- تحطيم كل مصادر القوة في الأمم -سوى اليهود- من اقتصاد ومال وفكر وسلطة.
- إغراق العالم في بحر الظلمات، ظلمات الكفر والإلحاد والمادية العفنة القذرة.
- فصل الناس عن أوطانهم، وقطعهم عن بلدانهم، وتدميرها وعدم الاعتراف بها.

يقول أحد الماسونيين: "الوطن خيال باطل وكذب محض، إن الوطن هو كل ما يغتصبنا، وما يجب علينا بغضه".

- الاجتماع حول الإنسانية؛ لتدمير الأديان ولخدمة اليهودية والدفاع عنهم باسم (الإنسانية) ولإحياء ما عاناه اليهود من اضطهاد على مدى التاريخ، وكأنهم وحدهم الذين اضطهدوا.
- محاربة الإله والتغلب عليه:

يقول (لاف ارج) مفصحًا عن هذا الهدف وعن محاربة الأديان ونشر الالحاد والتدين بالإنسانية: "يجب على الإنسان أن يتغلب على الإله، وأن يعلن الحرب عليه، وأن يخرق السموات ويمزقها كالأوراق... إن الإلحاد من عناوين المفاخر... نحن الماسونيين أعداء للأديان، وعلينا ألا ندخر جهدًا

في القضاء على مظاهرها... سنعلنها حربًا شعواء على العدو الحقيقي للبشرية، الذي هو الدين، وسننتصر على العقائد الباطلة وعلى أنصارها، ولكنا نتخذ الإنسانية غاية لنا من دون الله".

إنَّ هذه الأهداف التي تسعى الماسونية لتحقيقها هي طريق وتمهيد لما ترمي إليه اليهودية العالمية من السيطرة على العالم والتحكم فيه، واتخاذ فلسطين والقدس وطنًا لهم، ومركزًا لإدارة أطماعهم، وتنفيذ أهدافهم وتحقيق غاياتهم.

إن الماسونية هي كما أوضحها وأفصح عن حقيقتها الحاخام الدكتور (إسحاق وايز) بقوله:

"مؤسسة يهودية، وليس تاريخها ودرجاتها، وتعاليمها، وكلمات السرّ فيها، وشروحها إلَّا أفكارًا يهودية من البداية والنهاية".

فالماسونية أهدافها الحقيقية هي أهداف اليهود، ويسعون من خلال تدمير الأديان وتحطيم الأخلاق ونشر الفتن والحروب في البلدان وتسميم المعتقدات ونشر الالحاد إلى إهلاك الأمم، وبقاء اليهود وحدهم لهم القوة والسيادة على العالم، وبأيديهم التصرف والملك، وتحت سيطرتهم ونفوذهم فلسطين والقدس.

هذه هي أهداف الماسونية الحقيقية، وأمَّا أهدافهم التي يتظاهرون بها، والتي يذكرها الماسونيون ويزعمونها فهي: قيادة العالم إلى الحرية والمساواة والإخاء، وتوطيد الحب بين أعضائها ورفع الشقاق والبغض، والحث على فعل الخير، وإمداد إخوانهم المحتاجين بالمساعدات المادية والأدبية، وخدمة الإنسانية وإصلاح الشعوب، وتنوير الأذهان ومقاومة الجهل.

هكذا يكذبون، وهكذا يزعمون، وهكذا يتظاهرون؛ خداعًا للناس؛ وتمويها لباطلهم؛ وإخفاء لحقيقتهم؛ لئلا يقف الناس على ما يخططون؛ ولئلا يكتشف العالم حقيقة ما يرمون إليه، وقد ينجذب إليهم أصحاب المطامع والأهداف الشخصية، ومن تغره هذه اللافتات وتخدعه.

وهناك من غرته هذه اللافتات، فلما أن انكشفت له الحقيقة وبان له الأمر، انسحب منها وترك الانضمام إليها.

ومن وسائلهم التي يسلكونها لتحقيق مآربهم وأهدافهم:

- حصر الأديان بالمعابد؛ تمهيدًا لإزالتها حتى من المعابد.
- دخول الماسونيين بين المتدينين وتأسيس الجمعيات الدينية ليلعبوا على السذج.
- منح الأشخاص البارزين من ذوي النفوذ ألقاب شرفية ودرجات عالية في الماسونية.

- تقسيم (الجوييم) (أي: غير اليهود) إلى معسكرات متنابذة تتصارع فيما بينها بشكل دائم.
- تسليح هذه المعسكرات المتناحرة؛ لتستمر الحروب والفتن ولا يقر لها قرار.
- بث سموم الشقاق والنزاع داخل البلد الواحد وتمزيقه إلى فئات متصارعة متنافرة.
- تغيير جلدها التلوث والتلون بألف لون بحسب الظروف والزمان والمكان. فحين تنعم بالأمن والأمان في مجتمع ما فإنها تعلن عن نفسها وتظهر بكل جرأة، فإذا ما أحست بخطر داهم وكشف فاضح لأهدافها، فإنها سرعان ما تتلون وتظهر باسم جديد، وشكل وأسلوب آخر؛ ولهذا تعددت أسماؤها ومحافلها ونواديها، كالروتاري والليونز وبناي برث وغيرها، والأهداف هي الأهداف، والحقيقة هي الحقيقة، تعددت الأسماء والغاية واحدة.
- ومن وسائلها: إنشاء المدارس العلمانية المجانية الإجبارية.
- ومن وسائلها أيضًا: استغلال الصحافة والإعلام عمومًا.
- الاهتمام بالطلاب المتفوقين عقليًا وثقافيًا في الجامعات، والذين ينتمون في مجتمعاتهم إلى أُسر لها تأثير ونفوذ، وتوجيههم للاستفادة منهم في تنفيذ أهدافهم المرسومة.
- استعمال الرشوة بالمال وبذل الجنس للوصول إلى السيطرة على الرجال ذوي النفوذ والجاه؛ حتى يصبح أداة بأيديهم.
- من وسائلها ما تقوم به (منظمة شهود يهوه) وهي لون من ألوان الماسونية:

من تقديم المساعدات للطلاب المغتربين عن بلدانهم في أروبا وأمريكا وكندا، والقيام على حاجاتهم وحل مشكلاتهم؛ للتأثير عليهم وتقريبهم منهم ومن ثم استغلاله في تحقيق أهدافهم، وأيضًا دعوة بعض الصبيان للعيش في أسر ماسونية يغذونهم بأفكار ضد الأديان والأوطان.

مصادر الفكر الماسوني

الماسونية منظمة يهودية في أصل نشأتها وظهورها، وفي أسرارها وتعاليمها ورموزها، يقودها اليهود، وتنطلق من مصادرهم وأصولهم، من تعاليم العهد القديم، والتلمود، ومن مخططات بروتوكولات حكماء صهيون، فمصدر فكرها ومنطلق عقيدتها وأصولها، هي ذاتها مصدر ومنطلق اليهودية الصهيونية العالمية، فممّا يتلى في جلسات حملة الدرجة الثالثة والثلاثين الماسونية هذا النص، وفيه: "سنعود إلى عهد سليمان بن داود، ونبني الهيكل الأقدس، ونقرأ فيه التلمود، وننفذ كل ما جاء في الوصايا والعهود، وفي سبيل مجد إسرائيل نبذل كل مجهود...".

وفي أحد قسم الماسونية (قسم سفير المودة، وهو الفارس الحر النسب، الذي يبعثه محفله سفيرًا لأحد المراكز العليا) اليمين الآتية وفيه:

"أنا الأستاذ الأعظم... أقسم وأتعهد، وأنا واضع يدي على التوراة المقدس، الذي آمنت به الكتاب الإلهي الأول والأخير، الذي لا قبله ولا بعده كتاب... وأتعهد أن أقوم بجميع المهمات التي توكل إلي، وأعمل حتى آخر نفس في عمري، وأبذل آخر قطرة من دمي في سبيل بناء دولة موسى الكبرى التي تنشر أنوار الأقدس على العالم، وأعمل من أجل الانتقام من أعداء أمتنا، أمة صهيون المقدسة، وأعمل لأجل هدم جميع العقائد الأخرى التي فرضها الغاصبون على الأمم...".

وبروتوكولات حكماء صهيون فيها المخططات والطرق والوسائل لتحقيق الأهداف وبلوغ الغايات، وقد تقدم الكلام عنها وعن التلمود، وعن العهد القديم عند الحديث عن مصادر الفكر الصهيوني.

النوادي الماسونية المعاصرة

الماسونية تغير جلدها وتتلون كالحرباء بألوان متعددة، وهذا مما يتواصى به قادة الماسون؛ ليضمنوا استمرار عملهم وتحقيق غاياتهم، فإن الماسونية وصمة عارٍ على أهلها والمنتمين إليها، وهم يحاولون عبر تغيير الاسم حجب هذا العار وإخفائه عن الناس، ولهذا تعددت نواديهم وكثرت، والحقيقة واحدة، والأهداف متفقة، والغايات ترمي إلى أمور مشتركة، واختلاف الأسماء لا يغيّر من الحقائق شيئا.

فمن نواديهم:

أبناء العهد (بناي برث)، والروتاري، والليونز وغيرها.

وأبناء العهد:

من أقدمها، وعضويتها مقصورة على أبناء اليهود، وخدمتها موجهة أساسًا لدعم الصهيونية في العالم. وقد تأسست في مدينة نيويورك عام (١٨٤٣م)، وانتشرت محافلها في الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وألمانيا وفرنسا، وامتدت فروعها إلى استراليا وأفريقيا وبعض دول آسيا، ولها نواد في بعض البلدان الإسلامية: الأردن، وسوريا، ولبنان، والمغرب، وتونس ومصر وغيرها.

وأما الروتاري:

فقد بدأت أنديتها في أمريكا سنة (١٩٠٥م)، وانتقلت بعدها إلى بريطانيا وإلى عدد من الدول الأوروبية، ولها نواد في عدد من الدول العربية كمصر والأردن وتونس والجزائر ولبنان والمغرب وغيرها.

وكلمة "روتاري" كلمة انجليزية معناها: دوران أو مناوبة؛ لأن اجتماعاتها كانت تعقد في منازل أو مكاتب الأعضاء بالتناوب.

ومصر وفلسطين هما الدولتان الأوليان في العالم الإسلامي والعربي اللتان تأسس فيها أول نادي للروتاري، وذلك عام (١٩٢٩م).

وباب العضوية غير مفتوح لكل الناس، وإنما النادي يدعو الأشخاص للانضمام إليه.

وتختلف الماسونية عن الروتاري في أن قيادة الماسونية ورأسها مجهولان، بخلاف نادي الروتاري الذي يمكن معرفة أصوله ومؤسسية.

وأما الليونز:

وهي بمعنى (الأسود) فتعود نشأتها إلى عام (١٩١٧م) في مدينة شيكاغو.

ولا يستطيع أي شخص أن يقدم طلب انتساب إليها، إنما هم الذين يرشحونه ويعرضون عليه ذلك إذا رأوا. وأنشي نادي الليونز ليكون بديلًا عن النوادي السابقة في حالات انكشافها أو اضطهادها؛ لما يتمتع به من مظهر اجتماعي خيري. ولها نوادٍ في أمريكا وأوروبا وفي كثير من بلدان العالم.

هذه إطلالة سريعة على بعض نوادي الماسونية ، وغيرها كثير من النوادي التي تتفق في الأهداف والغايات، وتغيير الأسماء وتجديد اللافتات لا يغير من الحقائق شيئا.

موقف الماسونية من المرأة والأسرة

قامت الماسونية على أساس راسخ من التخريب والإفساد وتحطيم القيم والأخلاق وتدمير الأديان والأوطان، ولما كانت الأسرة ركن المجتمع وعموده، والمرأة هي شقة الثاني، وهما أساس صلاح الأوطان والأخلاق، فبصلاح الأسرة يصلح المجتمع، وبصلاح المجتمع تصلح الدولة.

لما كان الأمر كذلك أولت الماسونية تحطيم الأسرة وإفساد المرأة اهتمامًا بالغا، وبذلت قصارى جهدها لتدميرها وإخراجها من تعاليم دينها وانتمائها إلى وطنها، وخططت لها لتكون أداة تنفيذ بيدها، ومعول هدم لمجتمعها.

تحاول الماسونية فصل المرء عن أسرته، وقطع كل الروابط التي تربطه بها، تسعى إلى قطع علاقته بأبيه وأمه وأخيه وأخته وجميع أفراد أسرته؛ ليكون ولاؤه وانتماؤه للماسونية وحدها، مخلصًا لها، ومنفذًا لمخططاتها.

جاء في أحد أقسامهم اليمين الآتي:

"أقسم على أن أقطع كل الروابط التي تربطني بمطلق كل إنسان، كالأب والأم والأخوة والأخوات، والزوج والأقارب والأصدقاء والملك والرؤساء، وكل من حلفت له بالأمانة والطاعة، وعاهدته على الشكر والخدمة".

إنَّ الطريق إلى ضمّ المرء إلى محافلهم وجمعياتهم ، ثم الاستفادة منه هو فصله عن أسرته، وإبعاده عن أهله وعائلته، جاء في تعاليم الماسونية السرية قولهم: "إنَّ الأمر الجوهري في استمالة الناس إلى جماعتنا إنما هو إفراد الرجل عن عائلته وإفساد أخلاقه....".

واستغلت الماسونية شعار الحرية لتُخرج المرأة من أسرتها، وباسم الحرية تتخلى عن مبادئها، وباسم الحرية تبتعد عن تعاليم دينها، وباسم الحرية تمارس ألوان الفوضى ومخالفة الفطرية السوية، وهم في مؤتمراتهم يحثون على اجتذاب المرأة إلى محافلهم لتحريرها كما يزعمون، وما غايتهم إلَّا أن ينزعوا عنها الدين ويلقوا بها في بؤر الفساد ومهاوي الردى.

يقول (بوكيه) في حفلة ماسونية عقدت سنة (١٨٧٩م): "تأكدوا أننا لسنا منتصرين تمامًا على الخرافات (أي الدين) إلَّا يوم تشاركنا فيه المرأة بالعمل في صفوفنا وتجاهد معنا".

فالمرأة أس من أسس الهدم، كما أنها ركن من أركان الإصلاح، وهي تلعب دورًا رئيسيا، ومحورًا جوهريا في الإصلاح والإفساد، في البناء والتخريب، ولهذا تواصوا باستغلالها، وحرصوا على مشاركتها، وحثوا على انضمامها واجتذابها، نشروا بها الرذيلة وحاربوا الفضيلة، وأحلوا ما اتفقت على تحريمه الأنبياء والرسل، وحرمته الأديان.

يقول أحد شيوخ الماسونية (دور فويل): "ليس الزنى بإثم في شريعة الطبيعة، ولو بقي البشر على سذاجة طبيعتهم لكانت النساء كلهن مشتركات بينهم".

لقد أرادوا إفساد الأسرة بإفساد أَعمدة المجتمع، وحصنها الحصين من كل رذيلة وقبيحة، ومن كل شر مستطير، وأذى مستديم، بإغراق المجتمعات بالزنى والتهوين من شأن الزواج الشرعي والرباط الوثيق.

لقد أدركوا أن المرأة إذا انجذبت إليهم فهي من أقوى الرسل لنشر مبادئهم وتحقيق أحلامهم، من إفساد الأديان وتحطيم المجتمعات ونسف القيم والأخلاق.

وكما أنهم سعوا إلى إفساد الأسرة بإفساد المرأة فقد سعوا أيضًا إلى إفساد الأولاد فأنكروا حقوق الوالدين من الطاعة والوقار والسمع والبرّ والإحسان، وزعموا أن العلاقة بين الأولاد والوالدين هي علاقة مبنية على المصلحة والمنفعة، وأن سلطة الآباء على بنيهم وطاعتهم لهم تزول حين يتمكن البنون من الاعتماد على أنفسهم والقيام بشؤونهم.

وأسقطوا ما أجمعت عليه الفطر السوية من حفظ الجميل للوالدين ووجوب إسداء المعروف إليهم لما لهم من فضل كبير وإحسان عميم.

يقول أحد الماسون: "ليست معرفة الجميل واجبًا لازمًا على البنين لوالديهم، وإنما هي شيء اختياري، والولد إذا بلغ سنّ الرشد أُعتق من حكم الطاعة لوالديه".

ولا عجب من تعاليم الماسونية هذه، فهي جمعية تخريبية إفسادية، وأصل الإفساد ورأسه يبدأ من إفساد الأسرة وإفساد المرأة، وإفساد الأبناء، وإسقاط حقوق الوالدين، والتهوين من شأن الزواج الشرعي، وتحليل الرذيلة، ومحاربة العفة والفضيلة.

خطر الماسونية، وواجب المسلمين تجاه المخططات الماسونية

الماسونية خطرة على الأمم، وعلى الدول، وعلى المجتمعات والشعوب، خطرة على الديانة النصرانية، وعلى الأمة الإسلامية، والأمة العربية، إنها خطرٌ مستطير وشرّ مستديم.

تكمن خطورتها في طبيعتها، وأصل نشأتها القائم على الافساد، والهدم، والتخريب.

وتكمن خطورتها في كونها ترمي إلى أهداف اليهودية العالمية، وتعمل وفق أدواتها ومخططاتها.

وتكمن خطورتها في نزع المرء من دينه وولائه لوطنه وبلده.

وتكمن خطورتها في تظاهرها بالعمل الخيري، والإخاء الإنساني، والتضامن الاجتماعي، وتدس وراءه المرض الفتّاك، والسُّم الزعاف.

وتكمن خطورتها في رفعها لشعار (الحرية، والإخاء، والمساواة) تمويها وتدلسيًا وغشًّا وكذبًا.

وتكمن خطورتها في كثرة تلونها وتغيير جلدها، وتعدد أسمائها، وتجديد لافتاتها.

وتكمن خطورتها في إحكام تنظيمها، وحرصها على اصطياد الوجهاء والرؤساء والمؤثرين.

وتكمن خطورتها في إغراق العالم في ظلمات الكفر والالحاد، وفي إثارة الفتن والحروب.

وتكمن خطورتها في مصادرها، ومنطلقاتها، وأصوله تلقيها.

لقد توالت تحذيرات أهل العلم من الماسونية، وكشفوا زيفها وعوراتها، وهتكوا سترها، وفضحوها، وبينوا حقيقتها، وأوضحوا أهدافها وغاياتها، وأصدروا الفتاوى والبيانات في تحريم الانضمام إليها والالتحاق بها، ووجوب الحذر منها، والانفصال عنها، وتحريم مساندتها ومعاونتها بأي وجه من الوجوه.

وحكم نواديها كحكمها ولا فرق؛ لأنها متفقة في الأهداف والغايات والحقائق وإن اختلفت الأسماء، والعبرة بحقائق الأشياء ومسمياتها وكيفياتها لا في أسمائها وشعاراتها؛ ولهذا كانت أحكام العلماء شاملة للماسونية ولنواديها ومحافلها وجمعياتها.

فقد أصدر المؤتمر الإسلامي المنعقد في مكة المكرمة عام (١٩٧٤م) قراره الحادي عشر الخاص (بالماسونية، وأندية الروتاري، والليونز، وحركات التسلح الخلقي، وإخوان الحرية) ونصّه:

"الماسونية جمعية سرّية هدّامة، لها صلة وثيقة بالصهيونية العالمية، التي تحركها وتدفعها لخدمة أغراضها، وتتستر تحت شعارات خداعة، كالحرية والإخاء والمساواة وما إلى ذلك، مما أوقع في شباكها كثيرًا من المسلمين وقادة البلاد وأهل الفكر، وعلى الهيئات الإسلامية أن يكون موقفها من هذه الجمعيات السرّية على النحو التالي:

١. على كل مسلم أن يخرج منها فورا.
٢. تحريم انتخاب أي مسلم ينتسب لها لأي عمل إسلامي.
٣. على الدولة الإسلامية أن تمنع نشاطها داخل بلادها وأن تغلق محافلها وأوكارها.
٤. عدم توظيف أي شخص ينتسب لها ومقاطعته مقاطعة كلية.
٥. فضحها بكتيبات ونشرات تباع بسعر التكلفة.
٦. وتعامل كل من النوادي التالية معاملة الماسونية: نادي الروتاري ونادي الليونز، حركات التسلح الخلقي، إخوان الحرية".

وكذلك أصدرت لجنة الفتوى بالأزهر بيانًا بشأن الماسونية والأندية التابعة لها مثل الليونز والروتاري جاء فيه:

"ويحرم على المسلمين أن ينتسبوا لأندية هذا شأنها، وواجب المسلم ألا يكون إمعة يسير وراء كل داع وناد، بل واجبه أن يمتثل لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول: "لا يكن أحدكم إمعة

يقول: إنّ أحسن الناس أحسنت وإن أساءوا أسأت، ولكن وطنوا أنفسكم، إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم".

وهكذا أيضًا أصدر المجمع الفقهي التابع لرابطة العالم الإسلامي واللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء برئاسة سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز فتاوى تحذِّر من الماسونية أشدّ التحذير، وتحرّم الانتساب إليها والالتحاق بها، وأنه يجب على من انتسب إليها أن ينفصل عنها، ويكشف للناس عن حقيقتها، ويبذل جهده في نشر أسرارها، وهتك أستارها.

الوجودية

التعريف بالوجودية:

الوجودية نزعةٌ فرديةٌ غالية، تُعنى بالبحث في وجود الفرد الإنساني، وإبراز قيمته.

وهي المذهب الذي عرضه (جان بول سارتر) في كتبه، ونشره بين جمهور الناس عبر مسرحياته، ورواياته ومقالاته.

يقوم المذهب الوجودي أولًا:

على التفريق بين الوجود والماهية، وأن الوجود متقدمٌ على الماهية.

ومعنى هذا أن الإنسان يوجد أولاً، ثم هو يحدد ماهيته باختياراته ومواقفه، فهو من يختار صفاته وأحواله، وهو من يختار هدفه وغايته، فهو رب أفعاله، وخالق ماهيته في حريةٍ كاملة.

و**المبدأ الثاني** الذي يقوم عليه المذهب الوجودي: الحرية المطلقة .

فالحرية لديهم هي الوجود الإنساني نفسه، والقول بأن الإنسان موجود يعني عندهم ببساطة: أنه حرّ، فهو يختار ما يشاء، وهو يفعل ما يريد، لا سلطان عليه، وليس هناك قوةٌ خارجية تفرض نفسها عليه، فهو كما تقدم رب أفعاله وخالق ماهيته في حريةٍ تامةٍ كاملة.

وبناءً عليه: فلا قيم ولا أخلاق تحكمه، ولا عقائد ولاعقائد يجب أن يلتزم بها، فكل انسانٍ يفعل ما يشاء ويختار مايريد.

والعالم في تصور الوجوديين هو وُجد بلا هدف ولا حكمة ولا داع، ويمضي إلى غير نهاية.

والعدم عندهم هو نهاية هذا العالم، فالحياة لديهم لا معنى لها، وهي خاليةٌ من الأمل والهدف؛ ولهذا فهم يعانون معاناةً شديدةً من القلق واليأس، وأضحى الشعور بالمسؤولية والالتزام عندهم يدفعهم إلى مزيدٍ من القلق، وإلى مزيدٍ من الضيق، وإلى مزيدٍ من الألم والخوف.

والوجودية مدرستان:

الأولى: الوجودية المؤمنة (المسيحية)، التي تؤمن بوجود الإله.

ومن أعلامها: كير كيجارد ر، وجان مارتيان، والقس كبرييل مارسيل وغيرهم.

الثانية: الوجودية الملحدة، التي لا تؤمن بوجود الله.

ومن أعلامها: مارتن هيدجر.

واليهودي جان بول سارتر، وهو أكبر مروج للوجودية الإلحادية، حتى صارت الوجودية الإلحادية المعاصرة ملازمةً لاسمه ومرتبطةً به.

والوجودية الملحدة هي المقصودة بمفهوم الوجودية المتداول على الألسنة، وهي تكفر بالله ورسله وكتبه وبكل الغيبيات وبكل ما جاءت به الأديان.

نشأة الوجودية وأشهر رجالها في أوروبا وفي العالم العربي

تعد الوجودية من أحدث المذاهب الفلسفية، ظهرت بسبب ظروف المجتمع الأوروبي، الذي ساده بعد الحرب العالمية الأولى جوٌ مشحونٌ بالقلق والألم والتوتر، واتسع بعد الحرب العالمية الثانية بسبب الدمار الشامل الذي أفنى الملايين من البشر، ومزَّق المجتمع وفكَّك الأسر، هذه الظروف المؤلمة القاسية بعد الحرب العالمية الثانية دفعتْ بعض مفكِّريهم إلى البحث عن مشكلة الإنسان، ووجوده وموته، وعلاقة الفرد بمجتمعه، ومدى حريته ومسؤوليته، فكان هذا المناخ ملائماً لظهور الوجودية.

ويرى رجال الفكر الغربي أن (سورين كيركجورد) هو مؤسس المدرسة الوجودية، ولكن جذور أفكار الوجودية قديمة وضاربة في القدم، ويعدّ سقراط من الفلاسفة الذين تأثرت بهم الوجودية، كذلك تأثرت بمذاهب أخرى، كالعلمانية وغيرها من التيارات والحركات التي صاحبت النهضة الأوروبية، ورفضت الدين وتعاليم الكنيسة وكل ما له صلةٌ بها، وذلك كرد فعلٍ لتسلط الكنيسة وطغيانها وتعنتها وصراعها للعلم واهله.

ومن أشهر رجال الوجودية وأبرزهم، وكان رأسًا فيها، وسببًا رئيسيًا من أسباب انتشارها:

الفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر، الذي طغت شهرته على كثير من فلاسفة الوجودية ورجالها مع كونه ليس هو المؤسس لها، وهو ملحدٌ ، مناصر للصهيونية العالمية، له عدة كتب تمثل مذهبه منها: "الوجودية مذهب إنساني"، و"الوجود والعدم"، وغيرها من الكتب.

ومن رجال المذهب الوجودي أيضًا: مارتن هيدجر، والقس كبرييل مارسيل، وبسكال بليز، وكارل حاسبرز وغيرهم.

أما في العالم العربي فإن الذي روّج لهذا المذهب هو: الدكتور عبد الرحمن بدوي.

ويعد رائد مذهب الوجودية في العالم العربي، وكان أول جهوده في الترويج لها رسالته في الماجستير والتي بعنوان "مشكلة الموت في الفلسفة المعاصرة"، ثم رسالته في الدكتوراه والموسومة ب"الزمان الوجودي"، ثم كتب رسائل صغيرة أخرى عن مسائل في الوجودية.

وكان الدكتور عبد الرحمن بدوي على طريقة المدرسة الوجودية الملحدة التي تنكر وجود الله سبحانه وتعالى، لكن في آخر حياته منَّ الله سبحانه وتعالى عليه بالرجوع إلى الحق، وشرح الله صدره للإسلام، وتبرأ من جميع كتاباته وآرائه التي تتصادم مع عقيدة الإسلام وشريعته.

آثار الوجودية في المجتمع الأوروبي.

ركب الله سبحانه وتعالى الإنسان من جسدٍ وروح، ولايستقيم حاله إلا بإصلاحهما، بإصلاح الروح وإصلاح الجسد، وإصلاح الروح أهم وأعظم وأجل.

والمذاهب الفكرية الأوروبية الم تولِ الروح أي اهتمام، من حيث إصلاحها بالإيمان والتعبد والتأله، والوجودية هي من قبيل هذه المذاهب التي ابتعدت كل البعد عن الإيمان بالله، فعاشت في ظلمات التيه والعبث والفوضى والضياع.

وأدى الفكر الوجودي إلى آثار خطيرة ونتائج مدمرة في المجتمع الأوروبي، فشاع الإلحاد فيها، والكفر بالله وبكتبه ورسله وباليوم الآخر وبكل ما جاءت به الأديان.

وهو أثر طبيعي للوجودية الحديثة، فإن الإلحاد أُسٌّ من أسسها، وركن من أركانها، نشرتْه عبر المقالات والروايات والمسرحيات، فكان له على الجمهور وعموم الناس آثار عقدية وخلقية مدمرة.

والوجودية لا ترى للحياة معنىً، ولا تعرف لها هدف ولا حكمة، ولا إلى أين تنتهي، وقامت على النزعة الفردية وحبّ الذات، وعلى تحديد الفرد لماهيته باختياراته ومواقفه، فهو رب أفعاله وخالق ماهيته لا سلطان عليه، ولا مدبر لشؤونه، فعاش قلقًا خائفًا من تقرير اختياراته، ووضع غاياته وأهدافه.

ولازَمَه القلق واليأس حتى أصبح جزءًا من شخصيته، ومن شخصية كل من تأثر بهم في المجتمع الأوروبي، وكثرت بسبب ذلك حالات الانتحار؛ بسبب هذا الضيق والألم والقلق

واليأس الذي يعيشه، وأضحَى الموت والتخلص من الحياة أقصى الأمنيات وأعلاها عند بعضهم.

كذلك أدت الوجودية القائمة على الحرية المطلقة إلى الانحلال والفساد ،والإباحية الجنسية والفوضى الخلقية، فهو يختار ما يشاء وهو يفعل ما يريد، لا قيم تحكمه ولا أخلاق تردعه، ولا دين يلتزم به، فهي تمثل الفوضوية بأكمل صورها وأتم معانيها، ووجدت طريقها إلى قلوب الشباب والشابات في أوروبا وأمريكا وغيرها، فأنشأت لها نوادي العراة وغيرها، يهيمون في هذه الحياة بلا هدف ولا معنى كالأنعام بل هم أضل، يبتغون راحة النفس وسعادتها بالملذات والشهوات، وما علموا أن راحتها وسعادتها يبدأ بالإيمان بالله وإليه ينتهي، فهو المبدأ وهو الغاية، وإليه الرجعى.

موقف الإسلام من الوجودية.

موقف الإسلام وجميع الأديان المؤمنة بالإله من الوجودية الحديثة الإلحادية هو موقف المعارضة والمناقضة والمضادة؛ فإن الأمم أجمع إلا من شذَّ تؤمن بوجود الإله، حتى فرعون الذي قال: ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [النازعات: ٢٤]، وقال: ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ [القصص: ٣٨]، هو كان في قرارة نفسه وفي باطنه يؤمن بالله، كما قال الله عنه وعن قومه: ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ﴾ [النمل: ١٤]، فكل الأديان التي تسمى الأديان المسماة بالسماوية، والوثنية من البوذية والجينية والهندوسية والكونفوشيوسية وغيرها تؤمن بوجود الإله، وإن اختلفت في تعيينه ؛ فإن الفطرة والعقل والحس دلَّ على أن المحدَث لابد له من محدِث، والموجود لابد له من موجِد، وإنكار وجود الإله هو مخالفٌ للفطرة والعقل والحس وللنصوص أيضاً من باب أولى، ولاينكر وجود الإله إلا شرذمة قليلة جداً مقارنةً بمن يؤمن به.

وما يشعر به الوجوديون من القلق والتوتر والألم والخوف واليأس والتشاؤم هي نتائج طبيعية لإنكار وجود الله سبحانه وتعالى، هي نتائج طبيعية للإعراض عن الله تعالى، وصدق الله إذ يقول: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [طه: ١٢٤] فإن الطريق إلى الراحة السعادة والأمن والطمأنينة وإلى الهداية وإلى التفاؤل وحسن الظن يبدأ أولاً بالإيمان بالله تعالى، وبما أوجب من الإيمان بالقدر خيره وشره، ومن الإيمان باليوم الآخر والبعث والنشور والجزاء والحساب، الإيمان بهذه الأمور هي طريق للسعادة، لما يعرف المرء أن وراءه جنة ونار، وأن وراءه حسابًا وعقاب، فإنه سوف يعمل

أتم العمل وأحسن العمل، ومن العمل الإحسان للآخرين، ومن العمل أيضاً التأله والتعبد، وهذه الأعمال وغيرها هي طريق للسعادة، بل إن السعادة الأبدية لا تكون ولا تأتي إلا بلزوم العبودية، والعبد كلما كان لله أعرف وله أعبد وإليه أقرب كان أسعد حياةً وأكثر راحةً وأعظم أمناً، والمسلم مستقلٌ من تلك السعادة والراحة والأمن والطمأنينة بحسب قوة إيمانه بربه وبحسب قربه منه، وصدق الله إذ يقول: "من عمل صالحاً من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمنٌ فلنحيينه حياةً طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون".

ومن البديهيات والمسلمات في دين الإسلام: أن المسلم يعلم من أين جاء، ويعلم من أوجده، ويعلم لماذا وُجد، وإلى أين ينتهي ويصير، وهي عقيدة راسخة في قلوب المسلمين، تتحد عقيدتهم فيها، لا يشكون في ذلك ولا يترددون، كما تتحد غاياتهم وأهدافهم العظمى في هذه الحياة، ولا يزيدهم التفكير فيما بعد الموت إلا قربًا من خالقهم وموجدهم ومدبر أمورهم، ولا يزيدهم التفكير فيما بعد الموت إلا طاعةً لله وحبًا وتفاؤلًا.

ويعدّ الإيمان بالقضاء والقدر الإيمان الحق، القائم على الأخذ بالأسباب، وتفويض الأمور إلى رب الأرباب ومسبب الأسباب: من أعظم أسباب الطمأنينة والراحة والأمن، وزوال القلق واليأس، والإسلام وسط في هذا الباب، فلم يلقِ العبد في اليمّ مكتوفاً لا إرادة له ولا مشيئة ولا اختيار، ولم يجعله خالقاً لفعله وراباً لإرادته ومشيئته، وهو في غاية العدل في هذا الباب وفي غيرها من الأبواب، وموافقة الفطرة السوية، ومسايرة العقل السليم.

والمرء في الإسلام حين إقدامه على الفعل واتخاذه القرار، وأخذه بالأسباب من الدعاء والاستشارة والاستخارة، وغير ذلك من الأسباب المناسبة لكل فعل هو يقدم بكل شجاعة، وبكل طمأنينة، ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، فينشرح صدره وتطمئن نفسه، ويرضى ويسلم لقضاء الله وقدره، ومن يؤمن بالله يهدي قلبه.

وكما أن الإسلام وسطٌ في باب القدر فهو أيضاً وسطٌ في مبدأ الحرية، فأعطى الإنسان حريته الموافقة لفطرته من التملك وإعمال العقل والفكر، وحرية التنقل والتجارة وغير ذلك مما هو من جبلة الإنسان وطبيعته، وضبطها بما يحقق صلاح المجتمع والأفراد، وهذا بخلاف الحرية المطلقة التي يؤمن بها الوجوديون، فهي حريةٌ بهيمية عبثية فوضوية، لاحدَّ لجماحها ونزواتها، قائمة على عبادة الهوى، لا تعرف للقيم معنى، ولاللأخلاق محل، ولا للدين موضع، حريةٌ في غاية التخلف والانحطاط والابتذال

والمهانة، أذلت الإنسان حين كرمه الله تعالى، وأساءت إليه حين أنعم الله عليه، وألّهته حين خلقه الله لعبادته وطاعته.

والإسلام وازن بين حق الفرد وحق الجماعة، حتى لا يطغى أحدهما على الآخر، فيؤدي إلى عواقب وخيمة وآثار سيئة جسيمة قبيحة، بخلاف الفكر الوجودي الذي عظّم الفرد واعتنى بمصلحته على حساب مصلحة الجماعة، فلم يعيرها أي اهتمام، فوقعت في حب الذات والأنانية المفرطة، والنظر الى العلاقة مع الآخرين نظرة جحيم ومصدر شقاء.

وأخيرا أقول : إن تفريق الوجودية بين الوجود والماهية هو تفريق ذهني، واللفظان لافرق بينهما في الخارج، إلا أن أحدهما قد يعبر به عن الوجود الذهني وهي الماهية، والآخر وهو الوجود يعبر به عن الوجود الخارجي؛ فإن ماهية كل شيءٍ هي عين وجوده، وليس وجود الشيء قدراً زائداً على ماهيته.

العقلانية

التعريف بالعقلانية والعقلانيين:

العقلانية نسبة إلى العقل، والنسبة إلى العقل هي نسبة تشريف ومدح وثناء وكمال، والأحق بذلك هم المسلمون (أهل السنة والجماعة) الذين استعملوا العقل في وظيفته التي خُلق لها، وعرفوا حدود طاقته وإمكانياته، فكانوا أهل العقل السليم الموافق للفطرة السوية، والنصوص الشرعية.

والعقلانيون هم نسبة إلى العقل الزائغ عن الحق والرشد والصواب، المنحرف عن الصراط المستقيم والمنهج القويم، الذي زاغ عما خُلق له، وانحرف عن وظيفته الحقيقية في الحياة.

والعقلانيون هم من قدَّسوا العقل، وجعلوه حاكماً على كل شيء، ورفعوه فوق منزلته، وجعلوا له السيادة المطلقة.

والعقلانية مذهبٌ فكريٌ فلسفيٌ، يزعم أن العقل قادرٌ على الإحاطة بكل شيء، دون عون خارجي من الدين والوحي .

وهو بهذا المفهوم مضادٌ لمذهب الإيمانيين، الذين يعتقدون أن العقل وحده لا يكشف عن الحقيقة، وأنه ليس هو وحده مصدر المعرفة.

ويحاول المذهب العقلي القول بأن المعرفة تنشأ عن المبادئ العقلية القبلية والضرورية، لا عن التجارب الحسية؛ لأن التجارب الحسية لا تفيد علماً كلياً، وهو بهذا المعنى مقابل للمذهب التجريبي، الذي يزعم أن كل ما في العقل هو متولدٌ من الحس والتجربة.

والحاصل: أن العقلانية ترى أن العقل هو مصدر المعرفة، وتقول بأولية العقل.

الجذور الفكرية والعقدية للعقلانية

العقلانية مذهبٌ ضاربٌ في التاريخ الإنساني، تعود جذورها وأصولها إلى الفلسفة اليونانية القديمة، التي كانت لوناً من ألوان عبادة العقل وتأليهِه، ورفعه فوق منزلته بكثير.

وممن يمثلها في تلك المرحلة من اليونانيين: سقراط، وتلميذه أفلاطون، وأرسطو تلميذ أفلاطون.

وفي عصور أوروبا المظلمة العصور الوسطى التي استمرت عشرة قرون، سيطرت الكنيسة على المجتمعات الأوروبية وعلى عقولهم، فحاربت العلم والعقل باسْم الدين، ومارست كل

ألوان الإرهاب، وعلى رأسه: الإرهاب الفكري والعلمي، فحجرتْ على العقل، ومنعتْه من أداء وظيفته، وأقامت محاكم التفتيش لقتل العلماء، ووَأْدِ عقولِهم وحرْقِهم وحَرْقِ كتبهم، وتعذيبهم بشتى ألوان العذاب، وكان ذلك سببًا رئيسيًا من أسباب محاربة الدين وإقصائه، والإعلاء من شأن العقل وتقديسه.

إضافة إلى كون الدين النصراني المحرف مخالفًا للعقل في أسسه وأصوله، كقولهم بالتثليث والصلب والفداء، وغير ذلك مما هو مخالفٌ لبَدائه العقول، فأدّى ذلك مع تأثر الأوروبيين بالجذور اليونانية الإغريقية إلى تأليه العقل من جديد، وإعطائه حجماً أكبر بكثير من حقيقته، وجعل السيادة المطلقة له، فعادت المجتمعات الأوروبية إلى جذورها العميقة وأصولها الحقيقية ، وهي الثقافة اليونانية الإغريقية.

إذن بدأ تقديس العقل باليونانيين، وانتهى إلى الأوروبيين، ومرّ ببلاد المسلمين؛ فإن العالم الإسلامي قد تأثر بكلا الاتجاهين، تأثر أولاً باليونانيين، وتمثل ذلك بالفلاسفة المنتسبين للإسلام، وبفِرَق أهل الكلام، وعلى رأسهم فرقة المعتزلة.

وتأثر بالعقلانيين الأوروبيين، وظهر هذا التأثر في أصحاب المدرسة العقلية الحديثة، فهذه المدرسة العقلية الحديثة تأثرت بالعقلانيين الأوروبيين من جهة، كما أنها تأثرت أيضًا بالمعتزلة ومن سار على نهجهم وطريقتهم.

الحاصل: أن العلاقة متينة ووطيدة بين العقلانيين على مدى التاريخ الإنساني، اليوناني والأوروبي والعربي والإسلامي، والمصدر الأول والأساس هم: اليونانيون.

المقصود بعصر التنوير والتنويريين والعصرانيين.

عصر التنوير يقصد به:

العصر الذي انطلقت فيه الدعوة إلى تحييد الدين وإبعاده وإحلال العقل محله.

وفيه احتلّ العقل مركز السيادة، وأصبح هو المقدم على الكنيسة وتعاليمها وقوانينها، ويعد عصر التنوير امتداداً لعصر النهضة، الذي هو بداية تَفَتُّح العقلية الأوروبية على يد الحركة الإصلاحية التي قام بها مارتن لوثر ، نادى فيها بالتحرر من سلطان الكنيسة، وأخذ يهاجم تعاليمها التي أسماها تعاليم الشيطان، واعتبر صكوك الغفران من وسائل الذُّل والعبودية التي

يجب أن تنتهي، وركز كثيراً على فساد البلاط البابوي وانغماسه في الترف والبذخ .ثم جاء بعده كالفن وسار على خطاه وفي نفس الاتجاه .

ورغم أن حركة مارتن لوثر غيّرت كثيراً من المفاهيم والاتجاهات، إلا أنها كانت تجعل الكتاب المقدس مصدر المعرفة فيما يتصل بالإيمان وله الكلمة الأخيرة.

أما عصر التنوير فكان العقل هو مصدر المعرفة، ومركز السيادة، وأُقْصِيَ الدين وأُبْعِد.

من الفلاسفة العقلانيين: استنوزا، وأبو الفلسفة الحديثة ديكارت.

بعد ذلك ابتدأ عصرٌ آخر من عصور الفكر الأوروبي، وهو عصرُ سيادةِ الفكر المادي، عصر الحس والطبيعة، وظهر ذلك مع بداية القرن التاسع عشر الميلادي، وأخذت الفلسفة في هذا القرن تتجه نحو سيادة الطبيعة والحس، على الدين والعقل جميعًا، وإلى اعتبار الواقع مصدراً للمعرفة اليقينية مقابل الدين والعقل.

أما العصرانية:

فهي تعني إعادة تأويل التعاليم الدينية التقليدية على ضوء المفاهيم الفلسفية والعلمية السائدة، والسعي إلى تطويع الدين؛ ليتلاءم مع قيم الحضارة الغربية ومفاهيمها، وإخضاعه لتصوراتها ووجهة نظرها في شؤون الحياة.

وهي حركة مراجعة، وإعادة تفسيرٍ واسعة، نشِطتْ داخل اليهودية والنصرانية، وتبنى أفكارها بعض أبناء المسلمين.

ومصطلح العصرانية لا يعني مجرد الانتماء إلى هذا العصر، ولكنها مصطلحٌ خاص في الدين، أُطلق بصفة خاصة على حركةٍ داخل الكنيسة الكاثوليكية الرومانية.

وظهر في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي وأوائل القرن العشرين.

واستخدم أيضًا: لوصف النزعات التحررية المشابهة في البروتستانتية، كما أنه قد نشأت في اليهودية فرقة كانت أفكارها موافقةً مع ما نشأ داخل النصرانية، واليهود في فلسطين لا يعترفون بهذه الفرقة اليهودية المتحررة.

وشَهِدَ العالم الإسلامي نزعات مشابهة، استخدم لها كلمة "تجديد الدين"، وهو وارد في النصوص، لكن هؤلاء استعملوه بغير ما دلتْ عليه النصوص، وبغير ما فهمه العلماء المعتبرون.

هذا هو المراد بالعصرانية، والعصرانيون هم رجال هذه الحركة.

صور العقلانية ووسائلها وآثارها.

من صور انحراف العقلانية: إقحام العقل في غير مجاله، وإدخاله فيما هو فوق إدراكه، ومن ذلك: إقحامه في تفاصيل مسائل الغيب.

فإن العقل وظيفته هي فهم ما أخبرت به النصوص من الإيمان بأسماء الله وصفاته، واليوم الآخر، وغير ذلك من أمور الغيب، أما أن يكون هو مصدر المعرفة وحده، وهو الحاكم في كل شيء، وإليه ترجع الكلمة الأولى والأخيرة فهذا من ضلالات العقلانيين، ومن أعظم انحرافهم، ومن مخالفتهم للعقل نفسه؛ فالعقل ليس له القدرة على الإحاطة بكل شيء؛ لأن إدراكه محدود وقدرته محصورة، ولا يملك أن يكون مدركًا لكل الحقائق؛ فإن حقائق ما أخبر الله تعالى به من أسمائه وصفاته وما يكون بعد الموت من بعثٍ ونشورٍ وحسابٍ وجزاءٍ وعذابٍ ونعيمٍ لا يدرك كيفيته ولايدرك كنهه وحقيقته إلا الله سبحانه وتعالى.

وخوض العقلانيين في ذلك وأمثاله له آثار سيئة ونتائج عقدية مهلكة، من إنكار وجود الله سبحانه وتعالى، وإنكار وحيه، وإنكار الغيبيات.

وليس السبب في هذه الآثار المدمرة المهلكة هو إعمال العقل؛ فإن العقل يؤدي إلى إثبات وجود الله تعالى، وإثبات كثيرٍ من الغيبيات، إما على وجه الإجمال أو على وجه التفصيل، ولكن إعمال عقولهم المنحرفة الزائغة عن الفطرة السوية هو الذي أوقعهم في الإلحاد بشتى صوره وألوانه.

أيضًا من صور انحراف العقلانية:

تأليه العقل وعبادته باتباعه فيما يأمر وينهى، وفيما يحلل ويحرم، فالحق عندهم ما أثبته العقل، والباطل هو ما أنكره العقل، والحلال ما حلله، والحرام ما حرمه، دون أي اعتبار للدين والوحي.

وتفاوتت الأحكام فيما بينهم بتفاوت عقولهم واختلافها، فما يراه قومٌ هو الحق والصواب يراه آخرون هو الباطل ومجانبة الصواب، وما يراه أحدهم هو الحسن يراه الآخر هو القبيح؛ للتباين الشديد بين الناس في العقول.

فلايصح أن يكون العقل وحده هو المرجع والحاكم، فكيف إذا كان هذا العقل هو العقل الفاسد، العقل المنحرف، العقل المخالف للبديهيات والمسلمات، العقل الزائغ عن الفطرة والإجماع.

ومن صور انحراف العقلانية:

تحييد الدين والإعراض عنه وفصله عن شؤون الحياة، حتى أضحى الدين هو العدو اللدود لعقولهم.

ولاعجب في ذلك إذا علمنا أن هذا الدين الذي عادَوه وكرهوه وحاربوه ليس هو الدين المنزل من رب العالمين، بل هو دينٌ محرف ومبدل مخالف لبَدائه العقول.

وحقيقة الدين الذي اتخذه الأوروبيون عدواً هو دين بولس، الذي حرَّف دين المسيح عليه الصلاة والسلام، وقامت أسسه على مخالفة العقول، من القول بأن الآب والابن وروح القدس ثلاثة أقانيم وهو إله واحد، فإن هذا معلوم البطلان بالضرورة، وأيضاً من القول بالصلب والفداء وأن عيسى عليه الصلاة والسلام إنما صُلب فداءً لخطيئة آدم التي لَحِقَتْ البشرية من بعده، فالعقل السليم لا يُصَدِّق مثل هذه التُّرَّهات والأباطيل، فلا عجب إذن إذا أعرضت العقلانية عن الدين النصراني الذي هو في الحقيقة دين بولس، واتخذته عدوًا لدودًا.

أما الإسلام فهو دين موافق للعقل، والعقل السليم لا يعارضه، وهما متوائمان متفقان منسجمان يسيران في طرقٍ متوازية، لا يتعارضان ولا يختلفان، والإسلام لا يعارض ما دلت عليه العقول، من علومٍ نافعة نتج عنها الاكتشافات والاختراعات بل هو يحث على ذلك، ويحض عليه، بخلاف تعاليم الكنيسة التي مارست كل ألوان الإرهاب ضد العلم والاكتشافات والاختراعات، وحكمت على مخالفيهم بالهرطقة، ونكَّلت بهم أيَّما تنكيل باسْم الإله وباسْم الدين.

المدرسة العقلية الحديثة: تعريفها، ونشأتها، ومعالمها.

المدرسة العقلية الحديثة هي: مدرسةٌ تقدس العقل وتقدمه على النقل.

وقد ظهرت في القرنين الأخيرين: القرن التاسع عشر الميلادي والقرن العشرين، وذلك بعد اتجاه المسلمين نحو الغرب، وبعد تأثر العالم الاسلامي بالوجود الغربي عبر الاستعمار والغزو الفكري بأدواته الثلاث الكبرى التي هي التنصير والاستشراق والتغريب.

والمدرسة العقلية الحديثة تحوي مجموعات مختلفة من الاتجاهات، والفرق، والمذاهب والاحزاب من القوميين، والاشتراكيين، والرأسماليين، ومن الإسلاميين، ومن أتباع الفرق، وأساتذة الجامعات، والمفكرين والمثقفين.

وتعدّ المدرسة العقلية الحديثة امتداداً للمدرسة العقلية القديمة ، مدرسة أهل الكلام ، وعلى رأسهم المعتزلة، التي تأثرت كغيرها من الفرق الكلامية بأصول فلاسفة اليونان وبمناهجهم وأفكارهم وقواعدهم.

وارتكزت المدرسة العقلية الحديثة في منطلقاتها وأصولها على أمرين:

الأول: على أصول اهل الكلام وعلى رأسهم المعتزلة.

والثاني: على المسايرة للغرب في الفكر والثقافة، السياسة، والاقتصاد، وأنماط الحياة الأخرى، بدعوى ضرورة العصر ومواكبة التطور، ومرونة الدين وسِعة قواعده الشرعية.

ويعد انتاج المستشرقين في الدراسات الإسلامية والعربية هو المصدر الأول الذي تعتمد عليه المدرسة العقلية الحديثة.

وسوف أشير هنا إلى أبرز معالم هذه المدرسة وسمات منهجها، دون الخوض في تفاصيل أقوالها وشواذ آرائها.

أولًا: تعظيم العقل وتقديمه على النصوص.

فالنصوص التي لا توافق عقولهم الزائغة المنحرفة لا يبالون بردّها، وتقديم العقل عليها، فالعقل لديهم هو الأساس، وهو المنطلق في الحكم على الأشياء، وتعد دلالته مقدمةٌ على دلالات النصوص، والعقل هو الحاكم عندهم في العقائد والشرائع دون اعتبارٍ للوحي المنزل والشرع المطهر، وهذا هو الاصل في منهجهم، وما ساروا عليه في بحوثهم وكتاباتهم، وما خالف عقولهم من النصوص ردّوه او أوّلوه تأويلًا فاسدًا، يلوون أعناق النصوص ويحاولون إخضاعها وتطويعها لتتلائم مع المفاهيم الغربية والحياة العصرية والتقدم الحضاري بزعمهم.

فالإنكار والرد والتحريف والتعطيل هو من سمات منهجهم ومن معالم مدرستهم، وهو من آثار تقديسهم للعقل وتقديمه على النصوص.

ثانياً: التنكر للتراث الإسلامي، المشتمل على كتب السنة وكتب العقيدة والتفسير والفقه والأصول وغيرها، والنظر إليها نظرة تنقص ونظرة احتقار ونظرة ازدراء، والزعم بأنها لم تعد صالحةً لمسايرة عصر التنوير، ولمواكبةِ التقدم والحضارة.

ثالثاً: التركيز على الآراء الشاذة والمذاهب المنحرفة عبر التاريخ الاسلامي، وتمجيد الفرق الضالة كالفلاسفة والجهمية والمعتزلة وغيرها، ولا عجب في ذلك فهذه المدرسة هي امتداد لتلك المدرسة العقلية القديمة.

والتركيز أيضًا على إبراز جوانب السلبية في التاريخ الاسلامي، ومن ثَمَّ الحكم على الإسلام من خلاله.

رابعاً: الإشادة بالحياة الغربية، والحكم على الاسلام من خلالها.

فمن سمات منهجهم ومعالم طريقتهم الإشادة بالحياة الغربية فكراً وسلوكاً وفلسفةً وسياسةً والتغاضي عن عيوب الحضارة الغربية وعن سلبياتها، وما تعيشه من مادية بحتة على حساب الروح وإصلاحها والعناية بسعادتها وراحتها، وهم يسعون سعيًا حثيثًا للوصول إلى مسايرة الغرب، وموافقته في كل شؤونه، والأخذ بكل ما لديه، واتخاذه المثل الأعلى في غاياتهم وآمالهم وسلوكهم من غير وعيٍ ولا تمييز.

ومن أكثر العقلانيين حماساً للإشادة بالحياة الغربية والتغني بها: طه حسين، وسلامه موسى، وأحمد زكريا أبوشادي، ونجيب محفوظ، وتوفيق الحكيم وغيرهم.

خامساً: التهويل من شأن العلم المادي الحديث.

العلم التجريبي الحديث القائم على الأدلة والبراهين المحسوسة هو علمٌ محترم لدى المسلمين، وله مكانة عالية ومنزلة سامية، ولكن هذا العلم التجريبي المادي لا يجوز إقحامه في أمور الغيب، والوحي، وأحكام الشريعة، فإنه إن لم يوافق ويؤيد الوحي فلا يملك أن يخالفه ويعارضه وينفي ما دلت عليه النصوص.

والمدرسة العقلية الحديثة جعلت (العلم الغربي المادي الحسي) هو المقياس الذي تقاس به العلوم، وتعرف به الحقائق وحده، ولم تكتفِ بإجراء هذا المنهج في العلوم القابلة له، وإنما

أجرته حتى على الوحي والغيبيات والنبوات وأصول العقائد والشرائع، وتعميمه بهذه الطريقة هو من أبعد ما يكون عن البحث العلمي والمنهج الموضوعي.

سادساً: تبني الطرح العلماني أو بعضه، وهم متفاوتون في ذلك، لكنهم يشتركون في قصور نظرتهم إلى الإسلام، ونفورهم من بعض الأحكام الشرعية، واستحيائهم من تطبيقها.

وكان من أوائل الداعين إلى هذا الاتجاه العلماني: أحمد خان في الهند، ومدرسة محمد عبده في مصر وكبار تلاميذه مثل: قاسم أمين، ومحمد فريد وجدي، وعلي عبد الرزاق، ومحمد أحمد خلف الله، وأحمد أمين وغيرهم.

موقف الإسلام من العقلانية

كرّم الله عز وجل الإنسان بالعقل، وجعل للعقل منزلةً سامية عالية، فهو مناط التكليف، وهو أداة الفهم والتدبر والتفكر، وهو آلة التحليل والفحص والتنقيب، عن طريق العقل تُفهَم المعاني، ومن خلاله تُستنبَط الأصول، وتُستنتَج القواعد، وبواسطته تُدرَك المعالم والمناهج.

والقرآن الكريم مليءٌ بالنصوص الداعية إلى النظر في آيات الله وفي ملكوته، والداعية إلى إعمال العقل، يقول الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢] وقال: ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٨]، وقال: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: ٤]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤]، وقال أيضاً سبحانه وتعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل: ١٢]، وقال: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ [الحج: ٤٦]، والنصوص كثيرةٌ في هذا الشأن، وهي متنوعة في سياقاتها ودلالاتها، وهي في مجملها تفيد منزلة العقل في الإسلام وعظم شأنه.

والإسلام حين أعلى من منزلة العقل وضعه في موضعه الصحيح اللائق به، فلم يرفعه فوق منزلته ولم يقحمه فيما هو ليس من مجاله، ولم يدخله في متاهاتٍ لا يطيقها، وفي الوقت ذاته لم يعطل قدراته، ولم يحجر على إمكانياته، ولم يمنعه من أداء وظيفته، وإنما كان الإسلام وسطاً بين الغالي في العقل المقدس له، الذي جعله حاكماً في كل شيء، وجعل له القدرة المطلقة والسلطان المطلق، وبين الجافي عنه والمحتقر له، الذي عطله وألغى مكانته، وتنقص من قدره، وحرم الأتباع من إعماله، وأداء مهمته، فالإسلام وسطٌ بين هؤلاء وهؤلاء، وقف موقف العدل والاستقامة والحق في مبدأ العقل بين الإفراط والتفريط.

والعقل نفسه لا يقبل أن يكون هو المرجع في كل شيء، ولايقبل أن تكون له الكلمة الأولى والأخيرة، ولايقبل أن يكون له السلطان المطلق، فهذا مما ينكره العقل ويرده، فإن دخول العقل في كل صغيرةٍ وكبيرةٍ مما يدركه ومما لا يدركه هو مناقض للعقل نفسه؛ فإن العقل له قدرات محدودة، فإقحامه في مسائل الغيب مما هو فوق إدراكه هو خروجٌ به عن حدود قدرته، وخروج الشيء عن حدوده مما لا تقبله العقول.

ثم إن العقول متفاوتة أيَّما تفاوت، وهي متباينة كل التباين، مختلفة أشد الاختلاف، فعقل مَن نحكم ؟ وإلى عقل مَن نرجع ؟ وعقل مَنْ هذا الذي نجعله حاكمًا في كل شيء؟ عقل مَنْ الذي نرجع إليه في كل صغيرةٍ وكبيرة؟ عقل مَن الذي له الكلمة الأولى والأخيرة؟

هل هو عقل سقراط ؟ أم عقل أفلاطون ؟ أم عقل أرسطو ؟ أم عقل استنوزا ؟ أم عقل ديكارت ؟ أم عقل هيجل ؟ أم عقل جان آثر؟ أم عقل الفارابي؟ أم عقل ابن سينا ؟ أم عقل جهم بن صفوان ؟ أم عقل واصل بن عطاء ؟ أم عقل الرازي ؟ أم الجويني ؟ أم الغزالي ؟ ... إلخ .

فهذه العقول وغيرها متفاوتةٌ أعظم التفاوت، فما يراه بعضهم هو الحق والصواب يراه الآخر هو الباطل وعين الخطأ والفساد، وما يثبته أحدهم ينفيه الآخر، وما ينفيه الآخر يثبته الثالث، وهكذا إلى ما لا نهاية، ولا ينتهي الأمر إلا إذا وضعنا العقل في موضعه الذي خُلق له، والذي وُجد من أجله، وإلا فلا نهاية للتضاد والتناقض.

والعقلانية حينما قدست العقل وعظمته ووضعت له السيادة المطلقة، ألغت الدين وحاربته واتخذته عدوًا، بينما الأمر يجب أن يكون بخلاف ذلك تمامًا، فالعقل السليم الصريح لا يعارض الدين الحنيف، ولا يقف منه موقف المخالفة والمنابذة.

ويُلام العقلانيون لما حاربوا دين الكنيسة وخرجوا عليها، وعارضوا مبادئها وقوانينها، وعرضوا النصرانية التي هي في الحقيقة دين بولس للنقد، وثاروا على هذا الدين وتمردوا على أصوله وعقائده ومبادئه، فلا يُلامون على ذلك؛ فهو دينٌ محرف، خالف العقل وقلل من شأنه، وأثبت ما يخالف بدائه العقول، وقام رجاله رجال الكنيسة وقساوستها بمحاربةِ العلوم والاختراعات والاكتشافات، باسْم الدين وباسْم الإله، فلا عجب إذاً بنبذه وتحييده وعزله وفصله، واتخاذه العدو الأكبر والخصم اللدود.

أما المسلمون فتاريخهم مشرق في العناية بالعلوم التجريبية والإشادة بها، ففي الزمن الذي كانت أوروبا في عصورها الوسطى المظلمة تحارب العلم التجريبي، كان المسلمون في أوج حضارتهم، وقمة عنايتهم بالعلوم وأهلها.

والإسلام ليس كالنصرانية، فهو دينٌ من عند الله، محفوظٌ بحفظ الله، لا يعتريه تحريف ولا تبديل ولا تغيير، ولا يأتي بما يخالف العقول السليمة، وليس فيه ما يعارض العقول الصريحة؛ فإن الدين الصحيح لا يعارض العقل الصريح.

الروحية الحديثة

التعريف بالروحية الحديثة.

حقيقة الأرواح وكنهها وكيفيتها من عالم الغيب، الذي لا يعلمه ولا يطلع عليه إلا خالق الأرواح ومدبرها، ومصرف شؤونها، وهو الله سبحانه وتعالى، يقول الله جل وعلا: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٥].

فالروح من شأن الله سبحانه وتعالى، ومما استأثر الله بعلمه دون خلقه، والله سبحانه وتعالى قد ركّب الإنسان من جسدٍ وروح، وتعلّقات روحه به تختلف باختلاف العوالم التي يسير فيها ويتقلب بها.

ففي عالم الدنيا جعل الله سبحانه وتعالى الأحكام على الأبدان والأرواح تبع لها، فالآلام والنعيم يقع على الأبدان والأرواح تبعٌ لذلك، فتتألم الأرواح بتألم الأبدان، وتلتذ براحتها، وتسعد بسعادتها، وتشقى بشقائها.

وفي عالم البرزخ جعل الله سبحانه وتعالى الأحكام على الأرواح والأبدان تبعٌ لها، فعذاب القبر ونعيمه ليس هو على البدن وحده، ولا هو أيضًا على الروح وحدها، بل عليهما، تجري أحكام البرزخ على الأرواح فتسري إلى أبدانها نعيماً أو عذاباً، كما تجري أحكام الدنيا على الأبدان فتسري إلى أرواحها نعيماً أو عذاباً، ففي البرزخ العذاب والنعيم يقع على الروح والبدن تبعٌ له.

وقد أرانا الله سبحانه وتعالى بلطفه ورحمته وهدايته من ذلك أنموذجًا من حال النائم، فإن ماينعم به أو يعذب به في نومه يجري على روحه أصلاً، والبدن تبعٌ له، وقد يقوى حتى يؤثر في البدن تأثيراً مشاهداً، فيرى في نومه أنه ضُرب فيُصبح وأثر الضرب في جسمه، وهذا مثالٌ للتوضيح والتقريب مع الاختلاف في الحقيقة والكيفية.

والمهم هنا أن عالم البرزخ: الحكم فيه بعكس الحكم في عالم الدنيا، ففي عالم الدنيا الألم والنعيم على البدن والأرواح تبعٌ لذلك، وفي البرزخ العذاب والنعيم على الروح والبدن تبعٌ لذلك.

وأما في عالم الآخرة بعد البعث والنشور فالأحكام تجري على الأرواح والأجساد جميعاً، وهو أكمل أنواع تعلّقها بالبدن، لا يقبل البدن معه موتاً ولا نوماً ولا فسادا.

والأرواح بعد الموت في البرزخ متفاوتةٌ أعظم التفاوت:

- فمنها أرواح في أعلى عليين في الملأ الأعلى، وهي أرواح الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.
- ومنها أرواح في الجحيم في أسفل سافلين، وهي أرواح الكافرين.
- ومنها أرواح في حواصل طيرٍ خضرٍ تسرح في الجنة حيث شاءت، وهي أرواح بعض الشهداء، فإن من الشهداء من تحبس روحه لدَينٍ عليه.
- ومنها أرواح تكون في تنور الزناة والزواني.
- ومنها أرواح في نهر الدم تسبح فيه وتلقم الحجر. كل ذلك تشهد له النصوص.

فأرواح الموتى في شغلٍ شاغلٍ عما تزعمه الروحية الحديثة، فإن مذهب الروحية الحديثة يزعم أنه يحضر أرواح الموتى ويخاطبها ويستفتيها في بعض المشكلات، ويسمع نصائحها ويتصل بها؛ بهدف علاج المرضى، ويتصل بأرواح من فقدوا من أحبابهم وأقاربهم؛ ينشدون بذلك العزاء والسلوان.

وجميع هذه الاتصالات عندهم تجري عبر وسيطٍ بطرقٍ متعددة وفي ظروفٍ خاصة.

جاء في "المعجم الفلسفي" تعريف الروحية الحديثة بأنها " مذهب من يعتقد أن الروح تبقى بعد الموت على صورة جسمٍ لطيفٍ لا يُرى بالعين. ولكن يمكن للأحياء أن يتصلوا بها؛ عبر وسيطٍ في ظروفٍ خاصة".

فالروحية الحديثة من أهم سماتها وخصائصها: القول ببقاء الروح بعد الموت، واتصال الأحياء بها، وتحضيرها ومخاطبتها.

وهي مذهبٌ ظهر كرد فعلٍ للمادية الغربية المحضة، تقوم على عقائد كفرية، وشعوذة واستعانة بالجن والشياطين، متمسحين بالعلم الحديث؛ ليضفوا على أفعالهم وتصرفاتهم مسمى البحث العلمي؛ لأجل أن يستميلوا به قلوب الناس.

جاء في "الموسوعة الميسرة" قولهم عن الروحية الحديثة إنها: "دعوةٌ هدامةٌ وحركةٌ مغرضة، مبنيةٌ على الشعوذة، تدعي استحضار أرواح الموتى بأساليب علمية، وتهدف إلى التشكيك في الأديان والعقائد، وتبشر بدينٍ جديد، وتلبس لكل حالةٍ لباسها".

فالروحية الحديثة إذًا هي مبنية على الشعوذة، وعلى استمتاع الجن بالإنس، والإنس بالجن، الذي أخبر الله تعالى به في قوله: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنسِ وَقَالَ

أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام: ١٢٨].

وحقيقة تحضير الأرواح الذي تدعيه الروحية الحديثة: إنما هي تحضير للجن، وهي التي تخاطبهم وتتكلم معهم، وتخبرهم ببعض الأمور والأحداث، وقد نبه على ذلك كثيرٌ من المفكرين والعلماء، منهم: مصطفى المراغي، ومحمد الخضر حسين، وعبدالحليم محمود، ومحمد الغزالي وغيرهم كثير.

وممن نبه على ذلك أيضًا الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله، لما سئل عن تحضير أرواح الموتى فأجاب بقوله: "هذا عملٌ منكر ولا يجوز، وهو من الكهانة المحرمة، فلا يجوز فعل هذا بالكلية، وهذا عملٌ من أعمال الشياطين، وليس من أرواح الموتى، بل من أعمال الشياطين الذين يلبسون بها على الناس، ويأخذون أموال الناس بالباطل... ولا يجوز لمسلمٍ أن يشارك في هذا، ولا أن يسألهم عن شيءٍ، وهذه الأرواح التي تُحَضَّرُ من الجن والشياطين، وليست من أرواح الموتى".

نشأة الروحية الحديثة

إن دعوىٰ تحضير الأرواح ومخاطبتها هي دعوىٰ ضاربةٌ في القِدم، كانت معروفةً لدى المصريين القدماء والآشوريين والهنود والرومان واليهود، إلا أنها كانت مختصةً برجال الدين، وكانت محصورةً في المعابد، فكانوا يخاطبون الأرواح ويتصلون بها على نحو ما عليه الحال في أوروبا، وانتشرت في العصر الحديث عن طريق الروحية الحديثة، التي تبنت قضية تحضير الأرواح، وقامت عليها، واتخذته أصلًا من أصولها.

والروحية الحديثة ظهرت كمذهبٍ على مستوى رسمي في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي في أمريكا، ومن ورائها الصهيونية العالمية التي تريد أن تقيمه على أنقاض الأديان وخاصةً دين الإسلام.

ولا يعرف للروحية الحديثة مؤسسٌ في أمريكا وأوروبا، ولكن الدعوة إليها نشطت من قِبل عدة شخصيات منها:

١- جان آثر فندلي، وكتابه المشهور "على حافة العالم الأثيري".

٢- أدين فردريك باورز، وكتابه المشهور "ظواهر حجرة تحضير الأرواح".

٣- آثر كونان دويل، وكتابه "حافة المجهول".

٤- اليهودي المعروف "دافيد جيد".

وقد أقيمت للروحية الحديثة عدة مؤسسات منها:

(المعهد الدولي للبحث الروحي) بأمريكا.

و(جمعية مارلبورن الروحية) بانجلترا.

ثم إن الروحية الحديثة انتقلت بعد ذلك إلى العالم العربي والإسلامي، فكانت مصر هي مهدها الأول، ثم انتقلت إلى غيرها من الدول انتقالاً ضعيفاً كالأردن والخليج، عن طريق العمالة الوافدة، ووصلت كذلك إلى تركيا وإيران.

وحمل رايتها وتحمس لها عدة أشخاص في العالم العربي منهم:

١- أحمد فهمي أبو الخير، ناشر الروحية في مصر، وهو أمين عام "الجمعية المصرية للبحوث الروحية"، وقد أصدر مجلة "عالم الروح"، وهي الناطقة باسم هذه الدعوة الهدامة.

وقد بدأ نشاطه منذ سنة (١٩٣٧)م، وقام بترجمة كتاب "على حافة العالم الأثيري" وكتاب "ظواهر حجرة تحضير الارواح" الآنفي الذكر.

٢- وهيب دوس المحامي، وهو رئيس الجمعية المذكورة.

٣- الدكتور علي عبدالجليل راضي، رئيس "جمعية الأهرام الروحية"، له كتاب بعنوان "مشاهداتي في جمعية لندن الروحية".

٤- حسن عبدالوهاب، وكان سكرتيراً للجمعية لفترةٍ، ثم اكتشف زيف مذهب الروحية الحديثة، وخداعها وكذبها، وثبت له يقيناً : أن الأرواح المحضرة ما هي إلا جنٌ وشياطين.

ثم إن أكثر ما تجد هذه الدعوة الهدامة قبولاً ورواجاً لدى من فقدوا أقاربهم ونكبوا في أحبابهم وأصدقائهم، فإن مؤسس الروحية الحديثة وناشرها في مصر وهو أحمد فهمي أبو الخير، إنما اشتغل بها وانغمس فيها بعد وفاة ابنه البكر (لبيب) سنة (١٩٣٧)م ، الذي رُزِق به بعد طول انتظارٍ وحرمان، وقد وقع في يده يوم ذاك كتاب جان آثر "على حافة العالم الأثري"، فارتاحت نفسه الحزينة له، ووجد في دعواه عزاءً وسلوانًا عن فقد ابنه، ثم ترجم الكتاب، وتبنى هذا المذهب الهدام. كما أخبر بذلك الدكتور محمد محمد حسين

الـذي كـان قـد شـاركه في بعـض تجاربـه المتعلقـة بتحضـير أرواح المـوتى وانضـم إليـه، ثم تبـين لـه بفضـل الله ورحمتـه حقيقـة هـذا المـذهب، ونقـده في كتابـه "الروحيـة الحديثـة حقيقتهـا وأهدافها".

وكـذلك كـان الشـأن في بعـض الغـربيين الـذين تبنـوا هـذا المـذهب، فهـم وجـدوا فيـه كمـا يزعمون عزاءً وسلوانًا عن فقد أحبابهم وأصدقائهم وأقاربهم.

أفكار ومعتقدات الروحية الحديثة.

تـؤمن الروحيـة الحديثـة بتحضـير أرواح المـوتى، وتعـد ذلـك أصـلاً مـن أصـولها ومصـدراً مـن مصـادر تلقيهـا، وهـم يقومـون بتحضـير الأرواح في حجـرات شـبه مظلمـة، في ضـوءٍ أحمـر خافـت، وكـل مـا يدعونـه مـن تجسـد الأرواح ومخاطبتهـا لا يـراه الحاضـرون، وإنمـا ينقلهم إليهم الوسيط، وهذا الوسيط هو أهم شخصٍ في العملية.

ويدّعون أنهم يستطيعون التقاط صور للأرواح المحضرة عن طريق الأشعة فوق الحمراء.

وهـم يتحكمـون في حضـور جلسـة التحضـير مـن حيـث عـدد الحاضـرين ونـوعهم ، ويحـاولون إضـفاء الجانـب العلمـي علـى عملهـم، وهـو في الحقيقـة والواقـع لا يخـرج عـن كونـه شـعوذةً وخداعًا، وتأثيرًا مغناطيسيًا على الحاضرين، واتصالًا بالجن.

ثم إن الأمـر لـديهم لـيس مقتصـرًا علـى تحضـير الأرواح، بـل لـديهم أفكـار وعقائـد أخـرى خطيرةٌ جدًا، من ذلك:

١- اعتقادهم أن الروح أزلية، وُجدت قبل وجود الجسد، ليس لها بداية ولانهاية.

٢- لايؤمنون بعذاب القبر ونعيمه، ولا بنعيم الجنة وعذاب النار، ويزعمون أن الجنة والنار حالتان عقليتان أو معنويتان، وحقيقة هذا الزعم هو: إنكار الجنة والنار.

٣- يكفـرون بالقـرآن والإنجيـل، هـذا مـع كثـرة إيـرادهم لنصوصـهما الـتي يحرفونهـا عـن مواضـعها، ويلوونها عن مقاصدها؛ ليخدعوا بها ضعاف النفوس والإيمان.

٤- يزعمون أن الوحي لا ينقطع، وأنه مستمرٌ ومتطور.

٥-يزعمون أيضًا أن لبعض رجالهم القدرة على إعادة معجزات بعض الأنبياء، خاصةً المعجزات والآيات الشفائية، على نحو ما كان يقع من المسيح عيسى عليه الصلاة والسلام.

٦- أكثر الروحيين وخاصةً في الغرب يقولون بالتناسخ وعودة الأرواح إلى الأجساد في الارض.

٧- من عقائدهم أيضًا: القول بالحلول والاتحاد، يقول نبي الروحية الحديثة (سلفر برش) في كتابه "الحكمة العالية": "تذكروا دائماً أنكم في الله وأن الله فيكم"، ويقول أيضًا: "نحن جميعًا جزء من الروح الأعظم، وأنتم في مجموعكم مع بقايا الحياة الأخرى تكونون الروح الأعظم، ولا وجود لله خارج هذه المجموعة، ولو أن هذا القول لا يمكنني البرهنة عليه إلا أنه يحسن قبول كلمتي في هذا الصدد".

٨- يزعمون أن الانسان مجبورٌ على أفعاله، وأنه مسيرٌ وليس بمخير. وأن القُوى الخارجية والأرواح هي من تقف خلف أفعاله، ولهذا يبررون وقوع الجرائم والانتحار بأن أصحابها مجبورون عليها ، وبالتالي لايعاقبون عليها.

٩- يمجدون الشيوعيين والوثنيين والفراعنة والهنود الحُمر، ويقولون: إنهم أقوى الأرواح، ويصورونهم بعد موتهم متمتعين بهناءٍ وسعادة وطمأنينة، لا تتمتعوا بها أرواح أهل الإسلام، ويقصدون بذلك: زعزعة يقين الناس بالإسلام.

١٠- يسخرون من الأديان، وينددون برجال الدين وعلمائه على اختلافهم، لا يسلم منهم إلا اليهود.

١١- يقولون: إن باب التوبة مفتوحٌ بعد الموت، وأن فرصة التكفير للذنوب لا تنقطع بالموت.

١٢- من أخطر أفكارهم: زعمهم بأن الروحية الحديثة دينٌ جديد، وهذا قد نص عليه كبار منظريهم في الغرب وفي العالم العربي.

يقول أحمد فهمي ناشر الروحية في مصر وأكبر منظريها: "إن الرروحية في الواقع ما هي إلا دين وعلم وإصلاح وتثقيف، وتطمين على مستقبل الإنسانية، هي إخاءٌ ومحبةٌ وسلامٌ ومساواة...".

والزعم بأن الروحية دينٌ جديد هو زعمٌ خطير وخبيث، والهدف منه: هدم الأديان، وأسس المجتمع الإسلامي، ونشر الفوضى فيه بالتشكيك في كل المبادئ والأسس الدينية والخلقية.

وهي دعوةٌ إلى ديانةٍ عالمية، تتخذ وسيلة لتحطيم الأديان وخاصةً دين الإسلام، شأنها شأن الدعوات الهدامة المشبوهة، وهو من دلائل وقوف الصهيونية العالمية وراءها.

وأنبّه في هذا المقام إلى أنه: ليس كل من آمن بقضية تحضير الارواح يقول بكل تلك العقائد الآنفة الذكر، فهناك من المسلمين من خُدع بقضية تحضير الارواح، ولايلزم أن يكون معتقداً كل عقائد مذهب الروحية الحديثة.

الجذور الفكرية والعقائدية للروحية الحديثة.

تعود الجذور الفكرية للروحية الحديثة إلى جذور قضية تحضير الارواح ومخاطبتها، وهي قضيةٌ قديمة، وفكرةٌ ضاربةٌ في التاريخ، كانت معروفةً لدى المصريين القدماء والآشوريين والهنود والرومان ولدى اليهود، إلا أن الأمر كان مختصاً برجال الدين، وكان محصورًا في المعابد.

وتبنت الروحية الحديثة قضية تحضير الأرواح، وأضحت أصلاً من أصولها، وأسًا من أسس أفكارها ومعتقداتها.

وتقف الصهيونية العالمية الهدامة وراء الروحية الحديثة، وهي آلة في يدهم يستخدمونها؛ لتحقيق اهدافهم.

وللروحية الحديثة اتصالات شخصية وفكرية بالماسونية ونواديها، كشهود يهوه والروتاري، فهي تشجعهم وتمد لهم يد المساعدة، وتتولى الترويج لهم.

وسائل الروحية الحديثة وآثارها.

للروحية الحديثة وسائل عدة لترويج أفكارهم ولفت الأنظار إليهم.

- فهم يرفعون شعارات براقة ولافتات جذابة؛ لكسب الناس وميل قلوبهم إليهم، كالإخاء والحرية والمساواة، ونشر السلام والإنسانية، ومحاربة الإلحاد والمادية.

وهم أبعد شيءٍ عن حقائق هذه الشعارات والدعوات.

- **ومن وسائلهم:**

أنهم يريدون الكثير من النصوص الشرعية؛ لإيهام الناس بصدق دعاواهم، ويقومون تحريفها عن مواضعها، وتأويلها على غير تأويلها، ويبترونها عن سياقها، في الوقت الذي لا يؤمنون أصلا بالنصوص، ولا يعدونها مرجعًا لهم، ولا أصلا من أصولهم، فهم يكفرون بالقرآن وبالإنجيل، ومع ذلك يريدون النصوص الكثيرة، وهذا لا شك أنه يؤثر في بعض الناس، وهو من الآثار السيئة لهذه الوسائل.

- ومن وسائلهم أيضًا:

إيراد أقوال أهل العلم والدين؛ لخداع الناس والكذب عليهم وغشهم، وهم يضعون أقوال أهل العلم في غير مواضعها، ويقومون ببترها عن سياقها، في الوقت الذي يسخرون منهم ويستهزؤون بهم.

- ومن وسائلهم:

إيهام الناس أن دعاواهم مرتبطةٌ بالعلم التجريبي الحديث، ويموهون على الناس بحشد الأجهزة والأدوات والآلات، وهم بعيدون كل البعد عن العلم الحديث وإنما يقومون بالتمسح به؛ لغش الناس وإيقاعهم في مذهبهم الهدام.

الحداثة

التعريف بالحداثة

الحداثة مصطلحٌ أجنبي في أصله، نشأ في أوروبا، وظهر في معجم اللغات الأوروبية الإنجليزية والفرنسية والألمانية وغيرها.

وهي مذهبٌ فكري، يحمل جذوره وأصوله من الغرب، بعيداً عن حياة المسلمين وحقيقة دينهم وأصول إيمانهم.

جاء في الموسوعة الميسرة تعريف الحداثة بأنها "مذهبٌ فكريٌ اديٌ علماني، بُني على أفكار وعقائد غربية خالصة، مثل الماركسية والوجودية والفرويدية والداروينية، وأفاد من المذاهب الفلسفية والأدبية التي سبقته، مثل السريالية والرمزية وغيرها".

ومن خلال هذا التعريف نعلم أن الحداثة يندرج تحتها مذاهب متنوعة وتيارات متعددة؛ ولهذا كانت الحداثة من أخطر المذاهب الفكرية التي ظهرت وانتشرت في أوروبا، ثم انتقلت إلى بلاد المسلمين.

ثم إن الحداثة ليست موضوعًا أدبيًا فقط، ولا هي تصورٌ خاص بالنثر والشعر واللغة، وإنما تمتد لتشمل معظم ميادين الحياة المادية، تحمل معها الفكر والفلسفة والاجتماع والاقتصاد والسياسة والأدب، وهذا هو شأن الحركات الأدبية التي ظهرت في أوروبا.

يصف الحداثة أحد الباحثين الأوروبيين بقوله: "إن الحداثة هدمٌ لكل القيم الإنسانية، التي كانت سائدةً في الأدب الرومانسي والطبيعي، وإنها الفن الثائر على الناس والزمان والتاريخ".

الحداثة باختصار هي:

ثورةٌ وتمردٌ على الثوابت والمسلّمات، وهدمٌ للقيم والمبادئ والأخلاق، باسم التجديد والتحديث والمعاصرة.

نشأة الحداثة

اختلفت الآراء في تحديد نشأة الحداثة، فمنهم من اعتبر بدايتها في القرن السادس عشر، ومنهم من قال: إنها نشأت في القرن التاسع عشر، ومنهم من رأى أنها بدأت في القرن العشرين.

والغالبية يرون أن تاريخها يبدأ منذ أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، على يدي (شارل بودلير) وهو أديب فرنسي، نادى بالفوضى الفكرية والأخلاقية.

ومن أبرز رموز الحداثة من الغربيين بعد بودلير: الأديب الفرنسي غوستاف فلوبير، والأديب الروسي مايكوفيسكي الذي نادى بنبذ الماضي والاندفاع نحو المستقبل.

الحداثة نشأت في أوروبا ولم تبقَ حيث نشأت، بل انتقلت إلى العالم الإسلامي، وكانت نسخةً طبق الأصل للحداثة الأوروبية، في كل جوانبها وأصولها وفروعها.

وقد مَهَّدَ لظهورها في العالم الإسلامي بعضُ ظواهر التمرد والثورة والرفض، وتجريب بعض الاتجاهات والمدارس الأدبية الغربية، التي هيأت مُناخاً مناسباً لاستقبال الحداثة في العالم العربي، حتى أعلنت الحداثة عن نفسها بعد ذلك صراحةً باسمها في لبنان، في منتصف القرن العشرين الميلادي تقريباً، وذلك عن طريق مجلة شعر اللبنانية، التي رأس تحريرها يوسف الخال الشاعر النصراني السوري الاصل.

بدأت المجلة تجربتها خلف سِتار: تحديث الأدب فاستخدمت مصطلح الحداثة عن طريق ترجمة شعر رُوَّاد الحداثة الغربيين أمثال: بودلير ورامبو وغيرهما.

ودعت المجلة إلى تطوير الإيقاع الشعري، وإلى نزع القداسة عن الأوزان التقليدية، وروَّجتْ للدعوة إلى الشعر الحر وقصيدة النثر. وأظهرت المجلة أن الحداثة موقفٌ حديثٌ من الله والإنسان والوجود.

من رموز الحداثة في العالم العربي:

أدونيس الذي كان اسمه علي أحمد سعيد، وغيَّرَه إلى أدونيس، وهو نُصيري سوري، ويعد المروج الأول لمذهب الحداثة في العالم العربي، وقد هاجم الدين والأخلاق والتاريخ الإسلامي في رسالته الجامعية، التي قدَّمها لنيل درجة الدكتوراه، والموسومة بـ (الثابت والمتغير)، دعا فيها بصراحةٍ إلى محاربة الله عز وجل.

أفكار الحداثة ومعتقداتها

الفكر الحدثي يقوم على أسس عدة من أهمها:

أولاً: رفض القديم والثابت.

من العقائد والشرائع والقيم والأخلاق، والسعي إلى إنشاء فلسفاتٍ جديدة وقوانين وضعية بدلاً منها.

والحداثيون يستثنون من القديم ما كان مماثلاً للحداثة من حركاتٍ ثوريةٍ واتجاهاتٍ فلسفيةٍ بعيدةٍ عن المنهج الإلهي الحق

وهم يعنون بالقديم والثابت:

رفض مصادر الإسلام: الكتاب والسنة والاجماع، وما اشتمل عليها من عقيدةٍ وشريعةٍ وقيمٍ وأخلاقٍ. وأيضًا رفض الغيبيات، وإنكار الوحي والتمرد على الإسلام، والدعوة إلى نقد النصوص، وتأويلها تأويلاً جديداً يتناسب مع الأفكار الحداثية.

وأيضًا يعنون برفض القديم والثابت: رفض اللغة العربية التي هي لغة القرآن العظيم.

ثانياً: ضرورة التحول والتطور .

ضرورة التحول العقدي، وتغيير المسلمات والحقائق الثابتة في الإسلام.

والتحول عن أحكام الشريعة ومصادرها، واتباع المذاهب الغربية ومناهجها.

ويدعون إلى التلاقح الفكري وهو: التقريب والمزج بين الثقافات والأفكار المختلفة، العربية منها والأجنبية، والإفادة من جميع المذاهب الموجودة في العالم، مع اتفاقهم على أمر وهو إقصاء الدين والثورة عليه.

ثالثاً: الصراع بين القديم والحديث.

يعمل الحداثيون على ضرورة تغيير التراث بمبادئه وعقائده وقيمه إلى مبادئ وقيم حديثة معاصرة كما تقدم ذكره .

ومن أهم الطرق لهذا التغيير والتحول هو: إثارة الصراع بين المتناقضات في نظرهم، بين الأفكار القديمة والأفكار الحديثة، بين الماضي من جهة والحاضر والمستقبل من جهة.

وينتج عن هذا الصراع : رؤىٰ حديثة ثائرة على القديم، إلا ما يماثلها من حركاتٍ ثورية عبر التاريخ.

هذا وإن الحداثيين يوصلون أفكارهم ومعتقداتهم غالباً عن طريق : الغموض والإيهام والرمز في الأدب والشعر.

ويعد الغموض من المعالم البارزة في أدبهم، حتى أن أحد النقاد الأوروبيين ذكر أن أقصى إطراء يمكن أن يقدمه شاعرٌ حداثيٌ لآخر هو قوله: "إن قصيدته قِمةٌ في الغموض"، بل أخذ الحداثيون يشككون في كل قصيدةٍ واضحة، واصفين إيّاها بأنّها: تقدّم عالماً عارياً.

يقول الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله : "وتأكَّدَ أن استهداف الغموض من كثيرٍ من هؤلاء الشعراء، في هذه القوالب الفكرية المسمى شعراً، وليس فيها من الشعر شيء إنما هو أمر مقصود؛ ليحققوا به أهدافًا ثلاثة:

الاول: التنصل من مسؤولية الكلمة وتبعتها، حينما تلفّ بهذا الغموض، الذي قد لا يدرك معناه بسهولة.

الثاني: إماتة الشعر وسلب روحه وتأثيره، وحرمان المسلمين من سلاح ماضٍ من أفتك أسلحتهم ضد أعدائهم.

و**الثالث**: وهو أخطرها: محاولة نبذ الشريعة والقيم والمعتقدات والقضاء على الأخلاق والسلوك، باسم التجديد وتجاوز جميع ما هو قديم، وقطع صلتها بها".

أساليب واتجاهات الحداثة وأثرها على العقيدة

برزت بعض اتجاهات الحداثة تحت شعار المذاهب الأدبية، وهذه المذاهب الأدبية هي نفسها اتجاهات فكرية، تحمل مبادئ فلسفية وعقائد هدامة.

قد يظن بعض الناس أنها اتجاهات أدبية محضة مجردة عن الفكر والفلسفة، والأمر ليس كذلك، فإن الأديب يحمل أفكارًا وتوجهات، يدعو إليها وينشرها عبر الكتابة والشعر، وهنا يكمن أثر هذه الاتجاهات الأدبية وخطرها على العقيدة.

والحداثيون أنفسهم قد أوضحوا هذه العلاقة، وأفصحوا عن مدى الارتباط بين الأدب والفكر، وصرحوا بأن الحداثة الأدبية الفنية لا تنفصل عن الحداثة الفكرية.

وأساليب الحداثة واتجاهاتها كثيرة ومتنوعة ومتداخلة فيما بينها، نقف على بعضها مع تعريفٍ يسيرٍ بها:

أولاً: الاتجاه الرمزي (الرمزية).

من أهم مبادئه: الهروب من الواقع والتعالي عليه، والبحث عن عالمٍ مثالي مجهول، يسد الفراغ الروحي ويعوض عن غياب العقيدة الصحيحة.

وهذا الاتجاه الرمزي يرفض التعبير المباشر والأسلوب الواضح، ويخرج عن الأوزان والصيغ النحوية.

ثانيا: الاتجاه الدادي (الدادئية).

وهذا الاتجاه غالى في الشعور الفردي، ومهاجمة المعتقدات، وطالب بالعودة للبدائية والفوضى الفنية الاجتماعية.

ثالثا: الاتجاه السريالي (السريالية).

من أهم مبادئه: اللجوء إلى الاحساسات الداخلية للإنسان (اللاشعور) و(الحلم)، واعتبارها الحقيقة الثابتة والصورة الصحيحة لغرائز الإنسان الفطرية، وبالتالي فهم يهملون الواقع ويغوصون في أعماق الإنسان متعلقين بعالم الأحلام.

وقد يستعينون بمؤثرات خارجية كالخمر والأفيون؛ ليصلوا إلى حالة الذهول والغيبوبة، ويعبروا بصدقٍ كما يزعمون عن عالم اللاشعور.

رابعا: الاتجاه العبثي (العبثية).

سمي بهذا الاسم؛ لأنه يصور في مسرحياته وروایاته وقصصه ومقالاته: العبث والضياع الذي يعيشه المجتمع، وإنتاجه يسوده العبث، والفوضى في الأفكار، والمبادئ، واللغة التي يتخاطبون بها.

هذه بعض اتجاهات الحداثة باختصار، وهناك اتجاهات أخرى كالاتجاه الرومانسي، والواقعي، والتعبيري، والكلاسيكي وغيرها.

فإذا قيل: إن فلاناً سريالي حداثي فذلك يعني: أنه في أشعاره وكتاباته ينهج الأسلوب السريالي، ومضمونه الفكري وفلسفته ودعوته هي الحداثة، بمعنى الثورة على القديم، والتمرد على المسلمات والثوابت، ورفض السائد والمعروف.

وقد يجمع الحداثي أكثر من اتجاه وأسلوب، فأدونيس مثلاً أكبر منظري الحداثة في العالم العربي يجمع كثيراً من الاتجاهات في أشعاره وكتاباته، فهو رمزي وسريالي وعبثي وعنده رومانسية وواقعية وغيرها.

موقف الإسلام من الحداثة

مفهوم الثورة والتمرد والهدم والفوضوية والعبثية هذه المفاهيم قد تناسب وتلائم المجتمعات الأوروبية والديانة النصرانية المحرفة، أما الإسلام فهو دين يدعو إلى النمو بطبعه، وإلى التجديد والتطور في الحياة بما ينفع المسلمين، ويوافق مسلّماتهم وثوابتهم.

الرسول عليه الصلاة والسلام لما بُعث حارب الخرافات والشركيات في عصره، وهدم الأديان المحرفة، هدم عليه الصلاة والسلام خرافات كفار قريش، وأباطيل اليهود والنصارى، ونظريات الوثنيين، ولم يكتف عليه الصلاة والسلام بالهدم، كما هو ديدن الحدثيين فهذا فنهم ومجالهم، وإنما أتى عليه الصلاة والسلام ببديلٍ شاملٍ تامٍ كاملٍ صالحٍ لكل زمانٍ ومكان، هذا البديل شمل جميع شؤون الحياة المختلفة: السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والتربوية، والروحية، والفكرية.

قام هذا البديل على الوضوح والبيان لا على الغموض والرمز والإيهام، قام على الإصلاح والبناء لا على التمرد والهدم والفساد، اتسم بالنظام والانتظام لا بالعبث والفوضى.

إن الحداثة ثورةٌ قذرة على عقيدة الإسلام وشريعته وقيمه ومبادئه وأخلاقه ولغته، انتقدها المفكرون الأوروبيون أنفسهم، فرفضوا مبادئها وحاربوا أهدافها.

يقول أحد المفكرين الأوروبيين: "إن الحداثة لا تعيد صياغة الشكل، بل تأخذ الفن إلى ظلمات الفوضى واليأس".

ويقول آخر: "للحداثة القدرة على الإتيان بكل ما هو مدمر، إنها رحلةٌ إلى عوالم فنيةٍ مجهولة، لا يمكن أن يكتب لها التوفيق، وإنها عوالم يكتنفها المخاطر والكوابيس والموت".

وقد عدّها كثير من المفكرين الغربيين: نزوةً عابرةً في تاريخ الفكر الغربي.

إن من منكرات الحداثة: ما يعرف بالشعر الحر، الذي خالفوا فيه العرب في نظام شعرها الموزون المقفى، فأفسدوا اللسان والبيان، وهو تغييرٌ لشعائر العرب المحمودة، أنكرها علماء الإسلام قديمًا وحديثًا.

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله: "ومعلومٌ أن تعلم العربية وتعليم العربية فرضٌ على الكفاية، وكان السلف يؤدبون أولادهم على اللحن، فنحن مأمورون أمر ايجابٍ او أمر استحبابٍ أن نحفظ القانون العربي، ونصلح الألسن المائلة عنه، فيحفظ لنا طريقة فهم

الكتاب والسنة، والاقتداء بالعرب في خطابها، فلو تُرك الناس على لحنهم كان نقصًا وعيبًا، فكيف إذا جاء قوم إلى الألسن العربية المستقيمة والأوزان القويمة فأفسدوها بمثل هذه المفردات، والأوزان المفسدة للسان، الناقلة عن العربية العَرباء إلى أنواع الهذيان الذي لا يهدي به إلا قومٌ من الأعاجم الطَّمَاطِم الصِمْيان".

إن الإسلام يرفض الحداثة:

١- لأنها تمردٌ على كل ثابتٍ ومسلّمٍ لدى المسلمين.

٢- ولأنها تمردٌ وثورةٌ على أصول الإيمان، من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وجميع الغيبيات.

٣- ولأنها أيضًا تمردٌ على أركان الإسلام، من التوحيد والصلاة والزكاة والصيام والحج.

٤- ولأنها ترفض اللغة العربية، لغة القرآن.

كل ذلك الرفض والتمرد باسم التجديد والتحديث والمعاصرة، وما هي إلا شعاراتٌ رنانة، ولافتاتٌ جذابة، ينطوي تحتها الإلحاد، وتحطيم المبادئ والأصول والأخلاق.

فهرس الموضوعات (٢)

١. العلمانية..... ٧٦

٢. الليبرالية..... ٩١

٣. الصهيونية..... ١٠١

٤. الماسونية..... ١١٨

٥. الوجودية..... ١٣٠

٦. العقلانية..... ١٣٦

٧. الروحية الحديثة..... ١٤٦

٨. الحداثة..... ١٥٤